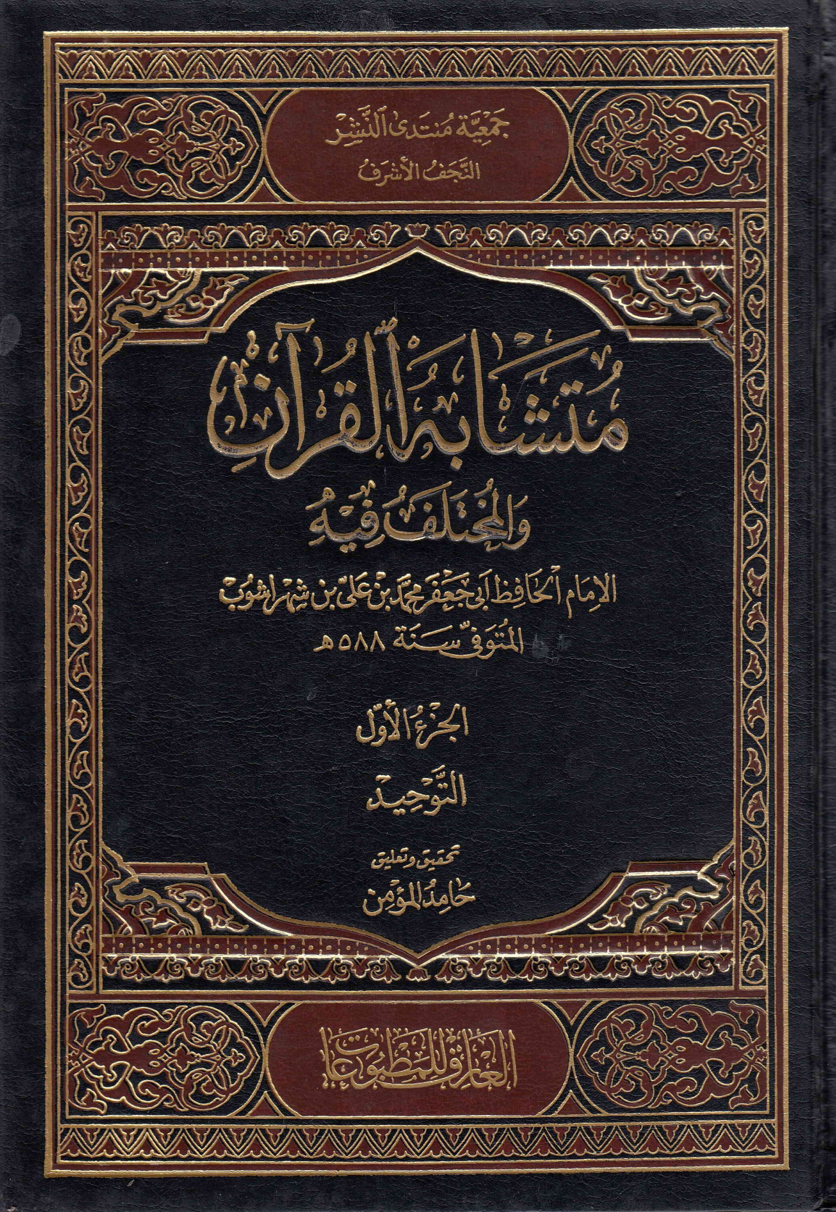


جمعية منتدى النشر
النجف الأشرف
متشابه القرآن
والمختلف فيه
الإمام الحافظ أبي جعفر محمد بن علي بن شهراشوب
المتوفى سنة ٥٨٨ هـ
الجزء الأول
التوحيد
تحقيق وتعليق
حامد المؤمن
العارف للمطبوعات


متشابه القرآن
والمختلف فيه
١





ساهم في تكاليف طباعة هذا الكتاب

السيد عبد الإله محمد عمران الحبوبي

جمعية منتدى النشر
النجف الأشرف

متشابه القرآن والمختلف فيه

الامام الحافظ ابى جعفر محمد بن على بن شهراشوب
المتوفى سنة ٥٨٨ هـ

الجزء الأول
التوحيد

تحقيق وتعليق
حامد المؤمن

العارف للمطبوعات

هوية الكتاب

اسم الكتاب: متشابه القرآن والمختلف فيه

الجزء الأول

المؤلف: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهرآشوب

تحقيق: حامد جابر حبيب المؤمن الموسوي

تنضيد وإخراج فني: نصير علي موسى شُكر

القياس: ١٧ × ٢٤ (فني)

عدد الصفحات: ٤٥٦ صفحة

الطبعة الاولى المنقحة

1429 هـ ـ 2008 م

الناشر

جمعية منتدى النشر

النجف الأشرف



مؤسسة العارف للمطبوعات

بيروت- لبنان

TLF:00961 1 452077

العراق - النجف الاشرف / الميدان

TEL: 00964 33 370636

MOB: 00964 7801327828

Url:www.alaref.net

Email:arefli@hotmail.com

كلمة
جمعية منتدى النشر
حول الكتاب

بقلـم

الدكتور محمود المظفر

رئيس الجمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

استهلّت جمعية منتدى النشر التي أُنشئت في مدينة النجف الأشرف عام ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م: مسارها ومساقها العلمي: بالمبادرة إلى عملية تحقيق ونشر كتب التراث، وهو مسار علمي يتجانس، في الأصل، مع مسمى هذه الجمعية ـ منتدى النشر ـ ومع عنوانها ومنطلقها الرسمي.

ويبدو ـ فيما تشير مذكرات بعض أعضائها ـ أن الجمعية إنما بادرت إلى القيام بعملية تحقيق وإحياء كتب التراث.. فمن باب التغطية مؤقتاً على هدف الجمعية الأساس، وهو إنشاء المدارس الدينية النظامية بقصد تطوير الدراسة في حوزة النجف، التي كان لبعض رموزها تحفظاتها حول فكرة التطوير هذه، كما كان لبعض أجهزة الدولة الإدارية يومذاك تحفظاتها، هي الأخرى، ولكن حول أصل إنشاء المدارس التربوية على أساسٍ ديني أو عقدي.

* * *

وكان أول كتاب تراثي يأخذ سبيله في الجمعية إلى التحقيق والنشر

هو كتاب «حقائق التأويل في متشابه التنزيل» للسيد الشريف الرضي المتوفى مطلع القرن الخامس الهجري عام ١٤٠٤.

وقد عزّزت هذه الخطوة الهادئة والهادفة من مركز الجمعية وموقعها العلمي.. خاصةً وأن عملية التحقيق لم تكن سهلة في ذاتها، وإنما كانت محاطةً بكثيرٍ من المعوّقات الفنية والإجرائية.. فضلاً عن المعوّقات التمويلية.

لذلك توقفت الجمعية مبكراً عن المضي في مشروعها العلمي المذكور المتمثل في تحقيق كتب التراث ونشرها.

(٢)

لكن الجمعية ـ وبعد أكثر من عام على تأسيسها ـ لما وجدت أن الفرصة أصبحت مهيّأةً للعمل على تحقيق هدفها الأساس ـ وهو إنشاء المدارس الدينية على أساسٍ منهجي ـ فقد بادرت إلى تأسيس أول كليةٍ نظامية عالية.. أُطلق عليها مسمّى (كلية الاجتهاد).. وذلك لغرض المساعدة على تطوير وتحديث الدراسة في نطاق (حوزة النجف).. وبخاصةٍ من حيث الآلية والمنهج والأسلوب.

غير أن هذه الكلية التي يمكن أن تُعدّ فتحاً مبيناً في مسيرة الدراسات الإسلامية ما لبثت أن استُبدلت سنة ١٣٥٧ ـ ١٣٥٨هـ بكليةٍ نظامية أخرى مبسّطة لغرض استيعاب أكبر عدد ممكن من طلبة العلوم الدينية المهيئين لدراسة مايسمى بالمقدمات فالسطوح.. المتمثلة بالفقه وأصوله، والتفسير وعلومه، وبعلمي المنطق والكلام، وعلوم الشريعة الأخرى، وما سواها من علوم اللغة العربية وآدابها.. وبشكلٍ منهجيٍ ونظامي.

(٣)

ثم تلتها كلية ثالثة أخرى حملت ـ هذه المرة ـ مسمى «كلية منتدى النشر» واستوعبت طلابها على مدى خمس سنوات دراسية منتظمة بما فيها السنة التحضيرية. . وظلّت الدراسة مستقرّة ومستمرّة فيها زهاء عشر سنوات دراسية بدءًا من سنة ١٣٦٤هـ، والتي تمّ إثرها العزم على إنشاء كلية متطوّرة أخرى، سُمّيت بـ(كلية الفقه). . أُريدَ لها مواكبة ما جَدَّ وما استجدّ من تطورات تعليمية حديثة بحيث يمكن لها أن تجمع بين مقررات الدراسة التقليدية في الحوزة وبين بعض المقررات الأكاديمية الحديثة التي من شأنها أن تساعد على توسيع أفق الطالب وتنمية ملكاته ومداركه العلمية.

ولتأكيد أهمية هذه الكلية ولربطها بالحياة العملية الحديثة فقد بذلت الجمعية وسعها لتحصيل الاعتراف الرسمي ببرنامجها وبشهادتها، ومنح خريجيها درجة (الليسانس) أو ما يعادلها من العناوين الأكاديمية التي من شأنها أن تؤهّل حاملها حق التدريس في نطاق المدارس الثانوية للدولة.

والواقع أن الحصول على الاعتراف الرسمي بالكلية، والذي تمّ حينذاك بأمرٍ من قائد ثورة تموز الراحل عبد الكريم قاسم: كان له ثمراته وآثاره ومردوداته الإيجابية. . حيث عهد ـ ولأول مرةٍ في تاريخ التعليم الرسمي المعاصر في العراق ـ إلى خريجي كلية دينية مثل كلية الفقه قائمة على أساس من مذهب أهل البيت: أن يقوموا بتدرس مواد التربية الدينية والعقيدة والسيرة والتاريخ في نطاق مدارس الدولة الرسمية. . بعد أن كان ذلك مقصوراً على خريجي الكليات الدينية المحسوبة على أهل السنّة والجماعة. . علماً بأن هذا النهج التفريقي لم يكن يرتضي في حينه حتى بعض المسؤولين المنصفين من رجالات الطائفة السُنّيّة.

ولعلّ هذا المدى من النجاح الذي حققته الجمعية في الحصول على الاعتراف الرسمي بالكلية، والموافقة بالتالي على تعيين خريجيها كمدرّسين نظاميين طبقاً لمذهب أهل البيت في المدارس الرسمية: هو الذي دفع بحكومة البعث أواسط السبعينات من القرن الميلادي الفائت إلى انتزاع الكلية من سيطرة الجمعية وإشرافها، تمّ العمل على تجريدها من استقلاليتها وطابعها التعليمي الخاص، وذلك عن طريق دمجها بالجامعة المستنصرية ببغداد، ثم بجامعة الكوفة الرسمية، من أجل شمولها بقرار تبعيث التعليم العام وتلويثه بالأفكار العلمانية.. حتى تمّ للدولة في نهاية المطاف غلق الكلية وإذابتها تماماً بحجة مشاركة الكلية وطلابها في الانتفاضة الشعبانية التي يحلو لي أن أسميها أيضاً بالانتفاضة الشعبية التي انبثقت عام ١٩٩١.

(٤)

ولغرض أن تظل الجمعية شاخصةً ومؤدّية، ولو لبعض مهامها[١] وأهدافها العلمية.. فقد بادرت ـ هذه الجمعية ـ بعد تجريدها أواسط

(١) أتيح لجمعية منتدى النشر عبر تاريخها المديد أن تنجز بالإضافة إلى:
ـ تأسيس المدارس والكليات الدينية النظامية.
ـ وتحقيق الكتب التراثية...
عدة منجزات أخرى أهمها ما يلي:
١ ـ إنشاء مجمع علمي متخصص سُمّي بـ(المجمع الثقافي).. عُهِد إليه أساساً إصدار سلسلة مبسّطة ومركّزة من الدراسات والبحوث العقائدية والتاريخية، وقد صدر بالفعل عدد وافرٌ من هذه الكتب المتسلسلة، وغيرها من الكتب الواسعة الحديثة. كما عُهد أيضاً إلى هذا المجمع إقامة الندوات واللقاءات العلمية القائمة على المحاورة والنقاش بين بعض رجال الفكر والمعرفة.. وبشكل دوري ومستوعب.
٢ ـ إنشاء وإدارة بعض المستوصفات والمراكز الصحية الخيرية وذلك لمعالجة المرضى المحتاجين من سكان بعض المناطق الشعبية، وقد ظلّ قسم من هذه المراكز يؤدي خدماته الصحية حتى صدور القرار الجائر بغلق الجمعية ذاتها. =

السبعينات من مهمتها الأساسية، وهي إنشاء المدارس الدينية النظامية: إلى إعادة العمل بفكرة تحقيق الكتب التراثية.. حيث تمّ تشكيل عدة لجانٍ علمية لهذا الغرض.

كما تمّ الاتفاق، من جهة أخرى، مع بعض دور النشر للقيام بطباعة ما تمّ إنجازه من هذه الكتب المحققة، وبشكل سريع خشية من لجوء الدولة آنذاك إلى تجريد الجمعية مما تبقّى لها من مهام وأهداف، وخشية من أن تتعرض أموال الجمعية وممتلكاتها الوفيرة إلى المصادرة، كإجراءٍ متوقع من سياسة الدولة التي دأبت حينذاك على الوقوف في وجه أي مشروع معرفي له صلة بالدين والأصالة والتراث.

(٥)

ومما لا يغيب عن البال في غضون تلك الفترة العصيبة التي عشناها في أجواء العراق: ما تعرضتُ له شخصياً، وما تعرَّضَت له الجمعية ذاتها من ضغوطٍ حول مشروعها الخاص بتحقيق الكتب التراثية.. حيث فرض علينا سحب بعض هذه الكتب التي تمّ دفعها إلى المطبعة، وذلك لأنها كانت تحمل أسماء بعض المحققين الذين عرفوا بميولهم وتوجهاتهم الإسلامية.. الأمر الذي استوجب نوعاً من الخوف والاضطراب لدى البعض منّا.

= ٣ ـ إقامة بعض الدورات المهنية لخدمة الناشئة الراغبين إليها، كدورة مسك الدفاتر التجارية، ودورة بعض العلوم الرياضية.

٤ ـ إقامة بعض الدورات التربوية لتعليم اليافعين، والأميين الذين فاتتهم فرص التعليم الأولية.

٥ ـ إقامة بعض المعارض الفنية كمعرض (الكتاب النجفي) الذي أقيم في مبنى الجمعية السابق المجاور إلى الصحن الشريف، وقد أولى المعرض اهتمامه بشكل خاص بعرض الكتب المطبوعة على الحجر في النجف، والتي صُفّت بأشكال هندسية وفنية رائعة.

وكان لهذا الهاجس من الخوف والاضطراب مبرراته ومؤشراته الواضحة. . حيث تمّ ـ وبشكل سريع ـ القضاء على هذا التوجّه العلمي، ونقصد به تحقيق التراث، وذلك بالقضاء على الجمعية (الأم) ذاتها. . إثر صدور قرار جائر يقضي بغلق سائر الجمعيات الأدبية الأهلية، ودمجها تحت مظلة ما كان يُعرف بـ(اتحاد الأدباء). . علماً بأن الجمعية لم تكن تزاول يومها أي نشاط أدبي بمعناه المهني الدقيق.

وظلّ الأمر على هذا الحال. . حتى تمّ بمشيئة الله تعالى إسقاط النظام الجائر عام ٢٠٠٣ للميلاد، وتلاشي ما أصدره من قرارات، وما قام به من إجراءات مجحفة بحق الجمعيات الدينية الأهلية.

(٦)

وهكذا تسنّى للجمعية إثر ذلك وإثر صدور الترخيص الرسمي: أن تعود إلى ممارسة أعمالها وأنشطتها المعتادة. . حيث بادرت ـ أولاً ـ إلى فتح بعض مدارسها الأولية الخاصة بالبنين والبنات. . تمهيداً لإعادة فتح مدارسها الثانوية والإعدادية السابقة، ثم تمهيداً لإعادة فتح (كلية الفقه) إلى حاضنتها ومظلتها الأولى ـ جمعية منتدى النشر ـ كمؤسسة أهلية لا رسمية، وإزالة ما قد بدا من التباسٍ بشأن عائديتها.

كما تسنّى للجمعية ـ ثانياً ـ أن تبادر إلى إعادة العمل بتحقيق كتب التراث الذي كان أحد المهام الأساسية للجمعية.

ورأينا ـ ونحن بصدد اختيار الكتاب المناسب ـ أن خير ما نستفتح به مشروعنا الجديد الخاص بتحقيق التراث ـ هو القيام بتحقيق كتاب تراثي يدور حول واحدٍ من موضوعات القرآن الكريم. . وقد وقع الاختيار فعلاً بعد دراسة متأنيّة على كتاب (متشابه القرآن) للعالم المفسر

ابن شهرآشوب.. على أن يتولى تحقيقه الأستاذ السيد حامد المؤمن عضو الجمعية العامل، والمحقق الباحث المعروف.

ويتمتع المؤلف المذكور رشيد الدين بن محمد المازندراني المعروف بابن شهرآشوب والمتوفى سنة ٥٥٨ للهجرة: بشهرةٍ علمية واسعة.. حيث وصفه البعض بإمام زمانه ووحيد عصره، وأنه كان متضلعاً بعلوم القرآن والحديث ومهتماً بقراءة القرآن وحفظه في سن مبكرة لا تتجاوز الثامنة من عمره، بموجب ما رواه صاحب (الوافي بالوفيات).. الأمر الذي أهّله وساعده على تأليف العديد من الكتب التي تعنى بعلوم القرآن وتفسيره، وفي مقدمتها هذا الكتاب القيّم الذي نقدمه للقراء محققاً ومعلقاً عليه بجهود الأستاذ السيد حامد المؤمن.

علماً بأن الأستاذ المؤمن هو باحث متخصص ومتمرّس في فنّي التحقيق والتوثيق، وقد عرفناه وعرفته الجمعية كعضو عامل من أعضائها ومدير عام لمكتباتها على مدى سنوات عديدة، كما عرفته الأوساط العلمية في النجف من خلال إنجازاته ومشاركاته العديدة في هذا الحقل من حقول المعرفة ـ وهو التحقيق ـ مضافاً إلى كونه ظلّ راسخاً في عقيدته و(مؤمناً) بقضيته ومسلكه رغم الضغوطات التي واجهته عبر سنوات الطغيان والمحنة.

(٧)

هذا ومن الجدير بالذكر ـ ونحن نستذكر ـ بصفة خاصة منجزات الجمعية وتطلعاتها في مجال إحياء وتحقيق كتب التراث: أن نشير إلى أن عملية التحقيق هذه ـ وقد مارستها الجمعية في فترات متفرقة من عمرها ـ هي عملية مضنية وبالغة التعقيد.. بحيث يمكن أن ندّعي بأن الجهد المبذول بشأنها ربما يوازي أو يجاوز عملية التأليف نفسها.

ومن هنا اعتُبرت عملية تحقيق كتب التراث عملية علمية وفنية، يمكن أن تؤهّل صاحبها للحصول على مستوًى من التقدير الأكاديمي، لا يختلف عن مستوى التقدير بشأن إعداد بحثٍ أو كتاب، وبخاصة في مجال الترقيات العلمية، بل وفي مجال منح الرتب، والدرجات والشهادات الأكاديمية.

ويقال: إن التحقيق الذي مارسته الباحثة المصرية المعروفة بـ(بنت الشاطئ) لكتاب (رسالة الغفران) من تأليف أبي العلاء المعرّي المتوفى سنة (٩٧٣م) قد أتاح للجنة العلمية التي شاركت في مناقشة صاحبة التحقيق أن تمنحها درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى، بحيث صار هذا الجهد المبذول في تحقيق الكتاب مقياساً لأي مجهود فني وعلمي مماثل.

كما تأيّد أن التحقيق العلمي الذي مارسه الراحل الشيخ محمد رضا المظفر ـ مؤسس هذه الجمعية ـ بالاشتراك مع الشهيد السعيد السيد مرتضى الخلخالي لكتاب (تذكرة الفقهاء) بجزئه الخاص بالبيع المنسوب إلى العلامة الحلي المتوفى سنة (٧٢٦هـ) كان جهداً غير عادي.. حتى ورد أن المحققين العَلمين قد آثرا الإنسحاب من تحقيق باقي أجزاء الكتاب، بعد أن لاحظا أن الجهد المبذول في تأليف الكتاب لا يوازي الجهد الذي بذلاه في تحقيقه.. حتى صرّح المظفر بأنه لو اتجه وزميله الخلخالي إلى التأليف في موضوع الكتاب وفي حدود حجمه لكان أكثر سهولة وأوفى ثمرات.

(٨)

ولعلّ من باب التأكيد أو التأييد لما قد يبذله المحقق من جهدٍ ومعاناة في عملية التحقيق لكتب التراث: أن نشير إلى بعض هذه الجهود التي يمكن عرضها على شكل خطوات كالتالي:

١ ـ مرحلة المقابلة.. ونقصد بها مقابلة ومقاربة ما حصل عليه المحقق من النسخ المخطوطة بعضها مع البعض الآخر.. من أجل ضبط النص وصولاً إلى نسخته وعبارته الأصلية.

٢ ـ مرحلة تقويم النص.. أي تحديد مدى قدرة هذا النص على الأداء، وتحديد مراميه التي أرادها صاحب النص.

٣ ـ مرحلة التخريج للآيات والأحاديث المستشهد بها أو المستدلّ عليها، وللأقوال والآراء المعتد بها الواردة في الكتاب ونسبتها إلى أصحابها، ثم للشواهد التي قيلت من شعر أو مثل أو أثر.. حتى صرّح بعض المحققين لكتاب سيبويه في النحو أنه استطاع أن يعثر أثناء تحقيق الكتاب على حدود ألف شاهد أو بيت من الشعر وحده (انظر كتاب سيبويه ١/ ٣٣).

٤ ـ مرحلة بيان وضبط أسماء الأشخاص الواردة في ثنايا الكتاب، مع بيان ما قد يحتاج من هؤلاء الأشخاص إلى تحديد سيرته الذاتية.

٥ ـ توضيح ما عسى أن يرد في الكتاب من رموز أو مفردات أو عبارات ملتبسة.

٦ ـ تصحيح ما يمكن تصحيحه من الألفاظ أو العبارات الواردة في الكتاب والثابت خطؤها.. على أن ذلك لا يتنافى أو يتجافى مع أصل الالتزام باحترام النص.

٧ ـ إيراد كشف مفصّل بالمصادر أو المراجع التي تمّ الرجوع إليها.

٨ ـ إعداد فهرس مفصّل بموضوعات الكتاب على نحوٍ يسهّل على القارئ الرجوع إلى مختلف موضوعات الكتاب.

٩ ـ مرحلة مراجعة الكتاب وإعادة قراءته ومقابلته وصولاً إلى النص الأصيل.

إلى غير ذلك من المراحل والجوانب الأساسية التي تفيد عملية التحقيق والتوثيق[1].

* * *

وبعد هذا كله يجدر بنا أن نشير بأن عملية التحقيق بنهجها ومضمونها المعروف هي عملية جديدة نسبياً، ومرتبطة كل الارتباط بتزايد الحاجة إلى نشر وإحياء كتب التراث.

وفي تقديري أن هذه العملية الفنية لم تبدأ في الانتشار إلاّ في ظل القرن التاسع عشر، وذلك بعد أن تطورت صناعة الطباعة، وما يتصل بها من فنون النشر والإعلام.. خلافاً لمن ظنّها متقادمة المنشأ.

على أن ما جاء أو تزايد من أخطاء في نطاق تناقل الأصول والنصوص ـ وبخاصة في نطاق رواية الأحكام الشرعية ورواية الأحداث التاريخية ـ وأن ما ورد من انتحال أو تجاوز لحقوق المؤلف: أصبحت جميعاً تدعونا إلى الاهتمام بقضية التحقيق وضبط النصوص كقضية فنية، وكعلم وتخصص قائم في ذاته.

١/ رمضان المبارك/ ١٤٢٩هـ   **محمود الشيخ محمد حسن المظفر**

النجف الأشرف

---

(١) لاحظ ما ورد على لسان بعض المحققين والمؤلفين من خطوات تسهّل عملية التحقيق، وبخاصة، الإفصاح عن أحوال رواة الصحاح، للمظفر، ج١، ص٣٥ ـ ٣٨.
والإيضاح في علل النحو للزجاجي، مقدمة الدكتور مازن المبارك، ص٢٤ ـ ٢٥.
واللمع في العربية لابن جني، مقدمة المحقق حامد المؤمن، ص٣٥ ـ ٣٩. وسواها من الكتب المحققة.


متشابه القرآن
والمختلف فيه
١


بسم الله الرحمن الرحیم


اللهم صل علی محمد وآل محمد

جمعية منتدى النشر
النجف الأشرف



الامام الحافظ ابي جعفر محمد بن علي بن شهر اشوب
المتوفى سنة ٥٨٨ هـ

الجزء الأول

التوحيد

تحقيق وتعليق

حامد المؤمن

العارف للمطبوعات

الناشـــر

جَمْعِيَّةُ مُنْتَدى النَّشْر
النَّجَفُ الأشْرَفُ



مؤسسة العارف للمطبوعات
بيروت– لبنان
TLF:00961 1 452077
العراق – النجف الاشرف / الميدان
TEL: 00964 33 370636
MOB: 00964 7801327828

Url:www.alaref.net
Email:arefli@hotmail.com

هوية الكتاب

اسم الكتاب: متشابه القرآن والمختلف فيه
الجزء الأول
المؤلف: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهرآشوب
تحقيق: حامد جابر حبيب المؤمن الموسوي
تنضيد وإخراج فني: نصير علي موسى شُكر
القياس: ١٧ × ٢٤ (فني)
عدد الصفحات: ٤٥٦ صفحة

الطبعة الاولى المنقحة
1429 هـ ـ 2008 م

الإهداء

اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً وَالحَمْدُ للهِ كَثِيراً وَسُبْحانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً..

الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدانا لِهذا، وَما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدانا اللهُ، لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ..

السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا نَبِيَّ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا خاتِمَ النَّبِيِّنَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا سَيِّدَ المُرْسَلِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا حَبِيْبَ رَبِّ العَالَمِيْنَ، أَشْهَدُ أَنَّك جِئْتَ بِالحَقِّ، وَصَدَّقْتَ المُرْسَلِيْنَ..

يَا سيِّدِي! يَا رَسُولَ اللهِ..!

وَهذا جُهْدُ المُقِلِّ المُقَصِّرِ ـ وَهُوَ قَبَسٌ مِنْ نُورِكَ، وَشُعَاعٌ مِنْ هَدْيِكَ، وَدَفْقَةٌ مِنْ نَبْعِكَ الثَّرِّ النَّمِيرِ ـ أَرْفَعهُ إِليكَ رَاجِياً بِهِ شَفَاعَتَكَ، يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ... فَتَقَبَّلْهُ مِنِّي ـ يا حَبِيْبِي يا رَسُولَ اللهِ! ـ بِقَبُولٍ حَسَنٍ... جَزَاكَ اللهُ عَنْ أُمَّةِ الإِسْلامِ خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيّاً عَنْ أُمَّتِهِ، وَصَلَّى عَلَيْكَ صَلاةً دَائِمَةً لا تَنْقَطِعُ أَبَدَاً...

المؤمنُ بك والمنتسبُ إليكَ:

حامد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة [1] في المؤلِّف والكتاب

١ ـ المؤلِّف:

هو الحافظ أبو جعفر ـ وأبو عبدالله ـ محمّد بن عليّ بن شهرآشوب ابن أبي نصر بن أبي الجيش السّروي المازندراني الملقّب برشيد الدّين، وعزّ الدّين.

---

(١) **مصادر المقدّمة**: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الاصفهاني) / الكشاف (جار الله الزمخشري) / مجمع البيان (أبو علي الطبرسي) / الوافي بالوفيات (الصفدي) / البلغة في تاريخ أئمة اللغة (الفيروزآبادي) / لسان الميزان (ابن حجر العسقلاني) . الإتقان في علوم القرآن (السيوطي) / طبقات المفسرين (الداودي) / أمل الآمل (الحر العاملي) / نقد الرجال (التفريشي) / كشف الظنون (حاجي خليفة) / إيضاح المكنون (إسماعيل باشا البغدادي) / الذريعة إلى تصانيف الشيعة (أغا بزرك)/ الأعلام(خيرالدين الزركلي)/ مباحث في علوم القرآن (صبحي الصالح)/ مقدّمة معالم العلماء (محمد صادق بحرالعلوم) / الميزان في تفسير القرآن (محمد حسين الطباطبائي) / التفسير والمفسرون (محمد هادي معرفة) / علوم القرآن (محمد باقر الحكيم) / معجم المفسرين من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر (عادل زعيتر) / قضايا إسلامية (مجلة مقال علي الكعبي: ع٧، ١٤٢٠هـ.

الإمام الفقيه المحدِّث، والمفسِّر، المحقّق، والأديب البارع، الجامع لفنون الفضائل، وحسبُك أنَّهُ اشتهر بلقب «شيخ الطائفة» وهذا اللقب العالي، لم يَفُز به غيره بعد شيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفَّى سنة ٤٦٠هـ.

وُلِد ـ على ما صرَّح به أصحابُ التراجم ـ سنة ٤٨٩هـ. ونشأ في بيتٍ عُرف بالتقوى والفضيلة والعِلْم. فقد تلقّى العلم عن جدِّه شهرآشوب ـ وقد كان فاضلاً محدِّثاً ـ وعن أبيه عليّ ـ وكان فاضلاً، عالماً، فقيهاً محدِّثاً.

حفظ ابنُ شهرآشوب القرآن، وله ثماني سنوات ـ ولهذا لقّب بالحافظ ـ واشتغل بالحديث، ولقي الرجال، ثُمَّ تفقَّه، وبلغ النهاية في فقه أهل البيت (عليهم السلام)، ونبغ في علم الأُصول، ثُمَّ تقدَّم في علوم القرآن، والقراءات، والغريب، والتفسير، والنّحو، وركب المنبر للوعظ.

ولم يَدُم المقام بابن شهرآشوب في سارية مازندران ـ التي وُلد فيها ونشأ وتلقّى علومه ـ طويلاً، حتّى خَشِيَهُ واليها، فأخرجهُ منها عنوةً، فصار إلى بغداد في أيّام المقتفي العباسيّ (٥٣٠هـ ـ ٥٥٥هـ) ووعظ، وعظُمَتْ منزلتُهُ، وخُلِع عليه. وناظر، فاستظهر على خصومه، ولُقِّب برشيد الدّين ـ وكان يلقَّبُ بعزّ الدّين ـ ثُمَّ خرج إلى الموصل، ثم قَدِمَ حَلَب، وكانت وفاته فيها في شعبان سنة ٥٨٨هـ. ودُفِنَ في سفح جبل هناك، يقال له: جوشن. وهي مقبرة لدفن كبار علماء الشيعة في حلب.

ويرى شيعة حلب: أنّ هذا المحلَّ، هو مشهد (محسن) السقط ابن الإمام أبي عبدالله الحسين بن الإمام عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام).

وكان ابن شهرآشوب بهيَّ المنظر، حسن الوجه والشيبة، صدوق اللهجة، مستعذَب الألفاظ، مليح المحاورة، واسع العلم، كثير الفنون، حسن الغوص على المعاني، كثير الخشوع والعبادة والتهجُّد، لا يجلس إلّا على وضوء.



٢ ـ شيوخه:

تلمذ ابن شهرآشوب على جماعة من الأساتيذ الكبار ـ بعد تلمذته لجدِّه (شهرآشوب) وأبيه (عليّ).

وأشهر شيوخه:

١ ـ جار الله الزمخشريّ المعتزلي ـ صاحب (الكشّاف) ـ المتوفّى سنة ٥٣٨هـ.

٢ ـ أبو عبدالله محمّد بن أحمد النطنزي ـ صاحب كتاب (الخصائص العلوية) ـ من علماء القرنين الخامس والسادس الهجريين.

٣ ـ ناصح الدّين أبو الفتح عبدالواحد التميمي الآمدي ـ صاحب (غرر الحكم ودرر الكلم) ـ المولود سنة ٥١٠هـ.

٤ ـ أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ـ صاحب (الاحتجاج) ـ وهو من أهل المائة الخامسة الذين أدركوا المائة السادسة.

٥ ـ أبو الحسين سعيد بن هبة الله المعروف بالقطب الراوندي ـ صاحب (فقه القرآن) ـ المتوفّى سنة ٥٧٣هـ.

٦ ـ أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسيّ ـ صاحب (مجمع البيان) ـ المتوفَّى سنة ٥٤٨هـ.

٧ ـ عليّ بن أبي القاسم البيهقيّ ـ صاحب (تاريخ بيهق) ـ المتوفَّى سنة ٥٦٥هـ.

٨ ـ جمال الدّين أبو الفتوح الحسين بن علي الرازي ـ صاحب تفسير (روض الجنان وروح الجنان).

٩ ـ أبو عليّ محمّد بن الحسن الفتّال الواعظ النيسابوري ـ صاحب كتاب (روضة الواعظين) ـ الشهيد سنة ٥٠٨هـ.

١٠ ـ أبو الحسن فريد خراسان عليّ بن أبي القاسم زيد بن الحاكم الإمام أميرك محمد، المتوفّى سنة ٥٦٥هـ.

١١ ـ السيد الإمام ضياء الدين أبو الرضا فضل الله بن عليّ بن عبيدالله الحسني الراوندي القاشاني صاحب (النوادر) ـ المتوفّى سنة ٥٧١هـ.

١٢ ـ وروى عن كثير، وأجازه كثيرون.



٣ ـ مؤلّفاته:

كان ابن شهرآشوب (رحمه الله) عالماً موسوعياً جامعاً، ذا جوانب علميّة متعدّدة متنوّعة. لذا جاءت تصنيفاته العلميّة انعكاساً طبيعيّاً لشخصيته العلميّة.

وفيما يلي جردٌ لأهمِّ مؤلّفاته ـ التي وصلت إلينا والتي فُقِدت فلم تصل إلينا ـ كما أوردتها المصادر[١]:

١ ـ مناقب آل أبي طالب.

٢ ـ مثالب النواصب.

٣ ـ المخزون المكنون في عيون الفنون.

٤ ـ مائدة الفائدة.

٥ ـ المثال في الأمثال.

٦ ـ معالم العلماء.

٧ ـ أسباب النزول على مذهب آل الرسول.

٨ ـ الحاوي.

٩ ـ متشابه القرآن (وهو كتابنا).

١٠ ـ الأوصاف.

١١ ـ المنهاج.

١٢ ـ كتاب الأربعين في مناقب سيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام).

١٣ ـ الفصول في النحو.



(١) اعتمدنا في إعداد قائمة مؤلفاته على كتاب: الذريعة إلى مصنفات الشيعة. وعلى مقدّمة (معالم العلماء) للسيد محمد صادق بحر العلوم. وعلى كتاب: البلغة في تاريخ أئمة اللغة.

٤ ـ شعره:

كان ابن شهر آشوب (رحمه الله) شاعراً لما يكتنزه من معرفة باللغة والأدب والتاريخ وعلوم القرآن وغير ذلك مما يرفد ملكة قول الشعر، لكنّ شعره لم يكن من الطبقة العليا، شأنه في ذلك شأن العلماء الذين لا يتخذون الشعر ديدناً لهم، يتخصصون فيه، ويجيدون فيه كلّ الإجادة، وقد أورد في كتابيه: (مناقب آل أبي طالب) و(متشابه القرآن) طائفة من شعره، تؤيّد ما ذهبنا إليه، ويحمل الصبغة العلميّة، والعقائديّة.



٥ ـ أقوال العلماء فيه:

كان ابن شهرآشوب شخصيّة علميّة ضخمة، فرضَت وجودها في عصرها، وتركت أثراً واضحاً لمن بعدها. لهذا لم تغفل المراجع العلمية ذكره، وذكر تصانيفه. بل إنّ العلماء من مختلف المدارس والمذاهب والاتجاهات ذكروه، وأطروه، وحدّدوا أبعاد شخصيته العلميّة الضخمة، وما انتجته من تآليف جليلة وخاصة في علوم القرآن.

فقد ذكره صلاح الدين الصفدي قائلاً: «محمّد بن علي بن شهرآشوب أبوجعفر السرويّ المازندراني رشيد الدّين الشيعي، أحد شيوخ الشيعة، حفظ القرآن وله ثماني سنين، وبلغ النهاية في أُصول الشيعة. كان يرحل إليه من البلاد،

ثم تقدَّم في علم القرآن والغريب والنحو، ووعظ على المنبر أيام المقتفي ببغداد، فأعجبه وخلع عليه، وأثنى عليه كثيراً»[١].

وقال شمس الدّين محمّد بن عليّ الدَّاودي المالكي في طبقات المفسّرين[٢]: «محمد بن علي بن شهرآشوب بن أبي نصر، أبو جعفر السّروي المازندراني رشيد الدين، أحد شيوخ الشيعة، اشتغل بالحديث ولقي الرجال، ثم تفقّه، وبلغ النهاية في فقه أهل مذهبه، ونبغ في الأُصول، حتّى صار رحلة، ثم تقدّم في علم القرآن، والقراءات والتفسير والنحو. وكان إمام عصره، وواحد دهره، أحسنَ الجمعَ والتأليف، وغلب عليه علم القرآن والحديث. وهو ـ عند الشيعة ـ كالخطيب البغدادي لأهل السنّة في تصانيفه... واسع العلم، كثير الفنون».

وقال عنه ابن حجر العسقلاني الشافعي: «اشتغل بالحديث، ولقي الرجال، ثمَّ تفقّه، وبلغ النهاية في فقه أهل البيت، ونبغ في الأُصول، ثمَّ تقدَّم في القراءات والقرآن، والتفسير والعربيّة، وكان مقبول الصورة، مليح العَرْض على المعاني... وكان كثير الخشوع مات في شعبان سنة ٥٨٨هـ»[٣].

وذكره السيد مصطفى التفريشي في (نقد الرجال)[٤] فقال: «محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، رشيد الدين، شيخ هذه الطائفة وفقيهها، وكان شاعراً، بليغاً، منشئاً».

---

(١) الوافي بالوفيات: ٤: ١٦٤.

(٢) طبقات المفسرين: ٢: ٢٠١.

(٣) لسان الميزان: ٥: ٣١٠.

(٤) نقد الرجال: ٤: ٢٧٦.

وذكره الشيخ الحرّ العاملي في (أمل الآمل)[١] قائلاً: «رشيد الدين محمّد بن علي بن شهرآشوب المازندراني السّرويّ. كان عالماً، فاضلاً، ثقةً، محدِّثاً، محقِّقاً، عارفاً بالرجال، والأخبار، أديباً شاعراً، جامعاً للمحاسن».

وقال عنه محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي ـ صاحب القاموس المحيط ـ في كتابه «البلغة في تاريخ أئمة اللغة»[٢]: «محمّد بن عليّ بن شهرآشوب، أبو جعفر المازندراني الشيعي، بلغ النهاية في أُصول الشيعة. تقدَّمَ في علم القرآن، واللّغة، والنحو... وكان واسع العلم، كثير العبادة، دائم الوضوء، له كتاب الفصول في النحو... و...».

***

٦ ـ في معنى المحكم والمتشابه:

اختلف العلماء والمفسِّرون في معنى المحكم والمتشابه:

قال الطبرسيّ في مجمع البيان[٣]:

«قيل في المحكم والمتشابه أقوال:

أحدهما: إنَّ المحكم، ما عُلِمَ المراد بظاهره، من غير قرينة، تقترن إليه، ولا دلالة، تدلُّ على المراد به، لوضوحه...

---

(١) أمل الآمل: ٢: ٢٨٥.

(٢) البلغة في تاريخ أئمة اللغة: ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٣) مجمع البيان: ٢: ٢٣٩.

والمتشابه: ما لا يُعلَم المرادُ بظاهرهِ حتى يقترن به ما يـدلُّ عـلى المـراد منـه لالتباسه... وهو قول مجاهد.

وثانيها: إنَّ المحكم، الناسخ، والمتشابه، المنسوخ. عن ابن عبّاس.

وثالثها: إنَّ المحكم، ما لا يحتمل من التأويل إلّا وجهاً واحداً، والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً... عن أبي عليٍّ الجبّائي.

ورابعها: إنَّ المحكم، ما لم تتكرّر ألفاظـه، والمتـشابه، مـا تتكـرّر ألفاظـه، كقصّة موسى (عليه السلام) وغير ذلك عن ابن زيد.

وخامسها: إنّ المحكم ما يعلم تعيين تأويله، والمتشابه، ما لا يعلـم تعيـين تأويله، كقيام الساعة. عن جابر بن عبدالله.

وقال ابن شهرآشوب[1]: «والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره، حتى يقـترن به ما يدلُّ على المراد منه لالتباسه...

ومنها ما هو محكم فيه غرضه، مثل قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وقال الراغب الاصفهاني في «مفردات ألفاظ القـرآن»[2]: «فـالمحكم: مـا لايعرض فيه شبهة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى...».

«والمتشابه من القرآن: ما أشكل تفـسيره لمـشابهته بغـيره، إمَّـا مـن حيـث اللفظ، أو من حيث المعنى...».

---

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه: ١ ـ ٣.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٢٥١، ٤٤٣.

وأورد السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»[١] جملة من الأقوال في تفسير المحكم والمتشابه. قال:

«وقد اختلف في تعيين المحكم من المتشابه على أقوال:

فقيل: المحكم ما عرف المراد: إمّا بالظهور، وإمّا بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه...

وقيل: المحكم ما وضح معناه، والمتشابه، نقيضه.

وقيل: المحكم، ما لا يحتمل التأويل إلّا وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتمل أوجهاً.

وقيل: المحكم ما كان معقول المعنى، والمتشابه بخلافِهِ.

وقيل: المحكم ما استقلَّ بنفسه، والمتشابه، لا يستقلُّ بنفسه، إلّا بردِّه إلى غيرِهِ.

وقيل: المحكم، ما تأويلُهُ، تنزيلُهُ، والمتشابه، ما لا يُدْرى إلّا بالتأويل.

وقيل: المحكم، ما لم تتكرَّر ألفاظه، ومقابلُهُ، المتشابَهُ».

وقال الدكتور صبحي الصالح في كتابه «مباحث في علوم القرآن»[٢]:

«إنَّ المحكم، هو الذي يدلُّ على معناه، بوضوح، لا خفاء فيه، والمتشابه هو الذي يخلو من الدلالة الراجحة على معناه، فيدخل في المحكم: النصُّ، والظاهر... ويدخل في المتشابه: المجملُ، والمؤوّل، والمشكل».

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٣: ٣ ـ ٥.

(٢) مباحث في علوم القرآن: ٢٨٢.

وفي كتاب «علوم القرآن»[١] للسيد محمّد باقر الحكيم:

«المحكم من الآيات: ما يدلُّ على مفهوم معيَّن، لا نجد صعوبةً، أو تردُّداً في تجسيد صورته، أو تشخيصه في مصداق معيَّن.

والمتشابه: ما يدلُّ على مفهوم معيَّن، تختلط علينا صورته الواقعيّة، ومصداقه الخارجيُّ».

وقد نقل السيد محمّد حسين الطباطبائي في «الميزان في تفسير القرآن»[٢] ستة عشر قولاً في معنى «المحكم والمتشابه» واستدرك عليها محاججاً.



٧ ـ الحكمة في اشتمال القرآن على المتشابه:

ما هو السببُ في اشتمال الكتاب على المتشابه ؟

قال الزّمخشريّ في «الكشّاف»[٣]:

«فإنْ قُلْتَ: فَهَلّا كانَ القرآنُ كُلُّهُ مُحكَماً ؟

قلتُ: لو كان كُلُّه محكَماً، لتعلَّق الناس به، لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عمّا يحتاجون فيه إلى الفحص، والتأمُّل من النظر، والاستدلال. ولو فعلوا ذلك، لعطّلوا الطريق، الذي لا يتوصَّلُ إلى معرفة الله، وتوحيده إلّا به، ولما في المتشابه

(١) علوم القرآن: ١٧١.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٣: ٣٨ ـ ٤٥.

(٣) الكشّاف: ١: ٣٦٦.

من الابتلاء، والتّمييز بين الثابت على الحقِّ، والمتزلزل فيه، ولما في تقادح العلماء، وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه، وردِّهِ إلى المحكم مِنَ الفوائد الجليلة، والعلوم الجمَّة، ونيل الدرجات عند الله، ولأنَّ المؤمن المعتقد أنْ لا مناقضة في كلام الله، ولا اختلاف، إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره. وأهمَّهُ طلبُ ما يوفِّق بينَهُ، ويجريه على سنن واحد، ففكَّر، وراجع نفسه، وغيره، ففتح الله عليه، وتبيّن مطابقةَ المتشابهِ المحكمَ، ازداد طمأنينةً إلى معتقده، وقوّةً في إيقانه».

وقال ابن شهرآشوب[1]:

«والحكمة في إنزال المتشابه: الحثُّ على النظر الذي يوجب العِلْمَ، دونَ الاتّكال على الخبر من غير نظر... ثُمَّ إنَّ به يتميَّز العالم من الجاهل، كما قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.

وقد بسط السيّد الطباطبائي في تفسيره «الميزان»[2] الحكمة في اشتمال القرآن على المتشابه بقولِهِ:

«والذي يستحقّ الإيراد والبحث من الأجوبة، وجوهٌ ثلاثةٌ:

الأوّل: إنَّ اشتمال القرآن الكريم على المتشابهات لتمحيص القلوب في التّصديق به، فإنّه لو كان كلُّ ما ورد في الكتاب معقولاً، واضحاً، لا شبهةَ فيه عند أحدٍ، لما كان في الإيمان شيء من معنى الخضوع لأمرِ الله ـ تعالى ـ والتَّسليمِ لرسولِهِ.

---

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه: ١ : ٣.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٣: ٦٥ ـ ٦٦.

الثاني: إنَّ اشتماله على المتشابه، إنّما هو لبعثِ العقلِ على البحث، والتنقير، لئلّا يموتَ بإهمالِهِ بإلقاءِ الواضحات التي لا يعمل فيها عامل الفكر، فإنّ العقلَ، أعزُّ القوى الإنسانيّة التي يجب تربيتها بتربية الإنسان.

الثالث: إنَّ الأنبياء بُعِثوا إلى الناس، وفيهم العامّة، والخاصَّة، والذكيُّ والبليد، والعالم، والجاهل، وكان من المعاني ما لا يمكن التعبير عنه بعبارة، تكشف عن حقيقته، وتشرح كنهَهُ، بحيث يفهمه الجميع على السّواء. فالحريُّ في أمثالِ هذهِ المعاني أنْ تُلْقى بحيث يفهمه الخاصّةُ، ولو بطريق الكناية، والتعريض، ويؤمر العامَّةُ فيها بالتسليم، وتفويض الأمر إلى الله ـ تعالى ـ».

وقد قَرَن السيد الطباطبائي بين معنى التأويل والمتشابه، فقال[1]: «فسَّرَ قومٌ من المفسِّرين (التأويلَ) بـ(التفسير). وإذا كان المراد من بعض الآيات معلوماً بالضرورة، كان المراد بالتأويل ـ على هذا ـ من قولِهِ ـ تعالى ـ: ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ هو المعنى المراد بالآية المتشابهة، فلا طريق إلى العلم بالآيات المتشابهة ـ على هذا القول ـ لغير الله سبحانه، أو: لغيره، وغير الراسخين في العلم.

وقالت طائفة أُخرى: إنَّ المرادَ بالتأويل: هو المعنى المخالف لظاهر اللّفظ. وقد شاع هذا المعنى بحيث عاد اللفظُ حقيقةً ثانيةً فيه، ما كان ـ بحسب اللّفظ ـ لمعنى مطلق الإجماع أو المرجع».



(١) الميزان في تفسير القرآن: ٣: ٥١.

٨ ـ أهمُّ كُتُبِ «متشابه القرآن»:

اهتمّ علماء المسلمين بكتاب الله اهتماماً كبيراً، حتّى أنّنا نستطيع القولَ: أنْ ليس هناك كتاب لَقِيَ من العناية والاهتمام والدَّرسِ ما لَقِيَهُ القرآنُ الكريم. فقد اهتمّوا بجوانبه جميعاً: بقراءاته، ونحوه، ولغته، وصرفه، وبلاغته، وناسخه، ومنسوخه، وأسباب نزوله، وفقهه وأحكامه، وإعجازه... وكان من جملة ما اهتمّوا به: محكمُهُ، ومتشابهُهُ. وألّف العلماءُ في هذا الجانب مؤلّفات كثيرة أهمّها[١]:

١ ـ متشابه القرآن لأبي عمارة حمزة بن حبيب الزيّات، من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) والمتوفّى أيام المنصور.

٢ ـ المتشابه في القرآن، لعليِّ بن حَمْزَة الكسائي (ت ١٨٩هـ).

٣ ـ متشابه القرآن، لأبي عبيدة مَعْمَر بن المثنّى (ت ٢٠٩هـ).

٤ ـ متشابه القرآن، لبِشْرِ بن المعتمر (ت ٢١٠هـ).

٥ ـ متشابه القرآن، لمحمّد بن الهذيل العلّاف (ت٢٥٣هـ).

٦ ـ متشابه القرآن، لجعفر بن حرب (ت٢٣٦هـ).

٧ ـ متشابه القرآن، لأحمد بن جعفر (ابن المنادي) (ت ٢٥٦هـ).

٨ ـ متشابه القرآن، لمحمّد بن عبدالوهاب الجبّائي (ت ٣٠٣هـ).

٩ ـ المتشابه في القرآن، للشريف الرضي أبي الحسن محمّد بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦هـ).

---

(١) أنظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. الذّريعة إلى تصانيف الشيعة. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر.

١٠ ـ متشابه القرآن، للقاضي عبدالجبار المعتزلي (ت ٤١٥هـ).

١١ ـ متشابه القرآن، لأبي سعيد محمّد بن أحمد بن محمّد العميري (ت٤٣٣هـ).

١٢ ـ متشابه القرآن والمختلف فيه، لرشيد الدين محمّد بن علي بن شهرآشوب (ت ٥٨٨هـ).

١٣ ـ متشابهات القرآن، لعلم الدّين بن علي بن محمّد السّخاوي (ت٦٤٣هـ).

١٤ ـ متشابه القرآن، لمحمّد بن محمّد (ابن الإمام) (ت ٧٤٥هـ).

١٥ ـ ردّ المتشابه إلى المحكم، للشيخ محمّد بن أحمد بن اللبّان الأشعري المصري (ت ٧٤٩هـ).

١٦ ـ متشابه القرآن، للشيخ أبي عبدالله محمد بن هارون المعروف والده بالسكال (الكال).

١٧ ـ متشابه القرآن، لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ).

١٨ ـ متشابه القرآن، لصدر المتألّهين محمّد إبراهيم الشيرازي (الملّا صدرا) (ت ١٠٥٠هـ).

١٩ ـ متشابهات القرآن، لأحمد بن محمد الدردير (ت١٢٠١هـ).

٢٠ ـ إلى غيرها من مؤلّفات حديثة نسبياً، أو معاصرة.



٩ ـ متشابه القرآن والمختلف فيه ـ لابن شهرآشوب ـ:

لابن شهرآشوب باعٌ طويلٌ في العناية بالقرآن الكريم. ينبئنا بذلك كتابه هذا في (المتشابه) وكتابه المفقود (أسباب النزول).

وكتابه (متشابه القرآن) ـ الذي نحن بصدد الحديث عنه ـ «يعدُّ من كتب التفسير المهمّة، الّتي لا يستغني عنها مَنْ يريد أنْ يفهم كلام الله، ويقف على معانيه، وأسرار بلاغته. وقد جمع فيه المؤلِّف بين التفسير والتأويل في ضوء الحديث وأقوال المفسِّرين، وأدلّة الشرع، ومقتضى العقل، وقانون اللغة العربية»[1].

وهو يتميّز ـ كما يقول السيد هبة الدّين الشهرستاني[2] ـ: «بحسن أُسلوبه وتبويبه، وبداعة ترتيبه، إذْ صاغ المصنَّفَ مصنِّفُه العلّامةُ المتفنّن على دوائر العلوم الإسلاميّة، فوزَّع المتشابهات على ذاك النَّسق مبتدئاً من أبواب التوحيد، وصفات الله، فأبواب العدل والتنزيه، إلى أبواب النبوّة، والإمامة، فالمعاد يوم القيامة، ثمّ أبواب الفقه والتشريع... ثم الفنون الأدبيّة والعربيّة. وهذا الوضع البديع، نادرٌ، غير مسبوق، يعين الطالب في تسهيل المطالب... مع حسن أُسلوبه، وسبكه البديع في انتقاء المعاني المهمّة، وانتخاب المطالب الفذّة... بفصاحة لفظ تعانق بلاغة المعنى بإيجاز واختصار جعلتا هذا السِّفْرَ النّفيس جديراً للمصاحبة والتدريس».

---

(١) قضايا إسلامية: ٣٠٩. من دراسة للأستاذ علي الكعبي.

(٢) متشابه القرآن: ٢: ٢٨٧.

ويقول الأُستاذ محمّد هادي معرفة[1] عنه: «فهو من خير ما كُتب في متشابهات القرآن بأجمعها، وأشملها، وأتقنها إحكاماً، وبياناً، وتفصيلاً، وَضَعَهُ على أُسلوبٍ طريفٍ... وما إلى ذلك ترتيباً طبيعيّاً، منسجماً، سَهْلَ التناول، قريب المنال في عباراتٍ سهلةٍ، جزلةٍ».

نهج ابن شهرآشوب طريقةً مثلى في تبويب كتابه، تستوعب جميع أنواع التشابه، وأسبابه ولا تخرج منه آية من الآيات المتشابهات، إذْ وزَّع هذه الآيات حسب موضوعها على عشرة أبواب هي:

١ ـ باب ما يتعلّق بأبواب التوحيد.

٢ ـ باب ما يدخل في أبواب العدل.

٣ ـ باب ما جاء في النبوّات.

٤ ـ باب ما يتعلّق بالإمامة.

٥ ـ باب المفردات.

٦ ـ باب ما يتعلّق بأُصول الفقه.

٧ ـ باب فيما يحكم عليه الفقهاء.

٨ ـ باب الناسخ والمنسوخ.

٩ ـ باب مما جاء من طريق النحو.

١٠ ـ باب النوادر.

(١) التفسير والمفسرون: ٢: ٩٣١.

ثمّ قسَّم المؤلِّف كلَّ باب من الأبواب العشرة المتقدِّمة إلى عدَّة فصول. إلّا أنّه لم يَلتزم بعنونة الفصول المتفرِّعة مكتفياً بالإشارة إلى بداية كلّ فصلٍ جديد بكلمة (فصل).

وقد تابع المؤلِّف التزامه النسق الموضوعيّ، الذي تبنّاهُ في هذه الفصول أيضاً، فجمع في كلِّ فصلٍ الآيات المتشابهات التي تجتمع بالدلالة، أو القرينة، أو الوجه، أو سبب التشابه، أو نوعه...[1].

أمّا الموارد التي استقى منها في تفسيره، فقد قال في مقدّمته: إنّه إمّا أنْ يكون محرِّراً لما قاله المفسّرون، والمتكلّمون، أو محقّقاً لأقوالهم، أو مبتدئاً القولَ في التفسير.

وقد وجدنا ابن شهرآشوب أميناً فيما ينقله، فهو يعزو النصوص إلى قائليها، وقد ينتقدها، أو يردّها. وقد وظّف عدّة مناهج في تأليف كتابه:

فقد اعتمد منهج تفسير القرآن بالقرآن بحمل المتشابه على المحكم. فالقرآن يفسِّر بعضه بعضاً.

كما اعتمد منهج التفسير بالأثر، فاستند إلى روايات أهل البيت (عليهم السلام) لتعضيد ما يذهب إليه، كما عوّل على روايات الصحابة لاسيّما في مقام الاحتجاج.

كما عوَّل ابنُ شهرآشوب ـ في بعض موارد تفسيره ـ على إجماع الأُمّة، وعنده: أنّ الإجماع لابدّ من أن يكون قول الإمام المعصوم داخلاً فيه.

كما حرص ابن شهرآشوب على التوفيق بين تأويل النصوص وما دار على

---

(١) قضايا إسلامية: ٣١٢ ـ ٣١٣، من دراسة للأستاذ علي الكعبي.

ألسنة العرب من استعمالاتٍ لغويةٍ ونصوصٍ فصيحةٍ، والاحتكام إلى ما هو معروف من لغة العرب، وأشعارهم، إلى جانب النقول المأثورة الأُخرى، وقد أعانه على ذلك وَفْرةُ محفوظه من الشعر واللغة ومأثور الكلام.

وقد وظّف كثيراً من الشواهد الشعرية الاعتقادية لأغراضه في تأويل المتشابه، مؤيِّداً رأيه، أو ناقضاً قول مخالفيه. كما أورد ابن شهرآشوب أقوال المفسّرين والمتكلّمين والفقهاء واللغويين ـ بعلميّة وحياديّة ـ ومن مختلف المذاهب والمدارس، والاتجاهات. وهو فيما ينقله من المتقدِّمين عليه نجده بين موقفين:

أنْ يكتفي بعرض الآراء دون أن يبدي نظراً أو رأياً.

أو أنْ يعرض الآراء، ويبدي موقفاً في الترجيح والردّ والمفاضلة. وجملة ترجيحاته، وردوده تقوم على نظرات علميّة، وأدبيّة، ولغويّة، دقيقة.

ثم إنّ ابن شهرآشوب اعتمد منهج إيراد المناظرات الكلاميّة والاحتجاجات الاعتقادية في جملة من المسائل التي دار حولها الجدل، واختلفت فيها الآراء. وقد أكسبت هذه المناظرات تفسيره أهمّية خاصّة ونفخت فيه روحاً حيّة متجدّدة.

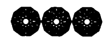
وهو في مجمل مسائل الاعتقاد والتشريع ينتصر لمذهب الإمامية الاثنى عشرية المتمسكين بولاية أهل بيت النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله) وعترته الميامين من دون غضٍّ أو تجريح لمخالفيهم، أو طعن وتشهير[1].

(١) استفاد هذا المطلب من الدراسة القيّمة للأستاذ علي الكعبي المنشورة في مجلة قضايا إسلامية: ٣١٤ـ٣٣١.

بقي أن نقول: إنَّ ابن شهرآشوب لم يقتصر في كتابه هذا على المتشابه من القرآن الكريم، بل تجاوزه إلى ما اختلف فيه العلماء، والفقهاء في مسائل: الفقه، وأُصوله، والناسخ والمنسوخ، وما جاء من طريق النحو والبلاغة. لذلك وسم كتابه بـ(متشابه القرآن والمختلف فيه) ليكون محيطاً بمضامينه.

إنَّ كتاب (متشابه القرآن والمختلف فيه) لابن شهرآشوب سلك منهجاً متميِّزاً في التأليف. لم يُسبق إليه، فهو أخذَ بالتفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم، انفرد به عن سابقيهِ ولاحقيهِ، فقد دأبت كُتب المتشابه على إيراد الآيات المتشابهة في سياقها من السور القرآنية بحسب ترتيبها في القرآن الكريم.

أمّا ابن شهرآشوب، فقد ابتكر منهجاً فريداً جمع فيه الآيات ذات الموضوع الواحد في موضع واحد، مفسِّراً بعضها ببعض، وهذا دليل تفرّده، وأصالته، وقوّة شخصيّته العلميّة في إنجاز كتابٍ في (المتشابه) ندّعي ـ واثقين ـ بأنّه أفضل ما أُلِّف، وأشمل ما كتب، وأعمق ما صنِّف في موضوع (المتشابه) عند المسلمين جميعاً، على اختلاف مذاهبهم، وأعصارهم، وأمصارهم. فلله درُّهُ !



١٠ ـ توثيق نسبة الكتاب إلى ابن شهرآشوب:

أجمعت مصادر العامّة والخاصّة، وكتب الرجال، وفهارس الكتب على نسبة كتاب (متشابه القرآن) إلى محمّد بن عليّ بن شهرآشوب المتوفَّى (٥٨٨هـ). كما أنّه ذكره هو في كتابه (معالم العلماء) الذي هو تكملة لفهرست الشيخ

أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ المتوفّى (٤٦٠هـ).

وقد ذكر فيها ـ جميعاً ـ باسم: (متشابه القرآن). وقد نصَّ المؤلِّف في خاتمة كتابه على عنوانه كاملاً، فقال: «هذا آخر كتاب متشابه القرآن والمختلف فيه».

وقد طُبع بعناية السيد هبة الدّين الشهرستاني سنة ١٣٦٩هـ في إيران بعنوان: «متشابه القرآن ومختلفه»، ونورد على هذا العنوان ملاحظتين:

الأُولى: مخالفته لما نصَّ عليه المؤلِّف في عنونة كتابه.

والثانية: مخالفته لقواعد العربيّة، فالفعل (اختلف) فعل لازم، فلا يكون مرفوعه ـ عند بنائه للمفعول ـ إلّا ظرفاً، أو جارّاً ومجروراً، أو مصدراً مقيَّداً.

فالصواب أن يقال (والمختلف فيه)، كما أثبتهُ المصنِّفُ العلّامة النِّحرير.

كما نودُّ أن نشير إلى أنّ ابن شهرآشوب حين ألَّف كتابه كان قد بلغ مرحلة النُّضج العلمي، والرصانة الفكرية، والتمرُّس في الدَّرس، والكتابة والتأليف والحياة، فقد ذكر في خاتمة كتابه: «نجز الكتاب في سنة سبعين وخمسمائة»، فهو ـ إذن ـ قد ألَّفه وقد بلغ من العمر إحدى وثمانين سنة، وقد ألّف ـ قبله ـ مجموعة من الكتب، ذكر بعضها في كتابه (المتشابه) ككتاب: أسباب النزول، وكتاب: مناقب آل أبي طالب. ونقل عن ثانيهما.

❁❁❁

١١ ـ النُّسخ التي اعتمدنا عليها في التحقيق:

اعتمدنا في تحقيق كتاب (متشابه القرآن والمختلف فيه) على خمس نُسخٍ خطِّية وهي:

١ ـ نسخة المكتبة الحسينية الشوشترية العامّة في النجف الأشرف (وهي اليوم من المكتبات الداثرة وانتقلت مخطوطاتها إلى مكتبة المتحف العراقي سنة ١٩٨١م).

وهي نسخة تامّة، دقيقة الخطّ، مقروءة، تقع في جزأين:

الجزء الأول: في ١٣٤ صفحة. تم نسخه سنة ١١٠٣هـ.

والجزء الثاني: في ١٤٦ صفحة. تم نسخه سنة ١٠٧٩هـ.

مقاس صفحاتها: ٢٥سم × ١٥ سم.

عدد أسطر الصفحة: ٢٩ سطراً.

بالتسلسل: ٧٦٤ وبالرقم ١٣/ ١٢٣.

٢ ـ نسخة المكتبة الحسينية ببغداد (هبة الدين الشهرستاني) ـ مكتبة الجوادين ـ فيما بعد ـ في الكاظمية.

وهي نسخة كُتبت بخطٍّ واضح قديم، وسقطت منها أوراق متفرّقة، أُعيدت كتابتها، بخط حديث من قبل أحمد القمّي النجفي سنة ١٣٤٢هـ لخزانة السيد محمد علي هبة الدين.

مسجّلة بالرقم (١٧٧خ). وتقع في جزأين:

الجزء الأول: في ٢٠٩ صفحة.

والجزء الثاني: في ٢٢٠ صفحة.

عدد أسطر الصفحة: ٢٣ سطراً.

مقاس صفحاتها: ٣٠سم × ١٥سم.

رمزنا إليها بالحرف: (هـ).

٣ ـ نسخة مكتبة كاشف الغطاء العامّة.

وهي نسخة تامّة مقروءة، واضحة الخطّ، مغفلة من اسم الناسخ، وتاريخ النسخ.

وتقع في جزأين:

الجزء الأول: في ٢٥٥ صفحة.

والجزء الثاني: في ٢٥٧ صفحة.

مقاس صفحاتها: ٢٥سم × ١٥ سم.

عدد أسطر الصفحة: ٢١ سطراً.

ورمزنا إليها بالحرف: (ك).

٤ ـ نسخة مكتبة آية الله الحكيم العامّة:

نسخة تامّة، واضحة الخط، استنسخها لنفسه الشيخ محمد بن طاهر بن حبيب السماوي. وفرغ من نسخها في منتصب ربيع الثاني سنة ١٣٣٦هـ. ثم فرغ من مقابلتها مع نسخة صحيحة قديمة ـ كما يقول ـ في شهر رمضان سنة ١٣٤٦هـ. مسجّلة بالرقم (٢٧٤٦٠) وتقع في جزأين:

الجزء الأول: في ١٧٥ صفحة.

والجزء الثاني: في ١٨٠ صفحة.

مقاس صفحاتها: ٢٥سم × ١٥سم.

عدد أسطر الصفحة: ٢٥ سطراً.

ورمزنا إليها بالحرف: (ح).

٥ ـ نسخة مكتبة أمير المؤمنين (عليه السلام) العامّة.

وهي نسخة قديمة. كُتبت بخطٍّ رديء، كثير الخطأ والتحريف، والتصحيف، والسَّقط. وهي بالتسلسل العام بالرقم (٢٥١٧) والتسلسل المخزني (٨١/ ٣/ ١) علوم قرآن وتقع في جزأين:

الجزء الأول في: ١٦١ ورقة.

والجزء الثاني في: ٢٠٠ ورقة.

مقاس صفحاتها: ٢٦سم × ١٩سم.

عدد الأسطر في الصفحة: ٢١ سطراً.

ناسخها: علي بن أمير عبدالباقي المشكي الاصفهاني.

تاريخ النسخ: ١٠١٣هـ.

ورمزنا إليها بالحرف: (أ).

٦ ـ وقد استأنسنا بالنسخة المطبوعة سنة ١٣٦٩هـ في طهران بعناية السيد هبة الدين الشهرستاني الذي يقول عن النسخة الخطّية التي اعتمد عليها في طبعه الكتاب: «ومن منن الله ـ سبحانه ـ أنْ سافرتُ إلى بلاد الهند سنة ١٣٣٠هـ فأسفر سفري عن هذا السِّفر النفيس، وهو مخطوط قريب العصر من عصر مؤلّفه الجليل»[١].

ولعلّها هي النسخة التي بين أيدينا التي رمزنا إليها بالحرف (هـ).

وقال أيضاً: «وحصل ـ بعد السعي البليغ ـ نسخة مخطوطة أُخرى لهذا

---

(١) خاتمة طبعة السيد هبة الدين الشهرستاني لـ(متشابه القرآن والمختلف فيه): ٢: ٢٩٣.

الكتاب الفذ تعينه في المقابلة والتصحيح...»[١].

ويقول ناشر الكتاب (حسن مصطفوي): «ولما لم يكن عندنا إلّا ثلاث نسخ مخطوطة غير مصحّحة، فبذلنا جهدنا في مطابقتها، وإخراج هذه النسخة منها...».

ولم نقف على هذه النسخ الخطّية التي ذكرها السيد هبة الدين، والسيد حسن مصطفوي. ولا على أوصافها، أو مظانّ وجودها.

وقد جاءت طبعة (هبةالدين) للكتاب ـ بعد بذل الجهد والوسع والطاقة ـ أشبه بنسخة خطّية، خالية من شروط النشر العلمي تماماً، كثيرة التحريف والتصحيف، والسقط.

وعلى الرغم من كلِّ هذا، فقد اتخذنا طبعته هذه نسخة سادسة نستأنس بها عند الحاجة. وقد رمزنا إليها بالحرف: (ط).

ولابدّ من التنبيه على أنّ النسخ الخطّية الخمسة التي اعتمدنا عليها ـ كما تبيّن لنا ـ ترجع إلى أصلٍ واحدٍ، نقلت عنه في أوقات متفاوتة، وبخطوط مختلفة، فهي تكاد تكون متشابهة في كلِّ خصائصها: صحّةً، وخطأً، وسقطاً، تحريفاً، وتصحيفاً، إلّا ما تفرضه شخصيّة الناسخ، وقابليّاته في القراءة والكتابة.

ونأمل مستقبلاً ـ بإذن الله العزيز القدير ـ أن نحصل على نسخ أُخرى، تصلح ما فاتنا إصلاحه في هذه الطبعة.



---

(١) خاتمة طبعة السيد هبة الدين الشهرستاني لـ(متشابه القرآن والمختلف فيه): ٢: ٢٩٣.

١٢ ـ عملنا في تحقيق الكتاب:

١ ـ اتخذنا (النسخة «ش») أصلاً ـ وقابلنا معها النسخ الأُخرى ـ على الرغم من أنّها ليست أقدم النُّسخ لما تتميَّز به من دقّة وتمام وضبط، وقلّة تحريف وسقط.

٢ ـ حرصنا في المقابلة بين النسخ على تثبيت الاختلافات بينها مهما كانت جزئية، وطفيفة، وصغيرة، لكون النسخ الخمسة تعود إلى أصلٍ واحد والاختلاف بينها، متأتٍّ من اختلاف النسخ عن أصل واحد.

٣ ـ وضعنا الزيادات على النسخة (ش) والساقط منها بين معقوفتين [ ].

٤ ـ خرّجنا الآيات القرآنية الكريمة.

٥ ـ خرّجنا الأحاديث النبويّة الشريفة، وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام) والمرويّات من مظانّها المعتبرة.

٦ ـ خرّجنا الشواهد الشعريّة من دواوين الشعراء، أو المجاميع الشعرية.

٧ ـ أرجعنا الأحاديث إلى مواردها، التي نُقِلَتْ عنها.

٨ ـ حرصنا على إرجاع الإحالات إلى مصادرها وتوثيقها.

٩ ـ رقّمنا أبواب الكتاب العشرة، ثمّ رقّمنا الفصول داخل الباب الواحد.

١٠ ـ وضعنا عناوين مناسبة لكلّ فصلٍ بما يتضمّنه من مطالب.

١١ ـ علّقنا في بعض المواضع: استدراكاً، أو توضيحاً، أو تصحيحاً، أو توجيهاً.

١٢ ـ عملنا فهارس تفصيلية للكتاب بما يسهِّل الرجوع إلى مطالبه.

١٣ ـ كلمة أخيرة :

إنّ عملي في تحقيق (متشابه القرآن والمختلف فيه) كان قد تـمّ في ثمانينـات القرن الماضي، حينما لم تكن وسائل العمـل ميـسّرة، وأدوات التحقيـق بدائيـة في البحث والتنقيب، والتنقير، وكثير من مصادره مازالت مخطوطة، أو غير منشورة نشراً علمياً ـ وليس كما هي اليوم ـ. وبقي العمل مزويّاً لأكثر من عـشرين عامـاً لايمكن نشره في العراق، أو خارجه لظروف لا تخفى على أحـد، إلى أن تيـسّرت الفرصة بتغيّر الوضع العام في العراق فتحفّزت إلى عرضه للنـشر ـ كـما عُمِـلَ في ثمانينات القرن الماضي ـ فبادر منتدى النشر ـ بما له من تاريخ وجهاد وتطلع ـ إلى القيام بنشره.

ومما حفّزني إلى نشره، ما ورد في مقالة للأُستاذ علي الكعبي في مجلّة (قضايا إسلامية)[١] عن الكتاب، يقول في خاتمتها: «والذي أودّ أن أقوله في هذه الكلمة هو أنّ هذا الكتاب الذي جاء فريـداً في بابـه، ونهايـة في حـسن الـصوغ، ومجـال التعبير، ليكشف عن غزارة علم مؤلّفه، وعبقريتـه الفـذّة. وإحاطتـه في مختلـف العلوم، بقي هذا الكتاب، وبجميع حروفه المطبوعة منذ سنة ١٣٦٩ هـ يضجّ إلى المعنيين بشؤون تحقيق التراث الإسلامي، ويشكو إلى الأُخوة الباحثين مـن كثـرة التصحيف والتحريف والعيوب الطباعيّـة التـي تجعـل الباحـث والمراجـع لهـذا الكتاب يبذل متّسعاً من الوقت في التصحيح، والتوثيق والتقويم. وكلّنا أمل بأنّه سيلقى العناية من الأخوة المحقّقين ليأخذ مكانته المرموقة، وحيّـزه المطلـوب في المكتبة الإسلامية وبشكلٍ يناسب مقام مؤلّفه».

---

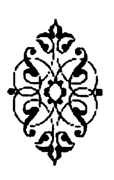
(١) قضايا إسلامية: ٣٥٦.

أدعو الله العزيز القدير أن يتقبَّل جهدنا بأحسن قبول، راجين وجهه الكريم وثوابه الجسيم في يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلّا من أتى اللهَ بقلبٍ سليم، إنّه هو الحليم الكريم، وصلّى الله على سيِّدنا نبيِّ الرحمة والهدى محمّد وآل بيته الطاهرين المنتجبين وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

﴿ وَالْـحَمْدُ للهِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾

حامد جابر حبيب المؤمن الموسوي

ربيع الأول الميمون ١٤٢٩هـ / النجف الأشرف



هذا كتاب متشابه القرآن بسم الله الرحمن الرحيم وإياه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله الطاهرين قال الشيخ الاجل شمس الاسلام ابو جعفر محمد بن علي بن شهرآشوب
المازندراني رضي الله عنه سألتم وفقكم الله للخيرات املاء كتاب في بيان المشكلات من الآيات المتشابهات
وما اختلف العلماء فيه من محكم الآيات ولعمري ان لهذا التحقيق بحرا عميقا ولا يكاد يوجد الا ألفاظا
في كتب كبار المتكلمين او نكتا في بعض تفاسير المحققين العدليين وقل ما يحصل ذلك للطالبين فاجبتكم
الى ذلك مع تقسم الفكر وضيق الصدر وشغل القلب ووعثاء السفر وفقدان الكتب فمنها ما ابتدأناه
ومنها ما سبقنا اليه فحررناه ومنها ما وجدناه مختلفا فحققناه والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن
به ما يدل على المراد منه لالتباسه وقال ابن عباس المحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ وقال مجاهد
المحكم ما لم يشتبه معناه والمتشابه ما اشتبهت معانيه وقال الجبائي المحكم ما لا يحتمل الا وجها واحدا
والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعدا وقال جابر المحكم ما يعلم تعيين تأويله والمتشابه ما لا يعلم تعيين
تأويله وقيل ما لا ينتظم لفظه معناه الا بزيادة او حذف او نقل وسمي متشابها لانه يشبه المحكم
وقيل لاشتباه المراد منه بالبين مراده والمتشابه في القرآن انما يقع فيما اختلف الناس فيه من امور
الدين نحو قوله واضله الله على علم واضلهم السامري ومنها ما لا يحتمل معنيين او ثلاثا او اكثر
فيحمل على الاصوب مثل يد الله مغلولة وتجري باعيننا ومنها ما يوهم فيه من المناقضة نحو فقضيهن
سبع سموات في يومين وقوله في اربعة ايام وقوله في ستة ايام ومنها ما هو محكم فيه غموض مثل
قوله ليس كمثله شيء وما يتبع ذلك من الغوامض التي تحتاج الى بيانها ويتخلص منها اما بموضوع اللغة
او بمقتضى العقل او بموجب الشرع والحكمة في انزال المتشابه الحث على النظر الذي يوجب العلم دون
الاتكال على الخبر من غير نظر وذلك انه لو لم يعلم بالنظر ان جميع ما يأتي به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
حق لجواز ان يكون الخبر كذبا وبطلت دلالة السمع وفائدته ثم ان به يتميز العالم من الجاهل كما قال وما يعلم تأويله الا الله
والراسخون في العلم ثم انه منزل على لغة العرب ومن عادتهم الاستعارة والمجاز والتعريض والحذف وقد يكون محكما من وجه
ومتشابها من وجه كالمعلوم والمجهول لتقع الحجة من وجه المعلوم دون المجهول والشبهة ما يتصور بصورة
الدلالة واسبابها كثيرة منها اتباع هوى من سبق اليه والثاني ان يدخل عليه شبهة فيتخيله بصورة الصحيح
والثالث التقليد والرابع ترك النظر والخامس نشوه على شيء صار دأبه فيصعب عليه مفارقته وغير ذلك
واسأل الله المعونة على اتمامه وان يوفقني لاتمام ما شرعت فيه من كتاب اسباب نزول القرآن فانهما
يحصل جل علوم التفاسير انه ولي ذلك والمنعم بطوله باب ما يتعلق بآي التوحيد
قوله تعالى هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الحسينية الشوشترية العامة

وقد رمزنا إليها بالحرف (ش)

ثم قال انصرف عنك بعد ذلك زنيم قال أما الشاعر فقد علم لقوله: زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض

الأديم الأكارع فقال وهل تعرف الصفة فقال أما القائل فقد عرف لقوله الأكبر الشاعر يجيري بن سعد

بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد. قال محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني عفى الله عنه هذا

آخر كتاب متشابه القرآن والمختلف فيه مما عولت عليه فإنا تفقهنا بنيته وشرحته لمن يمكن

أن يذهب فيه إلى معنى سوى ما ذكرته فإن المتشابه متفرقة والمعاني

مشتركة إذا كان الذاهب إليها مصيبا المذهب العدل

محصلا لمعاني كلام العرب وأسأل الله

تعالى العفو والعافية في الدنيا

والآخرة وأستغفره إن عثرت

فيه عثرة إنه سميع مجيب

تم الكتاب في سنة

سبعين تسع ألف

[illegible]

[illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة الحسينية الشوشترية العامة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآله الطاهرين قال الشيخ الإمام
شمس الإسلام محمد بن علي بن شهراشوب المازندراني رضي الله عنه سألني
وبعض [illegible] العلماء كتاب في بيان المشكلات من الآيات المتشابهات
وما اختلف العلماء فيه من حكم الآيات وتعريها عن هذا التحقيق بحر أعمقها
ولا يكاد يوجد الا الفاظ في كتب المكابين او نكتا في بعض تفاسير المحققين
المدلين وقال المحصل سلك للطالبين فاحتجت الى ذلك مع تغير الفكر وضيق
الصدر وشغل القلب وعناء السفر وفقدان الكتب فمنها ما اثبته
ومنها ما سبقت الى تحريره ومنها ما وجدته مختلا فحققته والمتشابه ما
لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه لالتباسه وقال
ابن عباس المحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ وقال مجاهد المحكم ما لم يشتبه
معناه والمتشابه ما اشتبهت معانيه وقال الجبائي المحكم ما لا يحتمل الا
وجها واحدا والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعدا وقال جابر المحكم ما يعلم
تعيين تأويله وقيل ما لا ينتظم لفظه معناه الا بزيادة او حذف او نقل وقيل
متشابها لانه يشبه المحكم وقيل لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد والمتشابه في
القرآن انما يقع فيما اختلف الناس فيه من امور الدين نحو قوله ثم استوى واضله الله
على علم واضلهم السامري ومنها ان يحتمل معنيين او ثلاثا واكثر فيحمل على الا
مثل يد الله مغلولة وتجري بأعيننا ومنها ما يزعم فيه من هنا قصة حق نقصان
سبع سموات في يومين وقوله في اربعة ايام ومنها ما هو محكم فيه غموض مثل قوله
ليس

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة كاشف الغطاء العامة

وقد رمزنا إليها بالحرف (ك)

من السماء اي هذا انا اظهر الفساد في البر والبحر البرية والعمران ولما وردها ومدين
هجم عليه ولم يدخلها تحته كنز لهما صحفا وعلما لا يكلف نفسا في النفقة
في ضلال وسعر العناد فكان من المدحضين المغروضين واذا خلوا الى
شياطينهم قرنائهم عميا وبكما وصما وقوله احدهما ابكم اي لا يقدر على الكلام
وادعوا شهداءكم شركائكم جثيا في سورة الجاثية اي يجثوا على ركبهما
ولولا ان صبرنا وقوله واصبروا على آلهتكم صبر غير محمود وجعلنا امهات
النار وهم غير اشقيا حفظ الفروج عن الزنا الا قوله ويحفظوا فروجهم
فانه الستر **فصل** قال نافع بن الازرق لابن عباس اتعرف العرب
الشواظ قال نعم امية بن ابي الصلت كان يعرف حين هاج حسان بن ثابت
يظل يشب كيرا بعد كير وينفخ دائبا لهب الشواظ قال هل تعرف امثالها
نثلبه قال اما ابو ذؤيب الهذلي فكان يعرف حيث قال كان [illegible]
منه اخلال النصيل خالصة مشيب قال هل تعرف بنين وحفدة قال اما [illegible]
معمر فكان يعرف حيث يقول فهذا لولا [illegible] واسلمت [illegible]
قال وهل تعرف ولات حين مناص قال اما الاعشى فقد عرفه حيث قال
تذكرت ليلى حين لات تذكر وقد بنت منها والمناص بعيد قال اتعرف عتل
بعد ذلك زنيم قال اما الشاعر فقد علم لقوله زنيم تداعاه الرجال زيادة
كما زيد في عرض الاديم الاكارع قال وهل تعرف الصمد قال اما القائل فقد
تقول الا بكر الناعي بخير بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد قال
محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني رضي الله عنه هذا آخر كتاب متشابه
القرآن والمختلف فيه مما عولت عليه فان اتفق فيما يثبته وشرحته شيء
يمكن ان تذهب فيه الى معنى سوى ما ذكرته كان الحمل على مقتضى قرره المعاني [illegible]
اذا كان المذاهب اليها محققا لمذهب العدل محصلا لمعاني [illegible] القرآن [illegible]
المعفو العافية في الدنيا والآخرة لي ستنفد [illegible] خمسة [illegible] سنة [illegible]
كتبه [illegible] في سنة سبعين وثمانمائة

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة كاشف الغطاء العامة

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين ومنه نستمد

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآله الطاهرين قال الشيخ الأجل شمس الإسلام محمد بن
علي بن شهرآشوب المازندراني رضي الله عنه سالماً ونفعكم الله للخيرات املاء كتاب في بيان المشكلات من الآيات
المتشابهات مما اختلف العلماء فيه من محكم الآيات ولعمري ان لهذا التحقيق بحراً عميقاً ولا يكاد يوجد
الا القليل في كتب كبار المتكلمين ونكت في بعض تفاسير المحققين العدليين وقل ما يحصر ذلك للطالبين فاجتمع
الى ذلك مع تقسيم الفكر وضيق الصدر وشغل القلب ووعثاء السفر وفقدان الكتب فمنها ما ابتدأناه ومنها ما سبقنا
اليه فحررناه ومنها ما وجدناه مختلفاً فحققناه والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد
منه لالتباسه وقال ابن عباس المحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ وقال مجاهد المحكم ما لم يشتبه معناه
والمتشابه ما اشتبهت معانيه وقال الجبائي المحكم ما لا يحتمل الا وجهاً واحداً والمتشابه ما يحتمل وجهين
فصاعداً وقال جابر المحكم ما يعلم تعيين تأويله وقيل ما لا ينتظم لفظه معناه الا بزيادة او حذف او نقل وسمي
متشابهاً لأنه يشبه المحكم وقيل لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد والمتشابه في القرآن انما يقع فيما اختلف
الناس فيه من امور الدين نحو قوله ثم واضله الله على علم واضلهم السامري ومنها ما يحتمل معنيين او ثلاثة
او اكثر فيحمل على الاصوب مثل يد الله مغلولة وتجري بأعيننا ومنها ما يوهم فيه من مناقضة نحو فقضاهن سبع سموات في
يومين وقوله في اربعة ايام ومنها ما هو محكم فيه غموضه مثل قوله ليس كمثله شيء وما يتبع ذلك من الغوامض التي يحتاج
الى بيانها ويستظهر منها اما بموضوع اللغة او بمقتضى العقل او بموجب الشرع والحكمة في انزال المتشابه باعث
على النظر الذي يوجب العلم دون الاتكال على الخبر من غير نظر لو لم يعلم بالنظر ان جميع ما يأتي به الرسول
حق لجوزنا ان يكون الخبر كذباً وبطلت دلالة السمع وفائدته ثم

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الجوادين (ع) العامة

وقد رمزنا إليها بالحرف (هـ)

قال محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني رضي الله عنه هذا آخر كتاب متشابه القرآن والمختلف فيه

فمن طالعه فإن اتفق فيما بينته وشرحته شيء يمكن أن يذهب فيه إلى معنى سوى ما ذكرته

الحقائق متفرقة ومعان منتشرة فذكرت الذي ذهبت إليه محققا لمذهب العدل مخصصا لمعاني

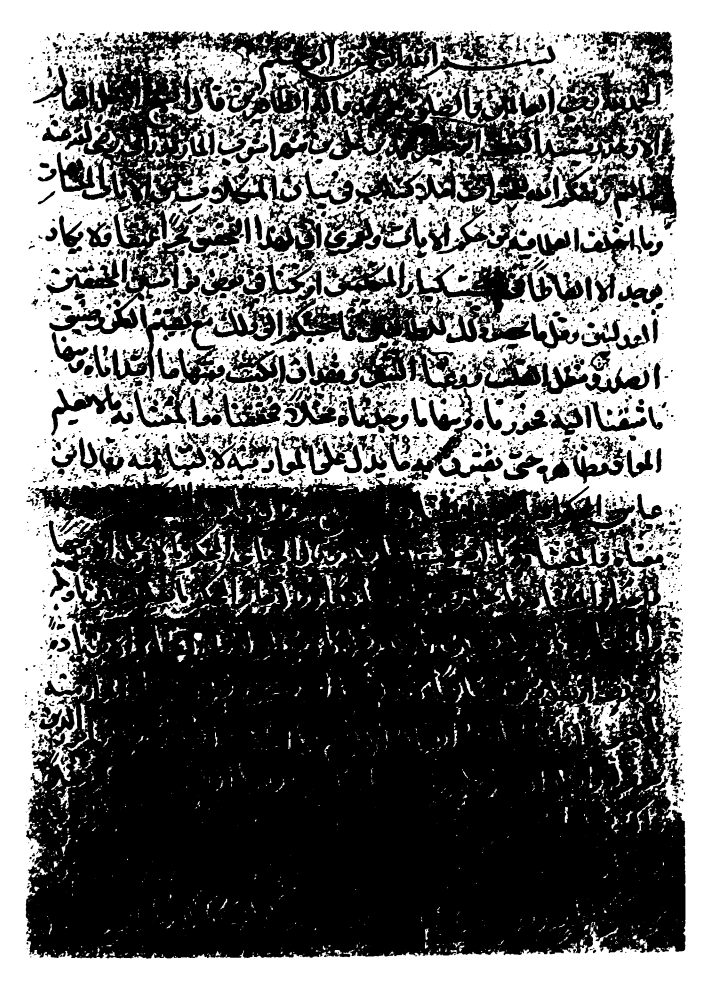
كلام العرب وأسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة وأستغفر [illegible]

[illegible] الكتاب في سنة [illegible] ١٣٤٢

وقد استنسخ هذا المستطاب لخزانة حضرة حجة الإسلام الحاج

سيد محمد علي هبة الدين وزير المعارف الأسبق [illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة الجوادين (ع) العامة



بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة أمير المؤمنين (ع) العامة

وقد رمزنا إليها بالحرف (أ)



الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة أمير المؤمنين (ع) العامة

كتاب متشابه القرآن ومختلفه

فيه من تصنيف ابن شهراشوب

المازندراني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين قال الشيخ الاجل شمس الاسلام
محمد بن علي بن شهراشوب المازندراني رضي الله عنه سألتم وفقكم الله للخيرات املاء
كتاب في بيان المشكلات من الآيات المتشابهات وما اختلف العلماء فيه من حكم الآيات
ولعمري ان لهذا التحقيق بحرا عميقا ولا يكاد يوجد الا الفاظا في كتب كبار المتقدمين
او نكتا في بعض تفاسير المحققين العدليين وقلما يجمع ذلك للطالبين فاجبتكم الى ذلك
مع تقسيم الفكر وضيق الصدر وشغل القلب ووعثاء السفر وفقدان الكتب
فمنها ما ابتدأناه ومنها ما سبقنا اليه فحررناه ومنها ما وجدناه مختلفا فحققناه والمتشابه
ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه لالتباسه وقال ابن عباس المحكم
الناسخ والمتشابه المنسوخ وقال مجاهد المحكم ما لم يشتبه معناه والمتشابه ما اشتبهت
معانيه وقال الجبائي المحكم ما لا يحتمل الا وجها واحدا والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعدا
وقال جابر المحكم ما يعلم تعيين تأويله والمتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله وقيل ما لا ينتظم
لفظه معناه الا بزيادة او حذف او نقل وسمي متشابها لانه يشتبه المحكم وقيل لاشتباه
المراد منه بما ليس بمراد والمتشابه في القرآن انما يقع فيما اختلف الناس فيه من امور الدين
نحو قوله تعالى واضله الله على علم واضلهم السامري ومنها ما لا يحتمل معنيين او ثلثا
او اكثر فيحمل على الاصوب مثل يد الله مغلولة وتجري باعيننا ومنها مما يزعم فيه مناقضة
نحو فقضاهن سبع سموات في يومين وقوله في اربعة ايام وقوله في ستة ايام ومنها ما هو
محكم فيه غموض مثل قوله ليس كمثله شيء وما ينبع ذلك من الغوامض التي تحتاج الى بيانها
وليتخلص منها اما بموضوع اللغة او بمقتضى العقل او بموجب الشرع والحكمة في انزال المتشابه
الحث على النظر الذي يوجب العلم دون الاتكال على الخبر من غير نظر وذلك انه لو لم يعلم بالنظر ان
جميع ما يأتي به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حق لجاز ان يكون كذبا بطلت دلالة السمع فانه
ثم ان به يتميز العالم من الجاهل كما قال وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم ثم انه متوكل
على

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة آية الله الحكيم العامة في النجف الاشرف

وقد رمزنا إليها بالحرف (ح)

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة آية الله الحكيم العامة

/ ٢/ بسم الله الرحمن الرحيم

[وبه نستعين] (١)

الحمدُ لله ربّ العالمين والصَّلاةُ والسلام على محمَّدٍ وآله الطاهرين

قال [الشَّيخُ الأجلُّ شمسُ الإسلام](٢) محمد بن عليٍّ بن شهر آشوب المازندرانّي ـ رضي الله عنه ـ : سألتم ـ وفَّقكم الله للخيراتِ ـ إملاءَ كتابٍ في بيان المشكلات من الآيات المتشابهات، وما اختلف العلماء فيه من حكم الآيات، ولعمري! إنَّ لهذا التَّحقيق بحراً عميقاً، ولا يكادُ يوجدُ منهُ(٣) إلّا ألفاظٌ(٤) في

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك) و(هـ).

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك) و(هـ) و(ح). وفي (أ): قَالَ الشيخ الأجل العالم الأوحد رشيد النَّسب أبو جعفر...

(٣) (منه) ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

(٤) في (ش) و(هـ) و(أ) و(ح): ألفاظاً.

كتب كبار المتكلِّمين، أو نكتٌ[١] في بعض تفاسير[٢] المحقِّقين، العدليينَ، وقلَّما يُحصَرُ[٣] ذلك للطَّالبين، فأجبتُكم إلى ذلك مع تقسُّم[٤] الفكر، وضيق الصَّدر، وشغل القلب، ووعثاء السَّفر، وفقدان الكتب، فمنها ما ابتدأناهُ، ومنها ما سبقنا إليه، فحرَّرناهُ، ومنها ما وجدناهُ مختلفاً[٥]، فحقَّقناهُ.

والمتشابِهُ: ما لا يُعلَمُ المرادُ بظاهره، حتَّى يقترنَ به ما يدُلُّ على المرادُ منه، لالتباسه.

وَقَالَ ابن عبّاسٍ[٦]: المحكم الناسخُ، والمتشابهُ المنسوخُ.

وَقَالَ مجاهدٌ[٧]: المحكم ما لم يشتبه معناهُ، والمتشابهُ ما اشتبهت معانيه.

وَقَالَ الجبّائي[٨]: المحكمُ ما لايحتملُ إلّا وجهاً واحداً، والمتشابهُ ما يحتملُ وجهين فصاعداً.

---

(١) في (ش) و(هـ) و(أ) و(ح): نكتاً.

(٢) في (أ): نواسين.

(٣) في (ك): يحضر. بالضاد المعجمة.

(٤) في (أ): تقييم. وفي (ح): تقسيم.

(٥) في (ك): مختلّا. وفي (هـ): مختلّا وكتب فوقها كلمة (مختلفاً). وفي (أ): مُخِلَّا.

(٦) جامع البيان: ٣: ١٧٢. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٠٩. التفسير الكبير: ٧: ١٧٠ الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبي»: ٤: ١٠.

(٧) جامع البيان: ٣: ١٧٣. أيضاً: مجمع البيان: ١/ ٤٠٩.

(٨) مجمع البيان: ١: ٤٠٩. وهو في (جامع البيان): ٣: ١٧٣. من دون نسبة إلى أحد.

وَقَالَ جابر[١]: المحكم ما يُعلَم تعيينُ تأويله، والمتشابه ما لا يُعلَم تعيينُ تأويله[٢].

وقيل: ما لا ينتظم لفظُهُ معناه، إلّا بزِيادةٍ، أو حَذفٍ، أو نَقلٍ.

وسُمِّي متشابهاً، لأَنَّهُ يُشبِهُ المحكمَ. وقيل: لاشتباه المراد منه بما ليسَ بمرادٍ.

والمتشابه في القرآن، إنَّما يقع فيما اختلف النَّاس فيه من أُمور الدِّين، نحو قوله [تَعَالى][٣]: ﴿وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْمٍ﴾[٤]، ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[٥].

ومنها: ما[٦] يحتمل معنيين، أو ثلاثاً[٧]، أو أكثر، فَيُحْمَلُ على الأصوب، مثل: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾[٨]، و: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنا﴾[٩].

---

(١) جامع البيان: ٣: ١٧٤ ـ ١٧٥ عن جابر بن عبدالله. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٠٩. الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٩.

(٢) العبارة: «والمتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله» ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

(٣) (تعالى) زيادة من (ك) و(هـ). وفي (ح): سبحانه.

(٤) الجاثية: ٢٣.

(٥) طه: ٨٥.

(٦) في (ك) و(أ): أن. وفي (ح): ما لا يحتمل.

(٧) في (ك) و(هـ): ثلاث.

(٨) المائدة: ٦٤.

(٩) القمر: ١٤.

ومنها: ممّا[١] يزعم فيه من مناقضةٍ، نحو: ﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[٢]، وقوله: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيّامٍ﴾[٣]، وقوله[٤]: ﴿فِي سِتَّةِ أَيّامٍ﴾[٥].

ومنها: ما هو محكمٌ فيه غموضة، مثل قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٦]، وما يتبعُ ذلك مِنَ الغَوامِضِ الَّتي تَحتاجُ[٧] إلى بَيَانِها، ويستخلصُ منها إمَّا بموضوع اللُّغةِ، أو بمُقْتَضى العقلِ، أو بِمُوجِبِ الشَّرع.

والحكمة في إنزال المتشابه، الحثُّ[٨] على النَّظر، الَّذي يوجبُ العلم دُونَ الاتّكالِ على الخَبَرِ[٩]، من غَيرِ نَظَرٍ[١٠]، وذلك أنَّهُ لو لم يعلم بالنَّظر أنَّ جميع ما يأتي به الرَّسول ـ صلَّى الله عليه[١١] وآله ـ حقٌّ، لجواز[١٢] أن يكون الخبرُ كذباً،

---

(١) في (ك): ما.

(٢) فُصّلت: ١٢.

(٣) فُصّلت: ١٠.

(٤) العبارة: وقوله ﴿فِي سِتَّةِ أَيّامٍ﴾ ساقطة من (ك) و(هـ).

(٥) الأعراف: ٥٤. وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم.

(٦) الشورى: ١١.

(٧) في (ك) و(هـ): يحتاج. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٨) في (ك) و(هـ): بالحثّ.

(٩) في (ك) و(هـ): الخير. بالياء المثنّاة من تحت.

(١٠) في (ش): نظره.

(١١) في (أ): عليه السلام.

(١٢) في (ك) و(أ): يجوز. بصيغة المضارع.

وبطلت دلالةُ السَّمع، وفائدتهُ.

ثُمَّ أنَّ به يتميَّز[1] العالم من الجاهل، كما قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[2].

ثمَّ أنَّه منزلٌ على لغة العرب[3]، ومن عادتهم، الاستعارةُ، والمجازُ، والتَّعريض، واللَّحنُ. وقد يكونُ محكماً من وجهٍ، ومتشابهاً من وجهٍ، كالمعلوم، والمجهول، فتصحُّ الحجَّةُ من وجهِ المعلوم، دون المجهولِ.

والشُّبهةُ ما تُتَصوَّر بصورة الدَّلالة، وأسبابُها كثيرةٌ، منها: اتِّباع هوى من سبقٍ إليه، والثَّاني: أن يدخل عليه شبهةٌ، فيتخيّله بصورة الصَّحيح. والثَّالث: التَّقليد. والرَّابع: ترك النَّظر. والخامس: نشوءٌ على شيءٍ صار[4] إلفةً[5]، فيصعب عليه مفارقته، وغير ذلك. وأسأل الله المعونة على إتمامه، وأن يوفِّقني لإتمام ما شرعت فيه من كتاب (أسباب نزول القرآن)، فإنَّ بانضمامهما، يحصل جلُّ علوم التَّفاسير. إنَّه وليُّ ذلك، والمنعم بطوله[6].



(١) في (ك): تميُّز

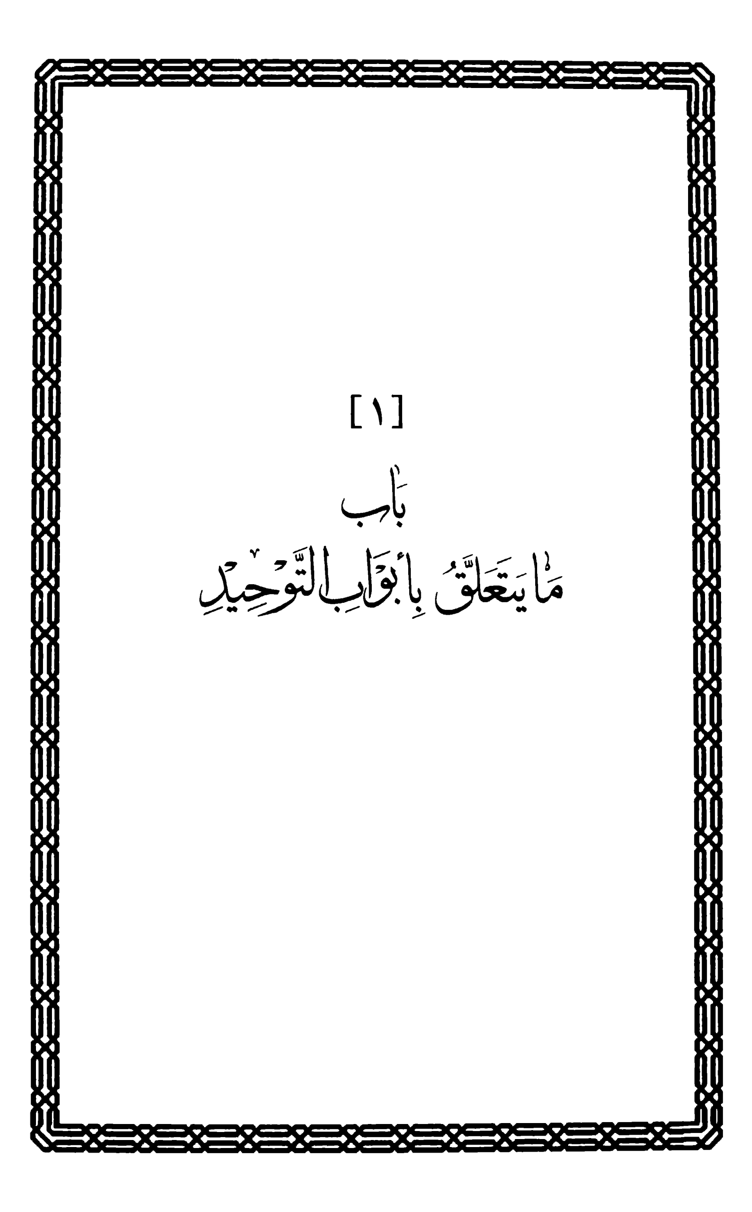
(٢) آل عمران: ٧ .

(٣) (العرب): ساقطة من (ك).

(٤) في (أ): صباره.

(٥) في (ك): إليه. وفي (ش): وَأَلِفَهُ.

(٦) العبارة: «والمنعم بطوله» جاءت في(ك) بعد قوله: «باب مايتعلّق بأبواب التوحيد». الآتي ذكره.



[١]

بَاب
مَا يَتَعَلَّقُ بِأَبْوَابِ التَّوْحِيدِ

قولُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ / ٣/ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ (١).

الظاهر يقتضي أنّه خلق الأرض قبل السَّماء، لأنّ ﴿ثُمَّ﴾ للتَّعقيب والتراخي. وَقَالَ في موضعٍ [آخر] (٢): ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ (٣)، ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٤). ليس بينهما (٥) تناقضٌ، لأنّه ـ تعالى ـ خلق الأرض قبل السَّماء، غير مدحوَّةٍ، فلما خلق السَّماء، دحاها بعد ذلك. ودحوها: بسطها. ومنه أدحية النَّعام، لأنَّها تبسطها لتبيض فيها.

ويجوزُ ألّا يكون معنى ﴿ثُمَّ﴾ و﴿بَعْدَ﴾ في هذه الآياتِ للترتيب في

---

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٣) النازعات: ٢٧.

(٤) النازعات: ٣٠.

(٥) في (ك): بينَهَا.

الأوقاتِ. والتَّقديمِ، والتأخيرِ فيها، إنَّما هو على جهةِ تعداد النِّعمِ، والإدِّكارِ[١] بها، كما يقولُ القائلُ لصاحبِهِ: أليسَ قَدْ أعطيتُكَ، ثمّ حَمَلتُكَ ثمَّ رَفَعْتُ منزِلَتِكَ، ثمَّ بعدَ هذا كُلِّه أخلَصْتُكَ لِنَفْسِي. ويقال: ﴿ بَعْدَ ﴾، بمعنى «مع» [كـ]ـقوله[٢]: ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾[٣].

ويقال: بمعنى «قبل». [كـ]ـقوله[٤]: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾[٥].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[٦] بلادعامة تدعمها، ولا علامة[٧] تتعلق[٨] بها، بل إنَّ الله ـ تعالى[٩] ـ يسكّنها[١٠]

---

(١) في (ك) و(هـ) و(أ): الأذكار. بالذال المعجمة.

(٢) في (ش) و(هـ): قوله. وسقطت من (أ).

(٣) القلم: ١٣.

(٤) في (ش) و(هـ) و(أ): قوله.

(٥) الأنبياء: ١٠٥.

(٦) الروم: ٢٥.

(٧) (علامة): مطموس بعضها في (هـ).

(٨) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): علّق. بصيغة الماضي.

(٩) (تعالى) سقطت من (ح)

(١٠) في (ك) و(هـ) و(أ): ليسكّنها. وفي (ح): يمسكها.

حالاً بعد حال، لَأعظَمُ دلالةٍ على أنَّه لا يقدر عليه سواه. ولو اجتمعت الجنُّ، والأنس[١] على امساك تبنةٍ[٢] في الهواء، أو إثبات[٣] تربة على الماء، لعجزوا.

[شعرٌ][٤]:

بنى السَّماءَ فسوَّاها بلا عَمَدِ ولمْ تُمدَّ بأطنابٍ ولا عَمَدِ[٥]

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾[٦]. أي: ليس لها عمدٌ[٧]، تسندها[٨]. لأنَّه لو كان لها عمدٌ، لرأيتموها، فلمَّا لم تر[٩]، دلَّ على أنَّه ليس لها عمدٌ[١٠]، ولو كان لها عمدٌ، لكانت أجساماً عَظِيمةً، حتَّى يصحَّ منها إقلالُ السَّماوات، ولو كانت كذلك، لاحتاجت إلى عمدٍ أُخَرَ، فكان يتسلسل.

---

(١) (الأنس): ساقطة من (ك)

(٢) في (ك): بنية

(٣) في (ش) و(ش): وإثبات.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك) و(هـ).

(٥) لم نقف على قائله.

(٦) لقمان: ١٠.

(٧) في (ش) و(أ): عمداً.

(٨) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يسندها. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٩) في (ك): ير. وفي (هـ): لم ير ذلك.

(١٠) في (أ): ليس لها ما عمد.

فإذاً لا عمد لها، بلِ اللهُ[١] يُسَكِّنُها[٢] حالاً بعد حالٍ، بقدرته الَّتي لا توازيها[٣] قدرة قادرٍ. وَقَالَ مجاهدٌ[٤]: لها عمدٌ لا ترونها.

وسأل الحسين بن خالدٍ [ـ رضي الله عنه ـ] [٥] الرِّضا ـ عليه السلام ـ عن قوله. ﴿وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ﴾ [٦]. فقال ـ عليه السلام ـ[٧]: محبوكةٌ إلى الأرض وشبك بين[٨] أصابعه[٩]. لعلَّه ـ عليه السلام ـ أراد بذلك قوله: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْناها وَأَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ﴾ [١٠]، لأنَّه لو كان لها عمدٌ. لكانت أجساماً عظيمةً، كثيفةً، لأنَّه لا يُقِلُّ مثل السَّماوات والأرض إلّا ما فيه الإعتمادات العظيمة، ولو كانت كذلك لرأيناها، ولأدَّى إلى التسلسل.

***

---

(١) في (ك): الله تعالى.

(٢) في (ح): يمسكها.

(٣) في (هـ): يوازيها.

(٤) جامع البيان: ٢١: ٦٥. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٣١٤.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ك).

(٦) الذاريات: ٧.

(٧) العبارة في (ك) بعد قوله (عليه السلام): أراد بذلك أنَّ لها عمداً ولكن لا ترى. والعبارة: (محبوكة إلى الأرض... بذلك) ساقطة.

(٨) في (هـ): من.

(٩) مجمع البيان: ٥: ١٥٣.

(١٠) ق: ٧.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ﴾[١]. ظاهِرُ الآيةِ يقتضي أنَّ العرشَ الَّذي تعبَّدَ اللهُ الملائكةَ بِحَملِهِ، كان مخلوقاً قبلَ السَّماواتِ والأرضِ. وقد اختارَهُ المرتضى[٢].

وَقَالَ الجبَّائي[٣]: في الآية [دَلَالَةٌ][٤] على أنَّهُ كانَ قبلَ خَلقِ السَّماواتِ والأرضِ الملائكةُ، لأنَّ خلقَ العَرشِ على الماءِ، لَا وَجهَ لحُسنِهِ، إلَّا أن يكونَ فيهِ لطفٌ لِمُكَلَّفٍ، أَو يُمكنهُ الاستدلالُ بِهِ، فلا بُدَّ ـ إذاً ـ من حيٍّ مُكلَّفٍ.

وَقَالَ الرُّمَّانيُّ[٥]: لا يمتنعُ أن يتقدَّمَ خلقُ اللهِ لذلكَ، إذا كانَ في الإخبارِ بتقدُّمِهِ مصلحةٌ للمكلَّفينَ. وهو اختيارُ الطُّوسيِّ[٦].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لآياتٍ لأُولِي الأَلْبابِ﴾[٧].

وجهُ الاحتجاج بخلقِ السَّماواتِ على اللهِ ـ تعالى ـ ولم يثبُت ـ بَعدُ ـ أَنَّها

---

(١) هود: ٧.

(٢) مجمع البيان: ٣: ١٤٤.

(٣) مجمع البيان: ٣: ١٤٤. وفي التفسير الكبير: ١٧: ١٨٧ معزوّ إلى المعتزلة.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك) و(هـ) و(أ) و(ح).

(٥) مجمع البيان: ٣: ١٤٤.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٥: ٤٥١.

(٧) آل عمران: ١٩٠.

مخلوقةٌ، أنَّ تعاقُبَ الضِّياءِ والظَّلامِ، يدُلُّ على حدُوثِ الأجسامِ. ثمَّ أنَّها على تقدير كونها مخلوقةً، قبلَ الاستدلالِ بِهِ، لأنَّ الحُجَّةَ بِهِ، قامت عليهِ من حيثُ أنَّها لم تَنفَكَّ مِنَ المعاني المحدَثَةِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ (١).

استدلَّ(٢) الرُّمَّانيُّ بهذهِ الآيةِ على(٣) أنَّ السَّماواتِ غيرُ الأفلاكِ، لأَنَّ الأفلاكَ تتَحَركُ، وتدورُ. والسَّماواتِ لا تتحرَّكُ، ولا تدورُ.

وهذا غيرُ مرضيٍّ، لأَنَّهُ لا يمتنعُ أَن تكونَ(٤) السَّماواتُ هيَ الأفلاكَ، وإِن كانت متحرِّكةً، لأَنَّ قولَهُ: ﴿يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا﴾، معناهُ: لا تزولُ عن مَركزِها الَّذي تدُورُ عليهِ، ولَولَا إمساكُهُ، لهوَت [السموات](٥) ـ لما فيها مِنَ الاعتمادات ـ سُفلاً.



(١) فاطر: ٤١.

(٢) في (أ): استدلال.

(٣) (على): ساقطة من (هـ) و(أ).

(٤) في (ش) و(أ): يكون.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

فصل [-١-]

[في بعض الظواهر الكونية]

قولُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿رَبُّ الْـمَشْرِقِ / ٤/ وَالْـمَغْرِبِ﴾[١]. وفي موضعٍ: ﴿رَبُّ الْـمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْـمَغْرِبَيْنِ﴾[٢]. وفي موضعٍ: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْـمَشارِقِ وَالْـمَغارِبِ﴾[٣].

أرادَ بالأَوَّلِ، مَوضِعَ الشُّروقِ، والغُروبِ، لأَنَّ «المَفعَلَ» ـ مِن «يفعَل» و«يَفعِل» ـ اِسمُ الموضع[٤] منها[٥]، كالمَذهَب، والمَدخَلِ. أمَّا المشرِقُ، والمغربُ فَيجوزُ ـ فيهما ـ كَسرُ العينِ[٦]، وفَتحُها.

وأمَّا الثَّاني: فَعَنَى[٧] بِهِ مشرِقَ الشِّتاءِ، ومشرِقَ الصَّيف، وكذلك المَغرِب.

---

(١) الشعراء: ٢٨، المزمل: ٩.

(٢) الرحمن: ١٧.

(٣) المعارج: ٤٠.

(٤) في (ك): للموضع.

(٥) في (ك): منهما.

(٦) في (هـ): العين. بالغين المعجمة.

(٧) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): عَنَى

وذلكَ أَنَّ مَشرِقَ الشِّتاءِ قريبٌ، فاللَّيلُ[١] أطوَلُ مِنَ النَّهارِ. وكذلكَ المغرِب.

وأمَّا الثَّالثُ: عَنَى بهِ مَنازلَ الشَّمسِ في الشُّرُوقِ، والغروب، لِأَنَّ[٢] للشَّمسِ ثلاثَمائةٍ وستينَ منزِلاً، تَطلُع - كلَّ يومٍ - مِن مَنزِلٍ، وتَغرُبُ[٣] في منزل.

وكذلكَ القمر إلَّا أنَّ[٤] القَمَرَ يُجاوزُ المنازلَ في شهرٍ واحدٍ، والشَّمسَ تُجاوزُها في سَنَةٍ.

***

قولُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[٥]. وقالَ: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ﴾[٦]. وقال: ﴿خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[٧].

أمَّا قولهُ: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ يُريدُ معَ اليومينِ الأوَّلينِ، لأَنَّ خلقَ الرَّواسي، وغيرِ ذلكَ، من تمامِ خلقِ الأرضِ، وذلكَ كما تقولُ: خَرجتُ مِن بغدادَ إلى الكوفةِ في خمسةِ أيَّامٍ، وإلى مَكَّةَ في ثلاثينَ يوماً، فيكونُ المُبتدَأُ في جملةِ الثَّلاثينَ.

---

(١) العبارة: «فالليل أطول» ساقطة من (ك).

(٢) في (ك): ولأنَّ. مَعَ الواو.

(٣) في (ك): تغيب.

(٤) في (أ): لأنَّ.

(٥) فُصِّلت: ٩.

(٦) فصّلت: ١٠.

(٧) الأعراف: ٥٤. يونس: ٣. هود: ٧. الحديد: ٤.

وإنّما خَلقَهما في هذا المقدَارِ معَ قدرتهِ أن يخلُقَهما في أقَلَّ من لمحِ البـصرِ[١]، لأنَّ الأُمورَ، جاريةٌ في التَّدبير[٢] على منهاجٍ، وَلِـمَا عَلِـمَ في ذلـكَ مِـن مَـصَالحِ الخَلقِ في الترتيبِ، لِيَدُلَّ على صانعٍ حكيمٍ، وفي إظهارِ هِما كذلكَ، مصلحةُ الملائكةِ وَعِبَرةٌ لهم[٣].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاْطَاً﴾[٤]. وقولـهُ: ﴿الَّـذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاْشَاً﴾[٥].

اِستَدَلَّ أبو عليٍّ[٦] على بُطلانِ ما يقولهُ المُنجِّمون مِـن أنَّ الأرضَ كُرويّـةُ[٧] الشَّكلِ. وهذا إنّما يَدُلُّ على أنَّ بعضها مسطوحٌ، لا جميعَها. والمنجِّمونَ مُعترِفُـونَ بأَنَّ بعضها مسطوحٌ[٨].

***

(١) وردت العبارة في (ك) كالآتي: «وَإِنَّما خلقهما أسرع من لمح البصر».

(٢) في (هـ): التدبيز، بالزاي المعجمة.

(٣) في (ش) و(أ) و(ح): وغيرة لهم، وفي (ط): وَغيرهم.

(٤) نوح: ١٩.

(٥) البقرة: ٢٢.

(٦) مجمع البيان: ١: ٦١ بلفظ مختلف. والمقصود بـ «أبو علي» الطبرسيّ صاحب (مجمع البيان).

(٧) في (ش) و(هـ) و(أ): كُرَيَّة.

(٨) العبارة: «لاَ جميعها... مسطوح» ساقطة من (ك).

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿أَ فَلا يَنظُرُوْنَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ الآية[١].

لَمَّا كانتِ العربُ مُنفَرِدينَ[٢] عن[٣] النَّاسِ، والسَّماءُ لَهُم سقفاً، والأرضُ لهُم وِطاءً[٤]، والجبالُ أمامَهم، وهيَ كهفٌ لهُم، وحِصنٌ، والإبلُ ملجأهم في الحِلِّ، والترْحَالِ، أكلاً، وشرباً، ورُكوباً، وحَملاً. وليستِ الفيلةُ بأدَلَّ[٥] على الله ـ تعالى ـ منَ البقَّةِ، ولا الطَّاووسُ، منَ القِرَدَةِ، فَلذلكَ قَرَنَ الإبلَ بالسَّماءِ، والأرضَ بالجبالِ[٦].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾[٧] ﴿هُوَ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾[٨].

قال الجبَّائي[٩]: معناهُ: خلقكم من آدم، وآدمُ من تُرابٍ.

---

(١) الغاشية: ١٧.

(٢) في (هـ): متفردين. بالتاء المثناة من فوق.

(٣) في (هـ): مِن.

(٤) الوِطاء: ما انخفض من الأرض بين النَّشاز والأشراف، والمقصود سَهَّلها وليَّنَها (المعجم الوسيط).

(٥) في (هـ): بأذَلّ. بالذال المعجمة.

(٦) في (هـ) و(ح): والجبال.

(٧) هود: ٦١.

(٨) غافر: ٦٧.

(٩) مجمع البيان: ٤: ٥٣١ وهو غير معزو إلى أحدٍ.

وَقَالَ الطوسيُّ[١]: معناهُ[٢]: خلقَ أباكُم ـ الّذي هُوَ آدمُ، وأنتُم مِن ذُرِّيَّتِهِ، وهوَ بمنزِلةِ الأصلِ لَنَا ـ مِن طِينٍ، فلمّا كانَ أصلهُ منَ الطِّينِ، جازَ أَن يقُولَ: خَلَقَكم مِن طِينٍ.

وَقَالَ غيرُهُ: أي خلقَكم مِنَ الأرضِ. والأَوَّلُ أقوى.

قالَ الحسنُ[٣]: لَم يخلُقِ الله آدمَ إلَّا للأرضِ إن عصَى، وإن لم يعصِ. ولَو لَم يَعصِ لخَرجَ على غيرِ تلكَ الحالِ.

وَقَالَ غيرهُ: يجوزُ أن يكونَ خلقَهُ للأَرضِ، ولغَيرِها، وإن لَم يعصِ. وهوَ الأقوى، لأنَّ ما قالَهُ الحسنُ. لا دليلَ عليهِ.



(١) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦.

(٢) في (أ): معناه قوله.

(٣) مجمع البيان: ٤: ٥٣١ بلفظ مختلف.

فصل [ـ٢ـ]

[في خلق الإنسان]

قولهُ تعالى ـ في خلقِ آدمَ ـ: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾[1]، وفي موضعٍ: ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾[2]، وفي موضعٍ: ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[3]، وفي موضعٍ: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[4].

لا تَناقُضَ فيها، لأنَّها ترجِعُ إلى أصلٍ واحدٍ، وهوَ الترابُ، فجَعلهُ طيناً، ثمَّ صارَ كالحَمَإِ المسنُونِ، ثمَّ يَبِسَ، فصار[5] كالفخّارِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[6].

---

(١) آل عمران: ٥٩.

(٢) الصافات: ١١.

(٣) الحجر: ٢٦، ٢٨، ٣٣.

(٤) الرحمن: ١٤.

(٥) (فصار) سقطت من (ح).

(٦) الزمر: ٦.

وَ ﴿ثُمَّ﴾ يقتضي[1] المُهلَةَ، والتراخيَ، وذلكَ يقتَضي أَنَّ اللهَ ـ تعالى ـ خلقَ الخلقَ من آدمَ، ثُمَّ بعدَ ذلكَ، خلقَ حوَّاء[2]؟

[الجَوَابُ][3]: إِنَّ ذلكَ، وإِن[4] كانَ مُؤَخَّراً في اللَّفظِ، فَهوَ[5] مقدَّمٌ في المعنى، كقولِ القائلِ: قد رَأَيتُ ما كان منكَ اليَومَ ثُمَّ ما كانَ / ٥/ مِنكَ أَمسِ.

أو إِنَّهُ معطوفٌ على معنىً واحدٍ، كأَنَّهُ قال: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاْحِدَةٍ﴾ بمعنى: وحدها، ثمَّ جعلَ منها زَوجَها. ففي ﴿واحِدَةٍ﴾ معنى: خلقَهَا وَحدَها. ولايَمتَنِعُ أن يكونَ المرادُ بِقولِهِ: ﴿زَوْجَها﴾ غيرَ حَوَّاء، بَل يُرِيدُ المُزَوَّجَ[6] من نسلِ آدَمَ منَ الذُّكورِ والإناثِ، فكأَنَّهُ ـ تعالى ـ قالَ: هوَ الَّذي خلقكُم من نفسٍ واحدةٍ ـ وهيَ آدمُ ـ ثُمَّ جعلَ المُزوَّجَ[7] من نسلِ تلكَ النَّفسِ. وهذا مُتأَخِّرٌ عن خلقِ النَّفسِ الواحدةِ الَّتي هيَ آدمُ.

وإنَّ سببَ[8] دخولِ ﴿ثُمَّ﴾ للاعِتدَادِ بهذهِ النِّعمةِ، والذِّكرِ لها على سَبيلِ

---

(١) في (ك) و(ح): تقتضي.

(٢) في (ح): حوى.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ح).

(٤) في (أ): فإن.

(٥) في (ش) و(هـ) و(أ): وهو.

(٦) في (ش) و(ح): المزج.

(٧) في (ش) و(ح): المزج.

(٨) في (أ): وأن يكون سبب...

الإمتنان، إنَّما كانَ بعدَ ذكرِ خلقِنا[١] من نفسٍ واحدةٍ، فكأنَّهُ قال: هوَ الَّـذي ذكـرَ لكُم، واعتدَّ[٢] عليكُم، بأنَّهُ خلقكُـم مـن نفـسٍ واحـدةٍ، ثـمَّ عطـفَ عـلى هـذا الإعتدادِ، والامتنانِ، ذكرَ نعمةٍ أُخـرَى، وهـيَ أنَّ زوجَ هـذهِ الـنَّفسِ المخلُوقـةِ، مخلوقةٌ منها، فزمانُ الخلقِ للزَّوجِ، وإن كان متقدَّماً، فزَمانُ ذكرِهِ، والإعتدادِ بـهِ، غيرُ زمانِ وُجودِهِ، فلا يمتنعُ أن يكُونَ الترتيبُ في زمانِ الـذِّكرِ والاعتـدادِ، غـيرَ الترتيب في زمان الإيجادِ، والتَّكوينِ، كقَولِنا: ليَ[٣] عليكَ منَ النِّعمةِ كَذا [اليـومَ، ثُمَّ كذا] [٤] أمسِ.

أوِ[٥] المرادُ بـ ﴿ثُمَّ﴾: الواوَ. [فإنَّهُ] [٦] قـد[٧] يُـستعملُ[٨] «الـواوُ» بمعنـى ﴿ثُمَّ﴾، و﴿ثُمَّ﴾ [٩] بمعنى: «الواو»، لأنَّ الجميعَ[١٠]، للإنضمامِ.

---

(١) في (ط): خلقها.

(٢) في (أ): اعتدنا.

(٣) في (ش): إليَّ.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ح).

(٥) في (ش) و(هـ) و(أ) و(ح) و(ط): وَالمراد.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ح) و(ط).

(٧) في (ش) و(ح) و(ط): وَقَد.

(٨) في (ك): تستعمل.

(٩) في (ش): فَثُمَّ.

(١٠) في (ط): وهو الجمع والانضمام. وهو ما لا يوجد في النسخ المخطوطة جميعها.

وَقولُهُ[١]: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ﴾[٢]. معناهُ: واللهُ شَهيدٌ. وقولهُ: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ﴾[٣].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾[٤].

الآية فيها دلالةٌ على أنَّ الإنسان هو هذا الجسمُ المشاهدُ، لأنَّهُ المخلوقُ من نطفةٍ، والمستخرجُ من سلالةٍ دونَ ما يذهبُ إليه (مُعَمَّرٌ)[٥] وغيرُهُ مِن أنَّهُ الجَوهرُ البسيطُ، أو شيءٌ لا يصُحُّ عليهِ التركيبُ والانقسَامُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ﴾[٦].

أَي: أصلُكَ من تُرابٍ، إذ خَلقَ أباهُ مِن تُرابٍ، ويصيرُ[٧] إلى[٨] التراب.

---

(١) في (ح): قوله.

(٢) يونس: ٤٦.

(٣) الزُّمر: ٦: باعتبار ما قبلَهُ وهو قولُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ﴾ بمعنى: ثُمَّ أَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعامِ...

(٤) المؤمنون: ١٢.

(٥) مقالات الإسلاميين: ٢: ٣٠٧. الملل والنِّحل: ١: ٩٩. المعتزلة: ١٣١.

(٦) الكهف: ٣٧.

(٧) في (هـ): تصير.

(٨) «إلى»: مكرّرة في (أ).

وقيلَ: لـمَّا كانت النُّطفةُ يخلقُها[١] اللهُ بمجرى العادةِ منَ الغِـذَاءِ، والغِـذَاءُ نبَتَ[٢] من ترابٍ، جَازَ أن يُقالَ: خلقكَ من تُرابٍ، لأنَّ أصلهُ من تُرابٍ، كما قالَ: «من نُطفةٍ»، وهوَ ـ في هذهِ الحالِ ـ خلقٌ سويٌّ، حيٌّ. لكن لـمَّا كانَ أصلهُ كذلك، جازَ أن يُقالَ ذلك.

والوجهُ في خلقِ البشرِ، وَغيرِهِ، من الحيوَانِ، نقلُهُ من تُرابٍ إلى نطفةٍ، ثُمَّ إلى عَلَقَةٍ، ثمَّ إلى صُورةٍ، ثمَّ إلى طفوليَّةٍ، ثمَّ إلى حالِ الرُّجوليَّةِ، ما في ذلكَ منَ الاعتبارِ الَّذي هُوَ أدَلُّ[٣] تحدٍّ على تدبيرِ مُدبِّرٍ، مختارٍ، يُصرِّفُ الأشياءَ من حالٍ إلى حالٍ، لأنَّ ما يكونُ بالطَّبعِ، يكونُ دُفعةً واحدةً، كالكتابَةِ[٤] الَّتي[٥] يُوجدُها بالطَّبائعِ[٦] من لا يُحسنُ الكتابَةَ، فأمَّا[٧] إنشاءُ الخلقِ حالاً بعد حالٍ، دلَّ[٨] على أنَّهُ [تعالى][٩] عالمٌ مختارٌ.

***

(١) في (ش): يخلقها.

(٢) في (ك): ينبت.

(٣) في (هـ): أدلّ شيء. وفي (أ): أذلّ.

(٤) في (أ): فالكتابة.

(٥) في (أ): الَّذي.

(٦) في (هـ): بالطابع.

(٧) في (ح): فإنشاء.

(٨) في (ح): دالّ.

(٩) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾[١] الآيةُ.

تعلَّقت الحشويَّةُ بذلكَ، وألحقُوا بِهِ الخبَرَ: «الأَرْوَاحُ جنودٌ مُجَنَّدَةٌ»[٢] فَقَولهُم باطِلٌ، لأنَّهُ قال: ﴿مِنْ بَنِي آدَمَ﴾، ولَم يقُل: من آدمَ. وقال: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾، ولم يقل: مِن ظهرِه. وقال: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[٣]. ولم يقل: ذرّيّتهُ. وأيُّ ظهرٍ يحتملُ هذهِ الذُّرّيّة؟، وأيُّ فضاءٍ[٤] يتّسعُ؟

ولفظُ ﴿الذُّرِّيَّةِ﴾، إنَّما يقعُ على المولودِ، ولا يكونُ في الصُّلبِ ذرِّيَّةٌ، ويوجبُ أن يكونَ المأخوذ منهم ذرِّيَّةَ آدم لصُلبهِ، ولا يدخلُ أبناءُ الأبناءِ، ومن بعدَهم، لأنَّ الذُّرِّيَّة. إنّما تُطلَقُ على وَلَدِ الصُّلبِ، وما عداهُ مجازٌ، يعرفُ ذلك بدليل آخر، دون ظاهرِ اللَّفظ.

ومعلومٌ أنَّ الولدَ يُخلقُ من المَنِيِّ، وإنَّما يحدُثُ من الإنسان حالاً بعدَ حالٍ، ويستَحيلُ من الأطعمةِ. وكيف يجتمعُ في صُلْبٍ واحدٍ جميعُ ما يكونُ من عقبهِ إلى يومِ القيامةِ من المَنيِّ؟ والإشهادُ إنَّما يصحُّ ممَّن يعقلُ، ويكون الجوازُ عنهُ[٥] مستحيلاً، واللهُ ـ تعالى ـ رفعَ القلمَ عن الصَّبيِّ حتَّى يبلُغَ، ولم يُلزمهُ

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) مسند أبي يعلى الموصليّ: ٧: ٣٤٤. العقد الفريد: ٢: ٣٢٩ وفيه: الأنفس جنود مجنَّدة. أمالي الصدوق: ١٢٩. فردوس الأخبار: ١: ١٥٩. الأسماء والصِّفات: ٣٦٥.

(٣) الأعراف: ١٧٢.

(٤) في (ش): قضاء.

(٥) (عنه) ساقطة من (ك).

معرفتَـهُ، والذُّرِّيَّـةُ المستخرجةُ مـن ظهـرِ آدمَ، إذا خوطبـت، وقُـرِّرت لابُـدَّ أن تكون[١] كاملةَ[٢] العقـولِ، مـستوفيةَ التّكليـفِ، لأنَّ مـا لم يكـن كـذلك، يقـبُحُ خطابُهم، وتقريرُهم، وإشهادهم. / ٦/ وإن كانوا بصفةِ كمالِ العقل، وجـبَ أن يذكرَ هؤلاءِ[٣]- بعدَ إنشائهم أو كمالِ[٤] عقولهم - تلكَ الحالُ. فإنَّ[٥] اللهَ - تعـالى - أخبرنا، بأنَّه إنَّما أقرَرَهم، وأشهدهم، لئلَّا يدَّعوا - يوم القيامةِ - الغفلةَ عن ذلـك، أو يَعتذِروا بشركِ آبائهم، وأنَّهم نشأوا بين أيديهم. وهذا يدلُّ على الإختصاص[٦] ببعضِ ذرِّيَّةِ ولدِ آدمَ، وهو الصَّحيحُ، فإنَّهُ خلقهم، وبلَّغهُم - على لسانِ[٧] رسُلهِ - معرفتهُ، وما يَجبُ من طاعتهِ، فأقرُّوا بذلك، لئلَّا يقولوا: إنّا كنَّا عن هذا غـافلينَ، وإنَّ الله - تعالى - لـمَّا خلقهُم، وَرَكَّبهُم تَركيباً، يدلُّ على معرفتهِ، ويشهدُ بقدرتـهِ، ووُجُوبِ عبادتهِ، وأرَاهُم العبرَ، والآياتِ، والـدلائلَ في غـيرهم، وفي أنفُـسهم، كان بمنزلةِ الـمُشهدِ لهُم على[٨] أنفُسهم، وإن لم يكن هناكَ إشـهادٌ، ولا اعـترافٌ

---

(١) في (ش) و(هـ) و(أ): يكون.

(٢) في (أ): بكاملة.

(٣) في (ك): أولاً. وفي (هـ): لأي.

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ): وكمال.

(٥) في (ح): وإنَّ. مع الواو.

(٦) في (ك) و(هـ) و(أ): إختصاصها.

(٧) في (ك): على لسانه مثل معرفته. وفي (أ): على لسانه شاء معرفته.

(٨) (على) ساقطة مِنْ (أ).

على الحقيقةِ، ويجري[١] ذلك مجرى قولهِ: ﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ﴾[٢].

***

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ[٣]: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ﴾[٥].

ليس يوجبُ اللّفظُ أن يكونَ أخذُ الميثاق عليهم في وقتٍ واحدٍ، ومكانٍ واحدٍ، بل يكونُ معناهُ: أخذَ ميثاق [أمم][٦] النبيِّينَ بتصديقِ نبيِّها، والعمَلِ بما جاءهُم بهِ. ويُقالُ: أخذَ العهدَ بما نصبَ لهمُ منَ الحُججَ الواضحةِ، والبراهينِ السَّاطعةِ الدَّالَّةِ على توحيدهِ، وعدلهِ، وصدقِ أنبيائهِ، ورسلهِ. ويمكنُ أن يكونَ ذلكَ ما رويَ في تقريرِ الأنبياءِ ـ عليهم السلامُ ـ على ولايةِ عليٍّ ـ عليه السلام ـ على ما بيَّناهُ في كتبنا.

***

(١) في (ح): ومجرى ذلك.

(٢) فُصِّلَتْ: ١١.

(٣) (سبحانه... من كتاب وحكمة) سقطت من (ح).

(٤) آل عمران: ٨١.

(٥) الأحزاب: ٧.

(٦) ما بين المعقوفتين سقطت من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾[١].

هذا الميثاقُ هوَ المعنيُّ في قولِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ﴾[٢]. الآيات.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فِطْرَتَ اللهِ﴾[٣]، وقولُهُ: ﴿مِنَ النُّذُرِ الأُولى﴾[٤]، وقوله: ﴿وَما وَجَدْنا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾[٥]. وقوله: ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾[٦].

فليسَ فيها شيءٌ من دعواهُم، أَنَّهُ مَسحَ ظهرَ آدمَ، واستخرجَ منهُ الذُّرِّيَّة، وأشهدَها[٧] على نفُوسها وأخذَ[٨] إقرارها، بمعرفتهِ. وقد بيَّنا فسادهُ في الآيةِ الأُولى[٩].

✿✿✿

---

(١) البقرة: ٦٣، ٩٣.

(٢) البقرة: ٨٣.

(٣) الروم: ٣٠.

(٤) النجم: ٥٦.

(٥) الأعراف: ١٠٥.

(٦) الروم: ٣٠.

(٧) في (أ): أشهدَهم.

(٨) (أخذ): ساقطة من (ك). وفي (أ): أَوْ أَخَذَ.

(٩) المقصود بالآية الأولى قولُهُ ـ تعَالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ...﴾ الأعراف: ١٧٢. وقد مضى تفسيرها وشيكاً.

فصلٌ [ـ ٣ ـ]

[في خلق حوّاء وفي معنى القلب وفي أمور أخرى]

قولُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَقُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْـجَنَّةَ﴾[١].

رويَ: أنَّ اللهَ [ـ تعالى ـ][٢] ألقى على آدَمَ النَّومَ، وأخذَ منهُ ضـلعاً، فخلـقَ منهُ حوَّاءَ. ورُويَ: أنَّهُ خلقها من فضل طينتهِ.

قال الرُّمَّانيُّ[٣] وجماعةٌ من المفسِّرينَ: ليسَ يمتنعُ أن يخلُقَ اللهُ حوَّاءَ من جملةِ جسدِ آدمَ، بعدَ ألّا يكونَ جزءاً[٤] ممَّا لا يتُمُّ كونُ الحيِّ حيّاً إلَّا معهُ، لأنَّ ما هذهِ صـفَتُهُ، لا يجوزُ أن يُنقَلَ[٥] إلى غيرِهِ، أو يخلُقَ منهُ حيّـاً آخـرَ، حيـثُ يـؤدِّي إلى ألّا يَـصِلَ الثَّوابُ إلى مستحقِّهِ، لأنَّ المستحقَّ لذلكَ، الجُملةُ بأجمعها.

***

(١) البقرة: ٣٥.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك).

(٣) قول الرماني هذا في مجمع البيان: ١: ٨٥ نصّاً، لكنه نسبهُ إلى (أهل التَّحقيق) من دون تعيين.

(٤) في (ش): جزء. بالرفع.

(٥) في (ك): تُنقل.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[١].

لا يجوزُ أن يكون لإنسانٍ واحدٍ، قلبانِ، لأنَّهُ يؤدِّي إلى ألَّا ينفصِلَ إنسانٌ من إنسانيْنِ، لأنَّهُ ربَّما يريدُ بأحدِ قلبيهِ ما يكرهُهُ[٢] بالقلبِ الآخرِ[٣]، أو يشتهي ما لا يشتهي الآخرُ[٤]، أو يعلمُ ما لا يعلمُ الآخرُ، فيصيرُ كشخصينِ.

وَقَالَ بعضُهم: يجوزُ أن يكونَ لإنسانٍ[٥] قلبٌ[٦] كثيرُ الأجزاءِ، ويمتنعُ أن يريدَ ببعضِ الأجزاءِ[٧] ما يكرهُهُ بالبعض، لأنَّ الإرادةَ، والكراهةَ، إن وُجدتَا في جزءٍ من القلبِ، فالحالتانِ الصَّادرتانِ عنهما[٨]، يرجعانِ إلى الجملةِ، وهيَ جملةٌ واحدةٌ، فاستحالَ وجودُ معنيينِ ضدَّينِ في حيٍّ واحدٍ، ويجوزُ أن يكونَ معنيانِ، مختلفانِ، أو مثلانِ في جزأينِ منَ القلبِ، ويوجبانِ الصِّفتينِ للحيِّ[٩] الواحدِ، وكذلكَ المعنيانِ في قلبينِ، إذا كانَ ممَّا يوجدُ منهما[١٠] يرجعُ إلى حيٍّ واحدٍ، إلَّا أنَّ

(١) الأحزاب: ٤.

(٢) في (أ): يكرهُ.

(٣) في (هـ): بالآخر.

(٤) في (هـ): بالآخر.

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ): للإنسان.

(٦) في (ك): قلباً.

(٧) في (ك): بمَّا.

(٨) في (ك) و(أ): عنها.

(٩) في (ك): في الحيِّ.

(١٠) في (هـ): منها.

السَّمعَ وردَ بالمَنعِ من ذلك.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾[١].

لـمَّا كان الجمعُ على تشاكلٍ[٢]، جُمِعَت قلوبُهم على تشاكُلٍ[٣]، فيما تحبُّهُ، وتُنازِعُ إليهِ، كأَنْ قد أَلِفَت. ومنهُ قيلَ: هذه الكلمةُ تأتلفُ / ٧/ معَ هذهِ، ولا[٤] تأتلفُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ﴾[٥].

أي: سليمٌ منَ الفسادِ، والمعاصي. وإنَّما خصَّ القلبَ بالسَّلامةِ، لأنَّهُ إذا سَلِمَ القلبُ، سَلِمَ سائرُ الجوارحِ منَ الفسادِ، من حيثُ أنَّ الفسادَ بالجارحةِ، لايكونُ إلَّا عن قصدٍ بالقلبِ الفاسدِ، فإذا إجتمعَ ـ معَ ذلكَ ـ جهلٌ، فقد عَدِمَ السَّلامةَ من وجهين.

---

(١) الأنفال: ٦٣.

(٢) في (ك): تشاءكل:.

(٣) في (ك): تشاءكل.

(٤) في (ش): إلا.

(٥) الشعراء: ٨٩.

وقيلَ: سلامةُ القلبِ، سلامةُ الجوارحِ، لأنَّهُ يكونُ خالياً منَ الإصرارِ على الذَّنبِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾[1].

ضيقُ الصَّدرِ يمنعُ[2] سُلُوكَ المعاني في النَّفسِ، لأنَّهُ يمنعُ منهُ، كما يمنعُ ضيقُ الطَّريقِ من السُّلوكِ فيهِ.

﴿وَلا يَنْطَلِقُ لِساني﴾. أي: لا ينبعثُ بالكلامِ، وقد يَتعذَّرُ ذلكَ، لضيقِ الصُّدُورِ، وعُزُوبِ[3] المعاني الَّتي تُطلبُ للكلامِ[4]

وقيلَ في قولهِ: ﴿وَضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾[5]. بمعنى: ضيقِ صُدُورِهم، بالهمِّ الَّذي حصلَ فيها.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ

---

(١) الشعراء: ١٣.

(٢) العبارة في (ك): يمنع ضيقُهُ من سلوك...

(٣) في (أ) و(ح): غروب. بالغين المعجمة بعدها راء مهملة.

(٤) في (هـ) و(أ): الكلام. من دون حرف الجرّ (اللام).

(٥) التوبة: ١١٨.

﴿قَسْوَةً﴾ [١].

ظاهرهُ[٢] يفيدُ[٣] الشَّكَّ[٤] الَّذي لا يجوزُ على اللهِ ـ تعالى ـ.

الجوابُ: إنَّ ﴿أَوْ﴾ ـ ههُنا ـ للإباحةِ. يقالُ: جالسِ الحسنَ أوِ ابنَ سيرينَ. والقَ الفُقهاءَ أوِ المحدِّثينَ.

أو دخلَت للتَّفصيلِ، ويكونُ مَعناها: إنَّ قلُوبَهم قسَت، فَمِنها ما[٥] هوَ كالحجارةِ في القسوةِ، ومنها ما هوَ أشدُّ قسوةً منها، نحوُ قولِهِ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوْداً أَوْ نَصَارَى﴾ [٦]. وفي معناهُ: قَالَ بعضُهم: كُوْنُوا هُوْداً. وَهُمُ اليَهُودُ. وَقَالَ بعضُهم: أو نصارى. وهُم النَّصَارَى. ومثلُهُ: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُوْنَ﴾ [٧].

أو دخلت على سبيلِ الإبهامِ، فيما يرجعُ إلى المُخاطبِ، وإن كان الله ـ تعالى ـ عالماً بذلكَ، غيرَ شاكٍّ فيهِ. والمعنى: أنَّهما كأحدِ هذينِ، لا يخرجانِ عنهما،

---

(١) البقرة: ٧٤.

(٢) في (ش) و(هـ): ظاهراً. وفي (أ): وإنَّ ظاهراً. وفي (ح): ظاهرة.

(٣) في (ش) و(هـ) و(أ): ويُفيد. مع الواو.

(٤) في (ح): التشكيك.

(٥) في (أ): أمّا.

(٦) البقرة: ١٣٥.

(٧) الأعراف: ٤.

كقولهم[١]: ما أُطعِمُكَ إلَّا حُلواً أو حامِضاً. فَيُبهِمُونَ عَلَى المُخاطَبِ بِـمَا[٢] يعلَمُونَ[٣] أنَّهُ لا فائدةَ في تفصِيلِهِ[٤].

أو بمعنى «بَلْ»، نحوُ[٥] قولِهِ: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[٦]. قالوا: كانُوا مائةَ ألفٍ وبضعاً وأربعينَ ألفاً. وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[٧] [قال الـ]ـشاعِر[٨]:

فوالله لا أدري أسلمى تَغَوَّلت أمِ البدرُ أم كلٌّ إليَّ حبيبُ[٩]

أو بمعنى «الواو»، قولهُ[١٠]: ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾[١١]. معناهُ: وَبُيُوتِ آبائِكُمْ. وقولهُ: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ

---

(١) في (هـ): كقولهما.

(٢) في (ك): مَا.

(٣) في (ش) و(أ) و(ح): يعملون. بميمٍ ثم لام.

(٤) في (ش): تفضيله. بالضاد المعجمة.

(٥) (نحو): ساقطة من (أ). وفي (ح): كقوله.

(٦) الصافات: ١٤٧.

(٧) النَّجم: ٩.

(٨) في (ش) و(أ): شاعر. وفي (ك): شعر.

(٩) معاني القرآن: ١: ٧٢، ٢: ٢٩٩ بلا عَزْوٍ. أمالي المرتضى: ٢: ٥٦ بلا عزو، وفيهِ: أم النَّوم... أيضاً: همع الهوامع: ٢: ١٣٣. الدرر اللوامع: ٢: ١٧٧.

(١٠) في (ك): نحو قوله. وفي (هـ) و(ح): كقولِهِ.

(١١) النور: ٦١.

آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ [1] الآية. جرير [2]:

نـالَ الخلافـةَ أو كانـت لـهُ قـدراً كـما أَتَـى رَبَّـهُ موسـى عـلى قـدرِ

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كَذلِكَ سَلَكْناهُ فِي قُلُوبِ الْـمُجْرِمِينَ﴾ [3].

(الهاءُ) [4] كنايةٌ عن القرآنِ، ومعناهُ: أقررناهُ في قلوبهم، بإخطارهِ ببالِهم، لتقُومَ [5] الحُجَّةُ عليهم، وللهِ لطفٌ يوصلُ بهِ المعنى، والدليلَ إلى القلبِ، فمن ذكرهُ، أدركَ الحقَّ بهِ، ومن أعرضَ عنهُ، كان كمن عرف الحقَّ، وتركَ العملَ بهِ، في لُزُومِ الحُجَّةِ.

والفرقُ بينَ إدارِكِ الحقِّ بسُلوكهِ في القلبِ، وبينَ إدراكهِ بالاضطرارِ إليهِ في القلبِ، أنَّ الاضطرارَ إليهِ يُوجبُ الثِّقةَ بهِ، فيكونُ صاحبُهُ عالماً بهِ. وأمَّا سُلوكهُ، فيكونُ معَ الشَّكِّ فيهِ.

***

(١) النور: ٣١.

(٢) ديوان جرير: ١: ٤١٦ وفيه: «إذ كانت...» وقد أشار المحقق إلى الرواية المطابقة لِما وَرَدَ في كتابنا.

(٣) الشعراء: ٢٠٠.

(٤) في (ش) و(أ) و(ح) و(ط): إنّها.

(٥) في (ك) و(أ): ليقوم.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ :﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها﴾[(١)] إلى قوله:﴿فِي الصُّدُورِ﴾[(٢)].

فيها دلالةٌ على أنَّ العَقلَ، هوَ العلمُ، لأنَّ معنى ﴿يَعْقِلُونَ بِها﴾ : يعلمونَ بها، مَدلُولَ ما يرَونَ منَ العِبرَةِ. وفيها دَلالةٌ على أنَّ القلبَ، محلُّ العقلِ، والعلومِ، لأنَّهُ ـ تعالى ـ وصفها بأنَّها هي الَّتي تَعمى، وأنَّها الَّتي تذهبُ عن إقرارِ الحقِّ، فلولا أنَّ التَّبيينَ، يصُحُّ فيها، لَمَا وصفها بأنَّها تعمى، كما لا يصُحُّ أن يصفَ اليدَ والرِّجلَ بذلكَ.

***

قوله[(٣)] سبحانهُ[(٤)]: ﴿فَإِنَّها لا تَعْمَى الأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[(٥)]. ردٌّ على من قالَ: إنَّ العقلَ في الدِّماغِ. والصَّحيحُ: أنَّ محلَّ العِلمِ والعقلِ، القَلبُ. لأنَّ الشَّاكَّ في الشيءِ[(٦)]، يجدُ التَّغيُّرَ من جهةِ القلبِ، كما أنَّ المريدَ، يجدُ التَّغيُّرَ[(٧)] من جهتهِ.

***

(١) الحج: ٤٦.

(٢) الحج: ٤٦.

(٣) في (ح): وفي قولِهِ.

(٤) (سبحانه) سقطت من (ح).

(٥) الحج: ٤٦.

(٦) في (ح): شيء. من دون (أل).

(٧) العبارة: «من جهة القلب... يجد التغيّر» ساقطة من (أ).

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾[١].

أي: يتخيَّلونَهُمْ بأعُينِهِم قَليلاً من غيرِ رؤيةٍ[٢] على الصِّحَّةِ لجميعِهِمْ[٣]، وذلك بلُطفِ[٤] من ألطَافِهِ ـ تعالى ـ ممَّا يُصدُّ بِهِ عن الرُّؤيةِ من قتامٍ[٥] يُستر[٦] بعضهم، ولا يستر[٧] بعضاً آخرَ. قَالَ ابن مسعودٍ[٨]: رأيناهُم قليلاً، حتَّى قلتُ لِمَن كانَ إلى جانبي: أتُراهم سبعينَ رجُلاً؟ فقالَ: هُم نحوُ المائةِ. وكانوا ألفاً[٩].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً﴾[١٠].

السُّباتُ من صفاتِ النَّومِ، إذا وقعَ على بعضِ الوُجُوهِ. وهو النَّومُ الطَّويلُ

(١) الأنفال: ٤٤.

(٢) في (أ): يرونه.

(٣) في (أ): بجميعهم.

(٤) في (ك): لطف.

(٥) القتام: الغبار الكثيف الذي يضرب إلى سَواد أو حمرة.

(٦) في (ش): يستتر.

(٧) (يستر): ساقطة من (ك).

(٨) جامع البيان: ١٠: ١٣ ـ ١٤. أيضاً مجمع البيان: ٢: ٥٤٧. الجامع لأحكام القرآن: ٨: ٢٢ ـ ٢٣.

(٩) (ألفاً): ساقطة من (أ).

(١٠) النَّبأ: ٩.

يقالُ لِمن وُصِفَ بكثرةِ النَّومِ، أَنَّهُ مسبُوتٌ[١]، وبهِ سُباتٌ. ولا يقالُ ذلكَ في كلِّ نائمٍ. والسُّباتُ[٢]: الرَّاحةُ والدِّعةُ، ومنهُ السَّبتُ للفراغِ من الخلقِ.

قالتِ اليهودُ: ابتداءُ[٣] الخلقِ يومُ الأحدِ، والفراغُ في يومِ السَّبتِ.

وَقَالَ النَّصارى: بل كان يومَ الاثنينِ إلى السَّبتِ، والفراغُ يومَ الأحدِ.

وَقَالَ المسلِمونَ: بل كان في يومِ السَّبتِ، والفراغُ في يومِ الخميسِ، وجُعِلَتِ الجمعةُ عيداً.

وقيلَ: السَّبتُ، القطعُ، والخلقُ.

فمعنى قولهِ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً﴾ . أي: ليسَ بموتٍ[٤]، لأنَّ النَّائم. قد يَعتقِدُ من علومهِ، وقُصودهِ، وأحوالهِ، أشياءَ كثيرةً. واللهُ ـ تعالى ـ امتنَّ علينا بالنَّومِ المُضاهِي للموتِ، وليسَ بمُخرِجٍ[٥] عنِ[٦] الحياةِ، والإدراكِ، فجعَلَ التَّأكيدَ بذكرِ المصدرِ قائماً مقامَ نَفيِ الموتِ.

ووجهُ آخرُ: أَنَّهُ جعلَ نَوْمَنا مُمتدّاً لما في ذلكَ من المنفعةِ، والرَّاحةِ. والنَّومُ اليسيرُ لَا يُكسِبُ شيئاً من الرَّاحةِ، بل يصحبُهُ ـ في الأكثرِ ـ القلقُ، والانزِعاجُ،

---

(١) في (أ): مسوت.

(٢) السُّبات.

(٣) في (ك): ابتدأ. بصيغة الماضي.

(٤) في (ك): يموت. بصيغة المضارع بياء مثناه من تحت.

(٥) في (ك): يخرج. بصيغة المضارع بياء مثناة من تحت.

(٦) في (ك): مِنْ.

والهُمُومُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذْ زاغَتِ الأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ﴾ (١).

والقلبُ إذا زالَ عَنْ(٢) موضعِهِ، ماتَ صاحِبُهُ.

المراد: إنَّهم جبُنُوا، ومن شأنِ الجبانِ عندَ الهولِ، أن ينتفِخَ سحرُهُ(٣). والرِّئةُ إذا انتفَخَتْ رَفعتِ(٤) القلبَ، ونهَضَتْ بهِ إلى نحوِ الحُنجُرَةِ. ذكرهُ الفرَّاءُ(٥)، والكَلبيُّ، وأبو صالحٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ(٦). والقُلُوبُ توصفُ بالوجيبِ في أحوالِ الجزعِ [قال(٧) الـ]ـشاعرُ(٨):

كأنَّ قلوبَ أدلَّائها معلَّقةٌ بقرونِ الظِّباءِ(٩)

---

(١) الأحزاب: ١٠.

(٢) في (ك): مِنْ.

(٣) في (ش) و(هـ) و(أ) و(ط): مِنخَره. والسَّحر: الرِّئة.

(٤) في (ك): دَفعَت. بالدال المهملة.

(٥) معاني القرآن: ٢: ٣٣٦.

(٦) معاني القرآن: ٢: ٣٣٦.

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٨) تأويل مشكل القرآن: ١٧٢. تأويل مختلف الحديث: ٢٣٦ ونَسَبَهُ إلى المرّار. أمالي المرتضى: ١: ٣٢٨ بلاعزو. أساس البلاغة مادة (عفر) عرَضَاً: بلاعزو. والأدلاء: جمع دليل. والبيت في وصف فلاة مخيفة ثم انظر: شعراء أمويون: ٢: ٤٣٤ معزواً إلى المرّار بن سعيد الفقعسيّ.

(٩) في (ك): أذلائها. بالذال المعجمة و«الظِّما» بدلاً من «الظِّباء».

ويكونُ[١] المعنى: كادتِ القلوبُ من شدَّةِ الرُّعبِ، تبلُغُ الحناجرَ، فألغى ذكرَ «كادت» لِوُضُوحِ الأمرِ فيها. ولفظَةُ[٢] «كادتْ» للمُقاربَةِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعاءً وَنِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[٣].

المعنى: مثلُ[٤] واعظِ الَّذي كفرُوا، والدَّاعِي لهُم إلى الإيمانِ، والطَّاعةِ، كَمثلِ الرَّاعي الَّذي ينعقُ بالغنَمِ، وهيَ لا تعقِل معنى دعائه. إنَّما تسمَعُ صوتهُ، ولا تَفْهَمُ غرضهُ.

ويجوزُ أن يقومَ قولهُ مقامَ الدَّاعِي لَهُمْ، كَما تقولُ العربُ: فُلانٌ يخافُكَ خوفَ الأسَدِ. وهذا المعنى مُضافٌ إلى الأسدِ. قَالَ الشاعر[٥]:

فَلَسْتُ مسلِّماً ما دُمتُ حَيَّاً ... على زيدٍ بتسليمِ الأميرِ[٦]

(١) في (ح): أو يكون.

(٢) في (ح): لفظ.

(٣) البقرة: ١٧١.

(٤) (مَثَل) ساقطة من (أ).

(٥) في (ك): بيت. وهي ساقطة من (أ). وفي (ش) و(هـ): شعر.

(٦) معاني القرآن: ١: ١٠٠، ٢: ٤٠٤ بلا عزو. أمالي المرتضى: ١: ٢١٥ ولم ينسبه. شرح ديوان زهير لأبي العباس ثعلب: ٣٤. التبيان في تفسير القرآن: ٢: ٦٢ بلا عزو أيضاً.

فمثَلُ الَّذين كفروا كمَثلِ الغنَمِ الَّتي[1] لا تفهَمُ ما أرادَ النَّاعقُ. أضافَ المثَلَ الثَّانيَ إلى النَّاعقِ، وهوَ في المعنى مُضافٌ إلى المنعوقِ[2] بهِ.

تقولُ[3] العربُ: طَلَعتِ الشِّعرى. أيْ: نجمُها. وانتصبَ العودُ على الحَرباءِ. المعنى: انتَصبَ الحَرباءُ على العُودِ. قالَ[4] [الراجز][5]:

[وَبلدٍ عاميةٍ أعماؤهُ] كأنَّ لَوْنَ أرضهِ سَماؤهُ

أرادَ: كأنَّ لونَ سمائهِ أرضُهُ. قَالَ أبو النَّجمِ[6]:

قبلَ دُنُوِّ النَّجم مِن جوزائهِ[7]

ومثَلُ الَّذين كفرُوا، ومثلُنا. أو مثلُهم. ومثلُكَ ـ يا مُحَمَّدُ ـ كمثَلِ الَّذي ينعقُ. أي: مثلُهُم في الدُّعاءِ والتَّنبيهِ، والإرشادِ، كمَثَلِ[8] النَّاعقِ، والغَنَمِ[9]. فحذفَ المثَلَ الثَّاني اكتفاءً بالأوَّلِ. مثلُ قولهِ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ

---

(١) في (ك) و(أ): الّذي.

(٢) (المنعوق به): مطموسة في (أ).

(٣) في (ح): وتقول. مع الواو.

(٤) هو رؤبة بن العجاج. انظر ديوانه: ٣، ومنه صدر البيت.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٦) هو أبو النَّجم العجلي. وقد أخلَّ بها ديوانه.

(٧) تأويل مشكل القرآن: ١٩٦ معزواً إلى أبي النجم. أمالي المرتضى: ١: ٢١٦ معزواً إليه أيضاً.

(٨) في (أ): وَكمثل.

(٩) في (ح): الناعق في الغنم والغنم.

الْحَرَّ﴾[1]. وأرادَ: الحَرَّ[2] والبَردَ. [قال][3] أَبُو ذُؤيبٍ[4]:

عصيتُ إليها القلبَ إنّي لأمرها مُطيعٌ فما أدري: أرشدٌ طلابها

أرادَ: أرشدٌ أم غيٌّ؟

أوَ[5]: مثلُ الَّذين كَفَرُوا في دُعَائهم[6] الأصنامَ، وعِبَادَتهم لها، كَمَثَلِ الرَّاعي الَّذي يَنْعقُ بغَنَمِهِ، ويُنَادِيها نِدَاءَهُ، ودُعَاءَهُ، ولا تَفْهَمُ مَعْنى كَلامِهِ.

فشبَّهَ مَنْ يَدعوهُ الكُفَّارُ من المعبوداتِ بالغَنَمِ من حيثُ لا تَعْقِلُ الخطابَ، / ٩/ ولا تَفْهَمُهُ، ولا نفعَ عِنْدَهَا فيهِ، ولا مَضَرَّةَ.

❁❁❁

---

(١) النَّحل: ٨١.

(٢) (الحرّ) ساقطة من (أ).

(٣) مابين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٤) هو أبو ذؤيب الهذلي. أنظر ديوان الهذليين: ق ١: ٧١ وفيه:

عصاني إليها القلبُ إنّي لأمرهِ سميع...

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): ومثل، مع الواو.

(٦) في (ش): إدّعائهم.

فصل [ـ ٤ ـ]

[في الملائكة]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ﴾[١].

[أي][٢]: لو أنزلنا ملكاً في صورتِهِ، لقامتِ السَّاعةُ، ووجبَ استئصالُهُم. ثمَّ قالَ: ﴿وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً﴾[٣]. أي: في صورةِ رجلٍ، لأنَّ أبصارَ البشرِ، لا تقدرُ على النَّظرِ إلى صورةِ مَلَكٍ[٤] على هيأتِهِ، للطفِ المَلَكِ، وقلَّةِ شُعاعِ أبصارنا، ولذلكَ كانَ جَبرئيلُ [ـ عليه السلام ـ][٥] يَأْتي النبيَّ[٦] ـ عليه السلام ـ في صُورةِ دَحيةَ الكلبيِّ. وكذلكَ[٧] الملائكةُ الَّذينَ دخلوا على إبراهيم في صورةِ الأضيافِ، حتَّى قدَّمَ إليهم عِجْلاً سَمِيناً، لأنَّهُ لم يعلم أنَّهم ملائكةٌ، وكذلكَ لمَّا

---

(١) الأنعام: ٨.

(٢) زيادة من (هـ).

(٣) الأنعام: ٩.

(٤) في (ك): الملك.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك).

(٦) (النَّبي) ساقطة من (أ).

(٧) في (ك): وَلذلكَ.

تسوَّر[1] المحرابَ على داودَ الملكانِ، كانَا على صورةِ رجلينِ يختصمانِ إليهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذْ قالَتِ الْـمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّـرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[2]. الآية.

قال الجبائي[3]: ظهورُ الملائكةِ لمريمَ، إنَّما كانَ معجزةً لزكريَّا ـ عليه السلام ـ لأنَّ مريمَ، لم تكُن نبيَّةً لقولِهِ: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾[4].

وَقَالَ إبنُ الإخشيد[5]: كانَ ذلكَ إظهاراً لنبوَّةِ عيسى ـ عليه السلام ـ كما كانَ ظهورُ الشُّهبِ، والغمامةِ، وغيرهما، معجزةَ النَّبيِّ[6] ـ عليه السلام ـ.

ويجوزُ ـ عندَنا ـ أن يكون معجزةً لها، وكرامةً، وإن لم تكُن نبيَّةً، لأنَّ

---

(١) في (ك): تسوَّروا

(٢) آل عمران: ٤٢، ٤٣. وقد آثرنا كتابة الآيتين بتمامهما. وفي النّسخ جميعها: ﴿وَإِذْ قالَتِ الْـمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ...﴾.

(٣) مجمع البيان: ١: ٤٣٨. وفي التفسير الكبير: ٨: ٤٣ معزوٌ إلى جمهور المعتزلة.

(٤) يوسف: ١٠٩. النَّحل: ٤٣. الأنبياء: ٧.

(٥) مجمع البيان: ٤٤٣.

(٦) في (ك) و(هـ) و(أ): و(ح): للنَّبيِّ

إظهارَ[١] المعجزاتِ ـ عندنا ـ إنَّما تدُلُّ على صدقِ من ظهرت على يدهِ، سواءٌ كـانَ نبيّاً، أو إماماً، أو صالحاً.

على أنَّهُ يحتملُ أن يكونَ اللهُ [ـ تعالى ـ][٢] قَالَ ذلك لمريمَ. وقد يقالُ: قَـالَ اللهُ لها، وإن كان بواسطةٍ، كما تقولُ: قَالَ الله كذا، وكذا. وإن كان على لسانِ النبيِّ ـ عليه السلام ـ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى﴾[٣].

إنَّما جازَ أن تتصوَّر الملائكةُ في صورةِ البشرِ، مع ما فيهِ من الإيهامِ[٤]، لأنَّـهُ قد اقترنَ بهِ دلالةٌ، وكان فيهِ مصلحةٌ. فجرى مجرى السَّرابِ، الَّـذي يُتخيَّـلُ أنَّـهُ ماءٌ، من غيرِ علمٍ بأنَّهُ ماءٌ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ﴾[٥].

---

(١) (إظهار) ساقطة من (أ).

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك).

(٣) النَّجم: ١١.

(٤) في (ش) و(ك): الإبهام. بالباء الموحَّدة من تحت.

(٥) التَّحريم: ٦.

معناهُ: غِلاظٌ في الأخلاقِ، شِدادٌ في القُوَى، وإن كانوا رِقاقَ الأجسام، لأنَّ الظَّاهرَ من حالِ المَلَكِ أنَّهُ روحانيٌّ، فخرُوجهُ عنِ الرُّوحانيَّةِ، كخرُوجهِ عن صُورةِ الملائكةِ.

***

قولُهُ ـ سُبحَانَهُ ـ: ﴿لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ﴾[1]، وقولهُ: ﴿سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[2].

قالَ جماعةٌ: إنَّ الملائكةَ كلَّهُم[3]، رُسُلُ الله.

وَقَالَ الرُّمَّانيُّ في قولهِ: ﴿جاعِلِ الْـمَلائِكَةِ رُسُلاً﴾[4]: ظاهرُ الآيةِ يقتضي[5] العمومَ، وعمُومهُ[6] يقتضِي أنَّهم لا يعصُونهُ في صغيرةٍ[7] ولا كبيرةٍ[8].

***

(١) الأنبياء: ١٩.

(٢) الأنبياء: ٢٦، ٢٧.

(٣) العبارة: «كلهم رسل الله... جاعل الملائكة» ساقطة من (ك).

(٤) فاطر: ١.

(٥) في (ك): تقتضي. بالنون الموحّدة من فوق.

(٦) في (هـ): عمومه. من دون واو.

(٧) في (ك) و(هـ) و(أ): صغير.

(٨) في (ك) و(هـ) و(أ): كبير.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْـمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[١].

أدخلَ «مِنْ» للتَّبعيض، فدلَّ على أنَّ[٢] جميعهم، لم يكونُوا أنبياءَ، كما أَنَّهُ لَّما قالَ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾، دلَّ على أنَّ جميعَ النَّاسِ، لم يكونُوا أنبياءَ.

وذهبَ أصحابُنا إلى أنَّ فيهم رسلاً، وفيهِم من ليسَ برسُولٍ، فلو كانوا ـ جميعاً ـ رسلاً، لكانوا ـ جميعاً ـ مصطفَينَ، لأنَّ الرَّسولَ لا يكونُ إلَّا مختاراً، مصطفى. كَما قال: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ﴾[٣].

فالرُّسلُ منهم، لا يجوزُ عليهم فعلُ القبيحِ، ولا دليلَ على أنَّ جميعَهُم بهذهِ الصِّفةِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها﴾[٤]. يدلُّ على زيادةِ التّثبيتِ في نفوسهم، أَنَّهُ يعلمُ الغيبَ. وإنَّما قالوا ذلكَ لِـمَا رأو[هُ][٥] من الجانِّ. أو قالوا اِستعظَاماً لفعلِهِم. أوْ إنَّ اللهَ كان قد أخبرهم. أو قالوا على وجهِ الإيجابِ،

(١) الحج: ٧٥.

(٢) في (هـ): أنَّهم.

(٣) الدُّخان: ٣٢.

(٤) البقرة: ٣٠.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ح).

وإن خرجَ مخرَجَ[١] الاستفهامِ. أو على وجهِ التَّوجُّعِ، والتَّألُّمِ.

وقيلَ: إنَّما سألوا على وجهِ التَّعريفِ، والاستفادةِ، وإنَّما أرادوا ـ بذلكَ ـ غيرَ الأنبياءِ، والمعصومينَ. وكأنَّهُ ـ تعالى ـ قال: ﴿إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢]، يكونُ لَهُ ولدٌ ونسلٌ، يفعلونَ كيتَ، وكيتَ، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها﴾؟ يريدونَ[٣] الولدَ.

ويحتملُ أن / ١٠/ يكون قوله: ﴿مَنْ يُفْسِدُ فِيها﴾ يريدونَ البعضَ، لا الكُلَّ. كما يقالُ: بَنُو شيبانَ يقطعونَ الطَّريقَ. أي: بعضهم.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا﴾[٤]. يحتملُ وجهينِ: ـ قَالَ ابنُ[٥] عبَّاسٍ: تنزيهاً لله أن يكونَ أحدٌ[٦] يَعْلمُ الغَيْبَ.

والثَّاني: أنَّهم أرادوا أن يُخْرِجُوا الجوابَ مخرجَ التَّعظيمِ لله، فكأنَّهم قالوا: تنزيهاً لكَ عنِ القبائحِ.

***

---

(١) في (أ): يخرج.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) في (أ): يريد.

(٤) البقرة: ٣٢.

(٥) جامع البيان: ١: ٢٠٢. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٧٨.

(٦) في (هـ): أحداً.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ﴾[1]. أي: ملائكة لايخفى عليهم شيٌ من الّذي تفعلونهُ[2] فَيُثبِتُون ذلكَ كُلَّهُ.

وعلمُهمُ بذلكَ: إمَّا باضطرارٍ، كما تعلمُ أنَّهُ يقصدُ إلى خِطابِنا، وأمرِنا، ونهيِنا. وإمَّا باستدلالٍ، إذا رَأوهُ، وقد ظهر منهُ الأمورُ الَّتي لا تكونُ[3] إلَّا عن علمٍ، وقصدٍ، نحوُ ردِّ الوديعةِ، وقضاءِ الدَّينِ، والكيلِ، والوزنِ، ممَّا يتعهَّدُ فيهِ أهلُ الحقوقِ.

قال الحسنُ[4]: يعلمونَ ما تفعلونَ من الظَّاهرِ، دونَ الباطنِ.

وقيلَ: هو على ظَاهرِ العُمومِ، لأنَّ اللهَ، يُعلِمُهم إيَّاهُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[5].

كلامٌ مجملٌ، لا يُعْرَفُ ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾، آحادٌ، أم عشراتٌ، أم مئونٌ، أم

---

(١) الانفطار: ١١، ١٢.

(٢) في (هـ): يفعلونَه. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٣) في (أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) مجمع البيان: ٥: ٤٥ بلفظه ومن دون نسبة إلى أحد. الجامع لأحكام القرآن: ١٩: ٢٤٨ معزواً إلى الحسن.

(٥) المدَّثر: ٣٠.

ألوفٌ؟ وكذلكَ قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ﴾ (١).

قال ابنُ عبَّاسٍ (٢)، وقتادةُ (٣)، والضَّحَّاكُ (٤): عِدَّةُ الملائكةِ الموكَّلين بالنَّارِ، في التَّوراةِ. والإنجيلِ، تسعةَ عشرَ. فكانَ ذكرُ هذا العددِ، تصديقاً للنبيِّ ـ عليه السلام ـ.

***

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ ﴿وَما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً﴾ (٥) أي: خَزَنَةً.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ. فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ (٦).

إنَّما عُرفَ اِنتفاءُ الشَّهواتِ عَنْهُم، وأنَّهم لا يَأكُلونَ، ولا يَشْرَبونَ، ولا يَتَنَاكحُونَ، وَلا يَتَوالدُونَ، وَلَيسَ لهم ذرِّيَّةٌ بالإجماعِ، بهذهِ الآيةِ.

***

(١) الحاقَّة: ١٧.

(٢) جامع البيان: ٢٩: ١٦١. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٨٨. الجامع الأحكام القرآن: ١٩: ٨٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) المدَّثر: ٣٠.

(٦) هود: ٦٩، ٧٠.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾[١]. بيَّنَ أنَّهم ليسوا بمجبولينَ على أعمالِهم.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لله وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[٢].

إنَّما أخَّر ذكر جبريلَ، وميكالَ، مِنَ الملائكةِ، ذِكْراً لِفَضْلِهِمَا، وَمَنْزِلَتِهِما، كما قال: ﴿فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[٣]، وكقولِهِ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ﴾[٤].

أو لِـمَا تقدَّم من قصَّتهما قَبْلَهَا. وهذه الآية، نزَلت فيهما، وفيما جرى من ذكرِهما.

ثمَّ إنَّ اليهودَ لَّما قالت: إنَّ جبريلَ عدوُّنا، ومِيكَالَ وَليُّنا، خُصَّا بالذِّكرِ، لئلَّا تزعمُ اليهودُ أنَّ جِبريلَ، ومِيكالَ، مخصوصانِ من جُملةِ الملائكةِ، وغيرُ دَاخِلينِ في جُملتهِمْ، فَنَصَّ اللهُ عليهما، لإبطالِ مَا يَتَأَوَّلُونَهُ من التَّخْصِيصِ.

***

(١) الأنبياء: ٢٩.

(٢) البقرة: ٩٨.

(٣) الرحمن: ٦٨.

(٤) آل عمران: ٤٨.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْـمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا﴾[1].

قال الحسنُ[2]: هو مَلَكُ الموتِ، وأعوانه، وإنَّهم لا يعلمونَ آجالَ العبادِ، حتَّى يأتيهم[3] ذلك من قبلِ الله، بقبضِ أرواحِ العبادِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْـمَوْتِ﴾[4].

قال المُحَصِّلون[5]: إنَّ ملكَ الموتِ، لا يَنْبَغِي أن يَكونَ واحِداً، لأَنَّهُ جِسْمٌ، والجسمُ لا يَصِحُّ أن يَكُونَ في الأماكنِ الكثيرةِ في حَالَةٍ وَاحِدَةٍ. وَتَأَوَّلُوا هذه الآيَةَ: أَنَّهُ أرادَ ـ بمَلكِ الموتِ ـ الجنسَ دونَ الشَّخصِ[6] الواحدِ، كما قال: ﴿وَالْـمَلَكُ عَلى أَرْجائِها﴾[7]. أراد: جنسَ الملائكةِ.

***

(١) الأنعام: ٦١.

(٢) جامع البيان: ٧: ١٢٧ عن الحسن بن عبيدالله. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٣١٣ عن الحسن.

(٣) في (ش) و(ك) و(أ): تأتيهم. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) السَّجدة: ١١.

(٥) في (هـ): المحقِّقون، وفي هامشها: المحصِّلون. وفي (أ): المخلصون.

(٦) في (ح): شخص واحد. من دون (أل) في اللفظتين.

(٧) الحاقّة: ١٧.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَما أُنزِلَ عَلَى الْـمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوْتَ وَمارُوْتَ﴾[١].

المعلَّقانِ كيفَ يُعلِّمانِ السِّحرَ؟ وكيفَ لا يَراهُما إلَّا السَّحرةُ؟

ويُحملُ «مَا» على الجحدِ، والنَّفي، فكأنَّهُ ـ تعالى ـ قال: ﴿وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ﴾[٢]، ولا[٣] أنزلَ اللهُ السِّحرَ على الملكينِ ﴿وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[٤]. ويكونُ قوله: ﴿بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ﴾، يعني رجلينِ من جملةِ النَّاسِ، هذانِ اِسماهُما، وإنَّما ذُكِرا[٥] بعدَ ذِكرِ النَّاسِ، تَمْييزاً وتَبْييناً، ويكونُ المَلَكانِ المذكورانِ اللَّذانِ نُفِيَ عنهما السِّحرُ جِبريلَ ومِيكائيلَ، لأنَّ سحرةَ اليهودِ، اِدَّعتْ أنَّ اللهَ أنزلَ السِّحرَ على لسانِ جبريلَ، وميكائيلَ إلى سليمانَ ـ عليه السلام ـ، فأكذَبَهُم اللهُ بِذَلِكَ.

ويجوزُ أن يكونَ هاروتُ وماروتُ كَفَرا.

وكان ابن[٦] عبَّاسٍ يقرأُ: ﴿وَما أُنزِلَ/ ١١/ عَلَى الْـمَلِكَيْنِ﴾ ـ بكسرِ اللَّامِ ـ

---

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) البقرة: ١٠٢.

(٣) في (ح): وما.

(٤) البقرة: ١٠٢.

(٥) في (هـ): ذكرَ. من دون ألف الاثنين.

(٦) جامع البيان: ١: ٤٥٩ معزوة إلى بعض القرَّاء. أيضاً مجمع البيان: ١: ١٧٠ معزوّة إلى ابن عبَّاس الجامع الأحكام القرآن: ٢: ٥٢.

ويقولُ: متى كانَ العِلجَانِ مَلَكَيْنِ؟ إنَّما كانا مَلِكَـيْنِ. وفيـهِ جـوابٌ، سَـيَجِيءُ إنْ شَاءَ اللهُ تعالى.



فصل [ـ ٥ـ]

[في الجنّ والشيطان]

قولُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[1].

يدلُّ على أَنَّهُ لم يكن من الملائكةِ، لأنَّ الجنَّ، جنسٌ غيرُ الملائكةِ، كما أنَّ الإنسَ، غيرُ جنسِ الجنِّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾، استثناءٌ من غيرِ جنسهِ، نحوُ قولِهِ: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعالَمِينَ﴾[2]، وقَوْلِهِ: ﴿ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ﴾[3]. ويكونُ «إِلّا» بمعنى «لكِنَّ»، وتقديرهُ: لكنَّ إبليسَ أبى، واستكبرَ، وكانَ منَ الكافرينَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَهؤُلاءِ إِيّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ. قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ

---

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) الشعراء: ٧٧.

(٣) النساء: ١٥٧.

وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ﴾[١].

قالَ جَماعةٌ: إنَّ الملائكةَ منَ الجنِّ. فَلَوْ كَانَت كَذلَكَ، لم يَكُن لِقَولِـهِم: ﴿بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾[٢]، ونَفي عِبادتهِم إيَّاهُ، مَعْنىً.

وَقَالَ ابنُ[٣]عبَّاسٍ: كانَ إبليسُ من الملائكةِ.

وَقَالَ الطُّوسيُّ[٤]: إنَّ أخبارَنا تدُلُّ[٥] على أنَّ إبليسَ، كان من جملةِ الملائكةِ، وإنَّما كفرَ بامتناعهِ منَ السُّجودِ.

وَقَالَ ابنُ جريجٍ[٦]، وقتادةُ[٧] في قولهِ: ﴿وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ﴾[٨] إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ﴾[٩]: عنَى[١٠] بالإلهِ، إبليسَ، لأنَّهُ الَّذي إدَّعى الإلهيَّةَ منَ الملائكةِ دونَ غيرهِ، وذلكَ يدُلُّ على

---

(١) سبأ: ٤٠، ٤١.

(٢) سبأ: ٤١.

(٣) جامع البيان: ١٥: ٢٦. الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٩٤.

(٤) التّبيان في تفسبر القُرآن: ١: ١٥٠.

(٥) في (ك) و(أ): يدلّ. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) جامع البيان: ١٧: ١٧. الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٩٤.

(٧) جامع البيان: ١٧: ١٧. الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٩٤.

(٨) الأنبياء: ٢٦.

(٩) الأنبياء: ٢٩.

(١٠) في (هـ): عني. بالياء المثناة من تحت.

أنَّهُ كانَ من الملائكةِ.

وقيلَ: إنَّهُ من طائفةٍ من الملائكةِ، يسمَّونَ جِنّاً من حيثُ كَانُوا خَزَنَةَ الجنَّةِ.

وقيلَ: سمُّوا بذلكَ لاجْتِنَانِهِم عنِ العيُونِ، قوله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً﴾[1].

ومَن رَاعَى هذهِ الطَّريقةَ، قالَ: من قالَ: إنَّ إبْلِيسَ لهُ ذرِّيَّةٌ، وَهُمْ يَتَوَالَدُونَ، وَيَأْكُلُونَ، وَيَشْرَبُونَ، عوَّلَ على خبرٍ غيرِ معلومٍ.

وهذا فاسدٌ، لأنَّ الله ـ تعالى ـ أثبتَ لهُ الذُّرِّيَّةَ في قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي﴾[2].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَبى وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ﴾[3].

يدُلُّ على بطلانِ قولِ من قالَ: إنَّهُ كانَ يعبدُ اللهَ. وإنَّما جازَ أنْ يأْمُرَهُ بالسُّجودِ لهُ، وإن لم يَأْمُرْهُ بالعِبَادَةِ لَهُ، لأنَّ السُّجُودَ مُرَتَّبٌ في التَّعظيمِ، بِحَسبِ ما يرادُ بهِ.

***

(١) الصَّافات: ١٥٨.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) البقرة: ٣٤.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾[١]، وقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[٢].

وجهُ الشُّبْهَةِ الدَّاخِلَةِ على إبليسَ، أنَّ الفروعَ ترجعُ إلى الأُصولِ، فتكونُ على قدرها في التَّكبيرِ، والتَّصغيرِ، فلمَّا اِعتقدَ أنَّ النَّارَ، أكرَمُ أصلاً من الطِّين، جاءَ منهُ أنَّهُ أكرَمُ ممَّن يخلقُ من طينٍ.

وذهبَ عليهِ ـ بجهلهِ ـ أنَّ الجواهرَ كلَّها مُتَماثِلةٌ، وأنَّ الله، يصرِّفُها بالأَعراضِ، كيفَ شاءَ، معَ كرمِ جوهرِ الطِّينِ، وكثرةِ ما فيهِ منَ المنافعِ، الَّتي تقاربُ منافعَ النَّارِ، أو تُوْفِي عَليها.

قال الجُبَّائيُّ[٣]: الطِّينُ خيرٌ مِنَ النَّارِ، لأَنَّهُ أكْثَرُ مَنَافِعَ للخَلْقِ[٤] من حيثُ أنَّ الأرض[٥]، مستقرُّ الخلقِ، وفيها معَايشهُم، ومنها يخرجُ[٦] أنواعُ أرزاقِهم، لأنَّ الخيريَّةَ في الأرضِ، أو في النَّارِ: إنَّما يُرَادُ بها كثرةُ المنافعِ، دونَ كثرةِ الثَّوابِ.

***

---

(١) الإسراء: ٦١.

(٢) الأعراف: ١٢.

(٣) قول الجبائي هذا في مجمع البيان: ٣: ٤٠٢ بلفظه ومن دون عزو إليه.

(٤) في (أ): للحقّ

(٥) في (ش): الأعراض.

(٦) في (هـ) و(ح): تخرج. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

قولُـهُ ـ سُـبْحَانَهُ ـ : ﴿لأَحْتَـنِكَنَّ ذُرِّيَّتَـهُ إِلاَّ قَلِـيلاً﴾[١]. أي: لأقـودنَّهم إلى المعاصي، كما تقادُ الدَّابَّةُ، بَحَنكِها[٢]، إذا شُدَّ فيها حَبلٌ تُجرُّ بِهِ.

﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾: الَّذينَ لا يتَّبعونهُ. وإنَّما ظنَّ إبليسُ هـذا الظَّـنَّ، بأَنَّـهُ يغـوي أكثرَ الخلقِ، لأنَّ الله، كان قد أخبرَ الملائكةَ أَنَّهُ سيجعلُ فيها من يفسدُ فيها، فكانَ قد علمَ بذلكَ.

وَقَالَ الحسن[٣]: لأَنَّهُ وسوَسَ إلى آدمَ، فلم يجِد لهُ عزماً، فقـال: بنـو هـذا، مثلهُ في ضَعْفِ العزيمةِ.

وهذا مُعترَضٌ، لأنَّ آدمَ لم يفعل قبيحاً، ولم يترك واجباً.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ﴾[٤].

لم يقل: على وَجْهِ المُدَاخَلةِ. وَقَالَ ابن[٥] عبَّاسٍ: ولم يقل: مِـنْ فَـوْقِهِم، لأنَّ

---

(١) الإسراء: ٦٢.

(٢) حنك الدابة: رسنُها (المنجد: حنكَ).

(٣) جامع البيان: ١٥: ١٧. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٢٦. الجامع الأحكام القرآن. ١٠: ٢٨٧.

(٤) الأعراف: ١٧.

(٥) جامع البيان: ٨: ١٣٦. مجمع البيان: ٣: ٤٠٤.

رحمةَ الله تنزِلُ عليهم من فوقهم، ولم يقل: من تحتِ أرجلهم، لأنَّ الأتيانَ منهُ، يوحشُ.

وَقَالَ ابنُ عبَّاسٍ[١]، وقتادةُ[٢]، وإبراهيمُ[٣]، والحَكَمُ[٤]، والسُّدِّيُّ[٥]، وابنُ جُريجٍ[٦]. أي: من قِبَلِ دنياهم، وآخرتِهم، ومن جِهَةِ حَسَنَاتِهم، وسيّئاتهم.

وَقَالَ مجاهدٌ[٧]: من حيثُ يُبْصِرُونَ.

وَقَالَ البلخيُّ[٨]، وأبو عليٍّ[٩]: مِنْ كلِّ جِهَةٍ، يُمكِنُ الاحتيالُ بِهَا.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١٠].

---

(١) جامع البيان: ٨: ١٣٦. مجمع البيان: ٣: ٤٠٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ٧٥.

(٢) جامع البيان: ٨: ١٣٦. مجمع البيان: ٣: ٤٠٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ٧٥.

(٣) جامع البيان: ٨: ١٣٦، التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٣٦٤. عن إبراهيم بن الحكم.

(٤) جامع البيان: ٨: ١٣٦، أيضاً: التفسير الكبير: ١٤: ٤٠، الجامع لأحكام القرآن: ٧: ١٧٦ عن الحكم بن عتيبة.

(٥) جامع البيان: ٨: ١٣٦، مجمع البيان: ٣: ٤٠٤. التفسير الكبير: ١٤: ٤٠.

(٦) جامع البيان: ٨: ١٣٦. مجمع البيان: ٣: ٤٠٤.

(٧) جامع البيان: ٨: ١٣٧. مجمع البيان: ٣: ٤٠٤. وفيه: من حيث لا يبصرون.

(٨) التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٣٦٥.

(٩) مجمع البيان: ٣: ٤٠٤. وهو أبو علي الطبرسي صاحب المجمع.

(١٠) الحجر: ٣٩.

أي: لأُخيِّبَنَّهم من تناول الثوابِ. قَالَ الشَّاعرُ[١]:

[فمَنْ يلقَ خيراً يحمدِ النَّاسُ أمرهُ] ومن يغوِ لا يعدم على الغَيِّ لائما

ثمَّ استثنى، وقال: ﴿إِلاَّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٢] مع حرصهِ على /١٢/ إغواءِ الجميعِ، من حيثُ أنَّه آيَسَ منهم، وعَلِمَ أنَّهم لا يَقْبَلُونَ منه، وأنَّه ليس له عليهم سلطانٌ، إلَّا بالإغواءِ. فَإذَا عَلِمَ أنَّ منهم من لا يقبل منه، صَرَفَهُ عن ذلك أيَاسُهُ منه.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[٤].

قال الجبَّائيّ[٥]: ليس لهُ عليهم قدرةٌ على ضَرَرٍ[٦]، ونفعٍ، أكثرُ من

---

(١) العين: ٢: ٢٣٨ بلا عزو. المفضَّليات: ٢٤٦ منسوباً إلى المرقش الأصغر. الزاهر: ٢: ٢٦٤ بلا عزو. أمالي المرتضى: ١: ٣٦١ منسوباً إلى قعنب الفزاري ومنها الشطر الأوّل. التبيان في تفسير القرآن: ٢: ٣١٢ بلاعزو. المفردات في غريب القرآن: ٣٦٩ بلاعزو. الكشاف: ٣: ٢٦ معزواً إلى المرقش.

(٢) الحجر: ٤٠.

(٣) سبأ: ٢١.

(٤) إبراهيم: ٢٢.

(٥) مجمع البيان: ٤: ٣١١ بلفظه من دون عزو إلى أحد. وكذلك: ٤: ٣٨٨.

(٦) في (ح): ضر.

الوسْوَسَةِ، والدُّعاءِ إلى الفَسَادِ. فأمَّا على ضُرٍّ[(١)]، فلا، لأنَّه خَلْقٌ ضعيفٌ متخلخلٌ، لا يقدرُ على الإضرار بِغَيرِهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً﴾[(٢)].

وذلك أنَّهم كانوا في الجاهليَّة، إذا سافروا في وادي[(٣)]، نادوا للجنِّ[(٤)] نعوذ بربِّ هذا الوادي، ثمَّ قالوا: اِحبس عنَّا سفهاءكم. فتقول الجنُّ: نحن لا نَمْلِكُ لكم ضُرَّاً ولا نَفْعَاً، وهم يَفْزَعُونَ منَّا. فكانوا يجترئونَ على الإنسِ، ويُرهِقونَهم، ويُحرِّقونهم[(٥)].

وكيفَ يَتَسَلَّط من لا يقدِرُ على نَفْعٍ، ولا ضرٍّ؟ أو كيف يسلِّط[ـه][(٦)] اللهُ على عبيدِهِ، لِيُضِلَّهم عن الحقِّ، ثمَّ يكلِّفهم؟ ولا يجيءُ منهُ فعلٌ في غيرِ محلِّ القدرةِ، وإنَّهُ جسمٌ شفَّافٌ، وليسَ منهُ سوى إرادةِ المعاصي، وتزيينِ الشَّهواتِ،

(١) العبارة في (هـ): على ضرٍّ فلا، لا يقدر عليهم لأنَّه خلقٌ...

(٢) الجنّ: ٦.

(٣) في (ح): وادٍ. بالتنوين.

(٤) في (ح): بالجنّ. مع حرف الجر (الباء).

(٥) في (هـ) و(أ): يخوِّفونهم.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

والدُّعاء إلى المنكراتِ.

***

قولُـهُ ـ سُـبْحَانَهُ ـ : ﴿فَوَسْـوَسَ إِلَيْـهِ الـشَّيْطانُ﴾[١]، وقولـه: ﴿مِـنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[٢].

وسواسُ الشَّيطانِ، دعاؤهُ إلى معصيةِ الله، بِقَوْلٍ خَفِيٍّ، ويقـارنُ دُعـاءَهُ[٣]، أنَّه يُريدُ بذلِكَ نَفْعَهُ.

ويجوزُ أن يَصِلَ وسواسُهُ إلى قلبِ العبدِ بآلةٍ لطيفـةٍ، ويجـوزُ أن يكـونَ إذا تكلَّمَ بذلكَ في نفسِهِ، أعْلَمَنَاهُ اللهُ، كما لو تحدَّثَ إنسانٌ في نفسهِ، جـازَ أن يَعْلَمَـهُ اللهُ. قَالَ رؤبةُ[٤]:

وَسْوسَ يَدْعُو ـ مُخْلِصاً ـ رَبَّ الفَلَقْ

والوَسْوَسَةُ تكونُ[٥] من الجنِّ، والإنسِ.

والشَّيطانُ. اسمٌ لكلِّ بَعِيدٍ من الخيرِ، قوله: ﴿شَياطِينَ الإِنْسِ وَالْجِـنِّ﴾[٦].

---

(١) طه: ١٢٠.

(٢) الناس: ٤، ٥.

(٣) في (ك): دعاؤهُ: بالرفع.

(٤) هو رؤبة بن العَجاج. انظر ديوانه: ١٨.

(٥) في (ك) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٦) الأنعام: ١١٢.

ورأى[١] النَّبيُّ ـ عليه السلام ـ رجلاً يتبعُ حماماً في طيرانـهِ فقـال: «شـيطانٌ يتبـعُ شيطاناً».

***

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ[٢]: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَـهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَـهُمْ وَقَـالَ لا غالِـبَ لَكُـمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾[٣]. الآية.

المعنى: إنَّ إبليس حسَّن للمشركين أعمالَـهم، وحرَّضهم على قتال محمَّـدٍ ـ صلى الله عليه وآله ـ وخروجِهِمْ من مَكّةَ، وقـوَّى نفوسَـهُم، وقـال: ﴿لا غالِـبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جارٌ لَكُمْ﴾[٤]. لأنَّهم خافوا بني كِنَانةَ ممَّـا كـان بيـنهم، فأرادَ إبليسُ أن يسكِّن خوفَهُم ﴿فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ﴾[٥].

قال ابنُ عبَّاسٍ[٦]، وقتادةُ[٧]، والسُّدِّيُّ[٨]، وابنُ إسـحاقَ[٩]: ظهـر لهـم في

---

(١) سنن ابن ماجة: ٢: ١٢٣٩.

(٢) (سبحانه): ساقطة من (هـ).

(٣) الأنفال: ٤٨.

(٤) الأنفال: ٤٨.

(٥) الأنفال: ٤٨.

(٦) جامع البيان: ١٠: ١٨، ١٩. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٥٤٩، الجامع لأحكام القرآن ٨: ٢٦.

(٧) جامع البيان: ١٠: ١٩.

(٨) جامع البيان: ١٠: ١٨: أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٥٤٩.

(٩) جامع البيان: ١٠: ١٩.

صورةِ سُرَاقَةَ بن مالكٍ بن جُعشمٍ الكنانيِّ في جماعةٍ من جندهِ، وَقَالَ لهم: هذهِ كِنانةُ[١] قد أتتكم بِجُنْدِها[٢]. فلمَّا رأى الملائكةَ نكَصَ على عَقِبَيْهِ. فقالَ الحارثُ ابنُ هشامٍ: إلى أينَ يا سُرَاقةُ[٣]؟ فقال: إنِّي أرى ما لا تَرَونَ. وهو قولُ أبي جعفرٍ[٤]، وأبي عبدالله[٥] ـ عليهما السلام ـ[٦].

وقيل: إنَّه رأى جبرئيلَ بين يدي النَّبيِّ ـ عليه السلام ـ.

وَقَالَ أبو عليٍّ الجبائيُّ[٧]: حوَّلهُ اللهُ على صورةِ إنسانٍ عَلَماً للنَّبيِّ ـ عليه السلام ـ[٨] فيما يُخبر بهِ.

وَقَالَ الحسنُ[٩]، والبلخيُّ[١٠]: إنَّما هو يوسوسُ من غير أن يحول في صورةِ إنسانٍ.

***

(١) في (هـ): كناية. بياء مثناة من تحت بعد الألف.

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ): بجندٍ لها.

(٣) في (ك): ياسراق. مرخّما.

(٤) هو محمد بن علي الباقر (ع). مجمع البيان: ٢: ٥٤٩.

(٥) هو جعفر بن محمد الصادق (ع) مجمع البيان: ٢: ٥٤٩.

(٦) في (ك) و(هـ): عليه السلام.

(٧) مجمع البيان: ٢: ٥٤٩.

(٨) في (هـ): صلى الله عليه وآله.

(٩) مجمع البيان: ٢: ٥٤٩.

(١٠) مجمع البيان: ٢: ٥٤٩. وفي (أ): سقطت واو العطف.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّياطِينِ﴾[١].

وممَّا[٢] جاء في الحديثِ[٣] ـ مرفوعاً ـ: ﴿أَعُوْذُ باللهِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْثِهِ﴾.

فالهمزاتُ، دَفْعُهُم بالإغواءِ إلى المعاصي. والهَمْزُ[٤]: شِدَّةُ الدَّفعِ. ومنهُ سمِّيتِ الهمزةُ للألفِ، لأنَّه يَخْرُجُ من أقصى الحلقِ، باعتمادٍ شديدٍ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾[٥]، وقوله: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ﴾[٦].

فَنَزْغُ الشيطانِ، وَسْوَسَتُهُ، ودعاؤهُ إلى معصيةِ الله، وإيقاعِ العداوةِ بينَ النَّاسِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ﴾[٧].

---

(١) المؤمنون: ٩٧.

(٢) في (ك) و(أ): مَا.

(٣) سنن ابن ماجه: ١: ٢٦٥، ٢٦٦ باختلاف في اللفظ يسير.

(٤) لسان العرب (هَمَزَ).

(٥) يوسف: ١٠٠.

(٦) الأعراف: ٢٠٠.

(٧) الأعراف: ٢٧.

إفتانُ الشيطانِ، يكونُ بالدُّعاءِ إلى المعاصي من الجهةِ الَّتي تميلُ إليها النُّفوسُ، وتشتَهيها. وإنَّما جازَ أن يُنْهَى الإنسانُ بصيغةِ النَّهي للشَّيطانِ، لأنَّهُ[١] أَبلغُ في التَّحذيرِ من حيثُ يقتضي[٢] أنَّه[٣] يطلِبُنَا بالمكرُوهِ، ويقصدُنا بالعداوةِ. فالنَّهيُ لهُ[٤] يدخلُ فيهِ النَّهيُ لنا عن تَرْكِ التَّحذيرِ مِنْهُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشاءِ﴾[٥].

الأمرُ من الشَّيطانِ، هو دعاؤه إلى الفعل.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ﴾[٦].

إخبارٌ منهُ: أنَّ[٧] إبليس، يعلمُ أنَّ الله ـ تعالى ـ لا يجدُ أكثرَ خلقهِ شاكرينَ.

---

(١) في (هـ): لا أنَّه.

(٢) في (أ): يقضي.

(٣) في (ك) و(هـ): أن.

(٤) (لهُ) مطموسة في (أ).

(٥) البقرة: ١٦٩.

(٦) الأعراف: ١٧.

(٧) في (ك) و(هـ) و(أ): إخبارٌ من إبليس أنَّ الله تعالى. وفي (ح): إخبار من أنَّ...

قال أبو عليٍّ[١]: يُمكِنُ أنَّه عِلمهُ من جهةِ الملائكةِ، بإخبارِ الله إيَّاهم.

وَقَالَ الحسن[٢]: يجوزُ أنَّه / ١٣/ أخبرَ عن ظنِّـهِ ذلـكَ كـما قـال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾[٣]، لأنَّهُ لَمَّا غوى آدمَ، قالَ: ذرِّيَّتُهُ هذا أضـعفُ. وظـنَّ أنَّهم يستحبُّونهُ[٤]، ويُتابعونهُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿قالَ فَاهْبِطْ مِنْها﴾[٥].

قال أبو عليٍّ[٦]: إنَّما عَلِمَ إبليسُ أنَّ الله ـ تعالى ـ قَالَ لهُ هذا القولَ على لسانِ بعضِ الملائكةِ.

وَقَالَ ابن رقبةَ[٧]: إنَّه رأى معجزةً تدلُّ على ذلكَ.

***

(١) هو أبو علي الطبرسي: مجمع البيان: ٣: ٤٠٤.

(٢) مجمع البيان: ٣: ٤٠٤.

(٣) سبأ: ٢٠.

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ): يُسَبِّحونهُ.

(٥) الأعراف: ١٣.

(٦) هو أبو علي الطبرسي: مجمع البيان: ٣: ٤٠٤.

(٧) لم أقف عليه.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً﴾[١].

قال الجبّائيّ[٢]: وصفَ كيدَهُ بالضَّعفِ. لِضَعفِ قوَّتِهِ لأوليائـِهِ، بالإضـافةِ إلى نُصرةِ المؤمنينَ.

وَقَالَ الحسن[٣]: أخبرهم أنَّهم سَيَظْهرُونَ عليهم، فلذلكَ كان ضعيفاً.

ويقال: لضعفِ دوَاعي أوليائهِ إلى القتالِ، بأنَّها من جهةِ الباطلِ، إذ لانَصِيرَ لهُم، وإنَّما يقاتلونَ بما تدعو إليهِ الشُّبهةُ، والمؤمنونَ يقاتلونَ بما تدعو إليهِ الحُجَّةُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٤].

قال الجبّائيُّ[٥]: في الآيةِ دلالةٌ على أنَّ الصَّرَعَ، ليسَ من قبلِ الشَّيطانِ، لأنَّهُ لو أمكنهُ أن يَصْرَعَهُ، لكانَ لهُ عَلَيهِم سُلْطَانٌ.

وأجازَ أبو الهُذَيلِ[٦]، وابنُ الإخشيد[٧] ذلك، وقالَا[٨]: إنَّـه يجـري مجـرى

---

(١) النِّساء: ٧٦.

(٢) مجمع البيان: ٢: ٧٦.

(٣) مجمع البيان: ٢: ٧٦.

(٤) النَّحل: ٩٩.

(٥) مجمع البيان: ١: ٣٨٩.

(٦) مجمع البيان: ١: ٣٨٩.

(٧) مجمع البيان: ١: ٣٨٩.

(٨) في النّسخ جميعها: قال. بإسناد الفعل إلى المفرد الغائب. وما أثبتناه هو الموافق للسِّياق.

قولِهِ: ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْـمَسِّ﴾[١]، لأنَّ الله ـ تعـالى ـ قـال: ﴿إِنَّمَا سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾[٢]. وإنَّما أراد بِهِ سلطانَ الإغـواءِ، والإضـلالِ عنِ الحقِّ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْـمَسِّ﴾[٣].

مَثَلٌ عندَ الجبَّائيِّ[٤] ـ لا حَقِيقَةَ لهُ ـ على وجهِ التَّشبيهِ بحالِ مَنْ تغلِبُ عليهِ المُرَّةُ السَّوداءُ، فتضعفُ نفسُهُ، ويلجُّ الـشَّيطانُ بإغوائـهِ عليـهِ، فيقـعُ عنـدَ تلـكَ الحالِ، ويحصُلُ بِهِ الصَّرَعُ من فعلِ الله. ونُسِبَ إلى الشَّيطانِ مجازاً، لِـمَـا كانَ عندَ وَسْوَسَتِهِ.

وكان أبو الهذيلِ[٥]، وابنُ الإخشيدِ[٦]، يُجِيـزانِ[٧] كـونَ الـصَّرعِ مـن فعـلِ الشَّيطانِ في بعضِ النَّاسِ، دونَ بعضٍ، لأنَّ الظَّاهرَ من القرآنِ يـشهدُ بـهِ. ولـيسَ في العقلِ، ما يمنعُ منهُ.

---

(١) البقرة: ٢٧٥.

(٢) النَّحل: ١٠٠.

(٣) البقرة: ٢٧٥.

(٤) مجمع البيان: ١: ٣٨٩.

(٥) مجمع البيان: ١: ٣٨٩.

(٦) مجمع البيان: ١: ٢٨٩.

(٧) في (هـ): يخيزان. بالخاء المعجمة من فوق.

وَقَالَ الجبَّائيُّ[١]: لا يجوزُ ذلكَ، لأنَّ الشَّيطانَ، خَلْقٌ ضَعِيفٌ، لم يُقـدِرْهُ الله على كيدِ البشرِ بالقتلِ، والتَّخبيطِ. ولو قَوِيَ على ذلكَ، لقتلَ المؤمنينَ الـصَّالحينَ، والدَّاعينَ إلى الخيرِ، لأنَّهم أعداؤهُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَإِنِّي أُعِيذُها بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ﴾[٢].

معناهُ: الاستعاذةُ من طعنِ الشَّيطانِ للطِّفلِ الَّذي يستهلُّ صارخاً، فَوَقَاهَا[٣] اللهُ ـ عزَّوجلَّ ـ وولدَهَا عِيْسَى منهُ بِحِجَابٍ. كما رَوَى أبو هُرَيرةَ[٤] عنِ النَّبيِّ ـ عليه السلام ـ.

وَقَالَ الحسنُ[٥]: إنَّما[٦] استعَاذَتْ مِنْ إغْوَاءِ الشَّيطانِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾[٧].

---

(١) مجمع البيان: ٢: ٧٦.

(٢) آل عمران: ٣٦.

(٣) في (هـ): قوقاها. بقافين بينهما الواو.

(٤) مجمع البيان: ١: ٤٣٥.

(٥) مجمع البيان: ١: ٤٣٥.

(٦) في (أ): إنّها.

(٧) الأعراف: ٢٧.

إنّما كانوا يروننَا، ولا نراهُم، لأنَّ أبصارهم، أحدُّ من أبصارنا، وأكثرُ ضوءاً من أبصارنا، وأبصارنا قليلةُ الشُّعاعِ. ومعَ ذلكَ أجسامُهُمْ شَفَّافةٌ، وأجسامنا كثيفةٌ. فَصَحَّ أن يَرَونا، ولا يصُحُّ منَّا أن نراهم، ولو تكثَّفوا، لصحَّ منّا ـ أيضاً ـ أن نراهم.

وَقَالَ أبو عليٍّ[1]: في الآية دلالةٌ على بطلانِ قولِ من يقولُ: إنَّهُ يرى الجنَّ من حيثُ أن الله عمَّ ألّا نراهم. قالَ: وإنَّما يجوزُ أن يَرَوا في زمنِ الأنبياءِ، بأن يكثِّفَ[2] اللهُ أجسامَهُم.

وَقَالَ أبو الهذيلِ[3]، وابن الإخشيدِ[4]: يجوزُ أن يمكِّنهم أن يتكثَّفوا، فيراهم ـ حينئذٍ ـ من يختصُّ بخدمتهم. وهذا أقوى.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ﴾[5]، ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾[6].

---

(١) أبو علي الطبرسي مؤلف مجمع البيان. انظر مجمع البيان: ٢: ٤٠٩.

(٢) في (ك): يكشف. بالشين المعجمة.

(٣) مجمع البيان: ٤٠٩.

(٤) مجمع البيان: ٢: ٤٠٩.

(٥) الأنبياء: ٨٢.

(٦) ص: ٣٨.

قال الجبّائيّ[١]: كثّفَ اللهُ أجسامهم حتّى تهيّأ لهم تلك الأعمالُ، مُعْجِزاً[٢] لسليمانَ. وقالَ[٣]: لأنّهم كانوا يبنُونَ لهُ البنيانَ، ويغوصونَ في البحارِ، ويُخرِجونَ ما فيها من اللُّؤلؤ، وذلكَ لا يَتَأتّى مع رِقّةِ[٤] أجسَامِهِم.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْـمَلَإِ الأَعْلى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ دُحُوراً﴾[٥]، وقوله: ﴿مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾[٦]، وقوله: ﴿مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾[٧].

إِنَّما جازَ أن يقصدوا لِا ستراقِ السّمعِ، مع علمِهِم بأنّهم لا يَصِلُونَ، وأنّهم يُحرَقُونَ بالشُّهبِ، لأنّهم ـ تارةً ـ يَسْلَمونَ إذا لم يكن ـ هناكَ ـ من الملائكةِ شيءٌ، وتارةً يهلكونَ كَرَاكِبِ البَحْرِ.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَقالَ أَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ﴾[٨].

---

(١) مجمع البيان: ٢: ٤١٠

(٢) في (ح): معجزةً.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): قال. من دون واو العطف.

(٤) في (أ): دقّة. بالدّال المهملة.

(٥) الصافات: ٨، ٩.

(٦) الجنّ: ٩.

(٧) الحجر: ١٨.

(٨) الأنعام: ١٢٨.

قال الزَّجّاجُ[١]، والرُّمَّانيُّ[٢]: وجهُ استمتاعِ الجنِّ بالإنسِ، أنَّهم إذا اعتقدوا أنَّ الإنسَ، يتعوَّذونَ بهِم، ويعتقدونَ أنَّهم ينفعونهم، ويضُّرونهم، أو أنَّهم يقبلونَ منهم، إذا دَعَوْهُم، كانَ في ذلك تعظيمٌ لهم، وسرُورٌ، ونَفْعٌ. ذكرَ ذلكَ.

/ ١٤/ وَقَالَ البلخيُّ[٣]: ويحتملُ أن يكونَ قولهُ: ﴿اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ﴾ مقصوراً على الإنسِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾[٤]، يدلُّ على أنَّ فيهم مؤمنينَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾[٥].

في الآية دلالةٌ على أنَّ للمؤمنين من الجنِّ أزواجاً من الحُوْرِ.



---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ٣٢٠.

(٢) مجمع البيان: ٢: ٣٦٥.

(٣) مجمع البيان: ٢: ٣٦٥.

(٤) الجنّ: ١، ٢. وفي (أ) تكملة الآية: ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً﴾.

(٥) الرحمن: ٥٦، ٧٤.

فصل [ـ ٦ ـ]

[في تسبيح المخلوقات لله]

قولُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1]، وقولـه: ﴿أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾[2].

لا يخلُو[3] ذلك من: التَّسبيحِ المسمُوعِ، أو تـسبيحٍ مجهـولٍ، أو مـن جهـةِ الدَّلالةِ.

ولا يجوزُ الأوَّلُ، لأَنَّهُ جمادٌ. والفرقُ بينَ الجمادِ، وَالحيوانِ بالنُّطقِ. وَلَوْ أرَادَ ذلِكَ، لَقَالَ: ولكن لا تسمعونَ تسبيحهم. ولم يقل: ﴿لا تَفْقَهُونَ﴾[4].

ولا يجوزُ الثَّاني، لأَنَّهُ تثبيتُ فسادِ ما لا يعقلُ. وسواءٌ إثباتُ مـا لا يعقـلُ، ونفيهُ، لأنَّهما ـ في الدَّلالةِ والجوازِ ـ سواءٌ في جميعِ الأبوابِ، فلم يبقَ إلَّا من جهـةِ الدَّلالةِ.

---

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) النُّور: ٤١.

(٣) العبارة في (هـ) مصحّحَةٌ على النَّحو الآتي: لا يخلو ذلك إمَّا أن يكون منَ التَّسبيحِ...

(٤) الإسراء: ٤٤.

ولا خلافَ في أنَّ جميعَ المخلوقاتِ، تُسبِّحُ[١] اللهَ بالدَّلالةِ على أنَّ لها صانعاً. ومن عادةِ العربِ، أن تجعلَ الدَّلالةَ قولاً، ونطقاً، وكلاماً وإشارةً.

والتَّسبيحُ: هو التَّقديسُ عمَّا لا يجوزُ عليهِ في صفاتهِ، ولم يزلِ اللهُ مقدَّساً، منزَّهاً، قبلَ خلقهِ، فمن كانَ من العقلاءِ، عارفاً بهِ، فتسبيحُهُ لفظاً، ومعنىً. و ما ليسَ بعاقلٍ من الحيوانِ والجمادِ، فتسبيحهُ ما فيهِ من الأدلَّة على وحدانيَّتِهِ، وتنزيههِ عمَّا لا يليقُ بهِ.

ورجوعُ التَّقديسِ إلى ما لا يعقلُ، كَكُفرِ الكافرِ، يعودُ نقصهُ إليهِ من غيرِ أن يضرَّ اللهَ منهُ شيءٌ. وكذلك قولُهُ: ﴿سَبَّحَ لله مَا فِي السَّماواتِ﴾[٢]، ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾[٣]، ﴿يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾[٤]. فيكونُ معناهُ: أي[٥]: يسبِّحُ أَهْلُهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾[٦].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾[٧] الآيـة.

---

(١) في (أ): يسبِّح، بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) الحديد: ١، الحشر: ١، الصف: ١.

(٣) الرَّعد: ١٣.

(٤) سبأ: ١٠.

(٥) (أي) سقطت من (ح).

(٦) يوسف: ٨٢.

(٧) النَّمل: ٢٢.

وقوله: ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُراباً﴾[١]، وقوله: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾[٢]، وقوله: ﴿قالَتْ نَمْلَةٌ﴾[٣].

قال أبو عليٍّ[٤]: لا يمتنع أن يكون اللهُ خلقَ في هذهِ الحيواناتِ من المعارفِ ما تفهمُ به الأمرَ، والنَّهيَ، والطَّاعةَ، فيما يرادُ منها، والوعيدَ على ما خالفت، وإن لم تكن كاملةَ العقلِ، مكلَّفةً، وأنَّها تُخبِرُ ـ بذلكَ ـ كما يُخبِرُ مراهقو صِبيانِنَا، لأنَّه لا تَكْلِيفَ إلَّا على الملائِكَةِ، والإنْسِ، والجنِّ.

وَقَالَ الطُّوسيُّ[٥]: هذا خلافُ الظَّاهرِ، لأنَّ الاحتِجاجَ الَّذي حكاهُ عنِ الهُدْهُدِ، احْتِجَاجُ عارفٍ باللهِ، وبما يجوزُ عليهِ، وما لا يجوزُ. قوله: ﴿وَجَدْتُها وَقَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[٦]، ثمَّ قال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ﴾[٧]، ثمَّ[٨] قال: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾[٩]، ثمَّ قال: ﴿فَهُمْ لا

---

(١) المائدة: ٣١.

(٢) ص: ١٩.

(٣) النَّمل: ١٨.

(٤) هو الطبرسي صاحب مجمع البيان. انظر مجمع البيان: ٤: ٣١٨.

(٥) التِّبيان في تفسير القرآن: ٨: ٧٩.

(٦) النَّمل: ٢٤.

(٧) النَّمل: ٢٤.

(٨) (ثمَّ قال): ساقطة من (أ).

(٩) النمل: ٢٤.

يَهْتَدُونَ﴾ [١]، ثمَّ قالَ: ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَما تُعْلِنُونَ. اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [٢].

والمرادُ[٣] بقولِهِ: ﴿قالَتْ نَمْلَةٌ﴾ [٤]، أي: إِنَّهُ ظهرَ منها دلالةُ القولِ لباقي النَّملِ على التَّخويفِ من الضَّررِ بالمقامِ، وإنَّ النَّجاةَ في الهربِ إلى مساكنِها. ويكونُ[٥] إضافةُ القولِ إليها مُجَازاً، واستعارَةً كَقَوْلِ الشَّاعر[٦] في الفَرَسِ:

[وازوَرَّ من وقعِ القنا بلَبانِهِ] وشكا إليَّ بِعَبرَةٍ وتَحَمحُمِ[٧]

أو أنَّه وقعَ من النَّملةِ كلامٌ ذو حروفٍ منظومةٍ[٨]، يتضمَّنُ[٩] للمعاني المذكورةِ، مثلَ ما يقعُ[١٠] من المجنونِ، والصَّبيِّ، مع زوالِ التَّكليفِ، والكمالِ

---

(١) النَّمل: ٢٤.

(٢) النَّمل: ٢٥، ٢٦.

(٣) في (ح): أو المراد.

(٤) النَّمل: ١٨.

(٥) في (ح): تكون. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٦) هو عنترةُ بن شدّاد العبسي.

(٧) شرح القصائد السَّبع الطوال الجاهليَّات: ٣٦٠. شرح القصائد التسع المشهورات: ٢: ٥٣٠. شرح القصائد العشر: ٢١١. ومنها صدرُ البيتِ.

(٨) في (هـ): منضومة. بالضاد المعجمة. وفي (ا): مقطوعة.

(٩) في (هـ): تتضَّمن. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(١٠) في (ش) و(ح): وقع.

عنهم، وذلكَ يكونُ معجِزاً لسليمانَ ـ عليه السلام ـ[١].

وَقَالُوا: [٢]: هو مَثَلٌ ضربَهُ اللهُ على لسانِ النَّملةِ، لأمرٍ أرادهُ، لأنَّه ﴿لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها﴾[٣]، لأنَّهُ كما كانَ عَاقِبةُ[٤] النَّملِ أنَّ سليمانَ، إن مرَّ عليهِ، حَطَمَهُ.

وقيلَ: «النَّملُ» اسمُ رجلٍ في ذلكَ الزَّمانِ، كما نسمِّي[٥] بضبٍّ[٦]. وكِلْبٍ والمرادُ بقولهِ: ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ﴾[٧]، أَلْهَمَهُ، كما قالَ: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[٨].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾[٩].

---

(١) (عليه السلام) سقطت من (ح).

(٢) في (ح): وقيل.

(٣) البقرة: ٢٦.

(٤) في (هـ): من عاقبة.

(٥) في (ح): يُسمَّى. بياء المضارعة المثناة من تحت وبصيغة المبني للمجهول.

(٦) في (ك): نصب بنون موحدة من فوق بعدها صاد مهملة.

(٧) المائدة: ٣١.

(٨) النّحل: ٦٨.

(٩) النّور: ٤١.

قال مجاهدٌ[١]: الصَّلاةُ للإنسانِ، والتَّسبيحُ لكلِّ شيءٍ. والصَّلاةُ: الدُّعاءُ. والدُّعاءُ إنَّما يكونُ لطلبِ ما يُحتاجُ إليه. والتَّسبيحُ هو التَّبعيدُ[٢] ممَّا لا يستحقُّه. فأرادَ أنَّ كلًّا من الطَّيرِ قد عَلِمَ ما يحتاجُ إليهِ، ويطلبهُ ويدعوهُ، وما يجبُ عليهِ الاجتنابُ من مضارِّهِ، ولا بدَّ أن يكون لها إشاراتٌ، وأسبابٌ، وتفهُّمٌ، يَفْهَمُ[٣] بعضُها عن بَعْضٍ، وذلَكَ مَنْطِقُهُم.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ / ١٥/ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾[٤] الآية.

وقوله: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ﴾[٥].

معنى السُّجودِ: الذُّلُّ، والتَّواضُعُ، تسخيراً للخالقِ. قَالَ سويدُ بن أبي كاهل[٦]:

سَاجِدُ المِنْخَرِ لا يَرْفَعُهُ خَاشِعُ الطَّرْفِ أَصَمُّ المُسْتَمَعْ

(١) جامع البيان: ١٨: ١٥٢. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ١٤٨.

(٢) العبارة: «التَّبعيد ممّا لا... يحتاج إليه» مكرّرة في (أ).

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): بفهمٍ. بالباء الموحدة من تحت وبصيغة المصدر.

(٤) الحجّ: ١٨.

(٥) الرحمن: ٦.

(٦) ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري: ٢٤.

وَقَالَ أُميَّةُ[١]:

هـو الَّـذي سـخَّر الأرواحَ ينـشرُها ويـسجُدُ الـنَّجمُ للـرَّحمنِ والـشَّجرُ[٢]

وَقَالَ الطُّوسيُّ[٣]: سجودُهُما، ما فيهما من الآيةِ الدَّالَّةِ على حُدُوثِها، وعلى وجوبِ الخُضُوعِ لله، والتَّذلُّلِ لهُ، لِـمَا خَلَقَ فيهما من الأقواتِ المختلفةِ في[٤] النَّباتِ والثِّمار. فلا شَيءَ أدعَى إلى الخُضوعِ، والعبادةِ لمن أنعمَ بهذهِ النِّعمةِ الجليلةِ، ممَّا فيهِ.

وَقَالَ مجاهدٌ[٥]، وابنُ جبيرٍ[٦]: سجودُ هما، ظِلا لهُما الَّذي يُلقِيانِها بكرةً، وعَشيَّاً. فكلُّ جسمٍ له ظلٌّ فهو يقتضي الخضوعَ، بما فيهِ من دليلِ[٧] الحدوثِ.

وَقَالَ الحسنُ[٨]، وقتادةُ[٩]، وابنُ زيدٍ[١٠]: إنَّ المؤمنَ يسجدُ لله طوعاً،

---

(١) هو أميَّة بن أبي الصَّلت.

(٢) أخلَّ به ديوانه المطبوع.

(٣) التِّبيان في تفسير القران: ٩: ٤٦٤.

(٤) في (ك) و(هـ): وفي. معَ الواو.

(٥) جامع البيان: ٢٧: ١٢٨. التبيان في تفسير القرآن: ٧: ٣٠٢. الدر المنثور: ٦: ١٧. الجامع لأحكام القرآن: ١٧: ١٥٤.

(٦) جامع البيان: ٢٧: ١١٧. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١٩٨.

(٧) في (هـ): دَلول.

(٨) جامع البيان: ٢٧: ١١٨. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٢٣٤.

(٩) جامع البيان: ٢٧: ١١٨. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٢٣٤.

(١٠) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٢٣٤.

والكافرَ كَرْهاً. يعني: بالسَّيفِ.

وَقَالَ أبو عليٍّ[1]: سجودُ الكَـرْهِ، بالتَّـذليلِ، والتَّـصريفِ[2] مـن عافيـةٍ إلى مرَضٍ، ومن غنىً إلى فقرٍ، ومن حياةٍ إلى موتٍ.

وَقَالَ الزَّجّاجُ[3]: المعنى: إنَّ فيمَن يَسْجُدُ لله، مَنْ يسهُلُ ذلِكَ عَلَيهِ، وفيهم مَنْ يَشقُّ عَليهِ، فيكرهُهُ، كقولِهِ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾[4].

وقيلَ: إنَّ المؤمنَ يسجدُ لله طَوْعَاً، والكافرَ في حكمِ السَّاجِدِ كَرْهَاً، بما فيـهِ من الحاجةِ إليهِ، والذِّلَّةِ الَّتي تدعو إلى الخضوعِ لله ـ تعالى ـ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَبـاتَ كُـلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً﴾[5] الآية.

يدُلُّ[6] على بُطلانِ قَولِ الطَّبائِعيَّةِ: إنَّ الماءَ الوَاحدَ، وَالتربةَ الواحِدةَ، يُخرِجُ

---

(١) هو الطبرسي: مجمع البيان: ٥: ١٩٨. ونقله الطوسي في التبيان: ٦: ٢٣٤ عن أبي علي الجبائي.

(٢) في (ك) و(ح): للتصريف. وبسقوط (الواو) وفي (أ): بسقوط الواو فقط.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٢٣٤.

(٤) الأحقاف: ١٥.

(٥) الأنعام: ٩٩.

(٦) في (ش) و(أ): تدلّ. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

اللهُ منها ثماراً مختلفةً، وأشجاراً مُتَبايِنةً، واخْتِلافُها يَدُلُّ على بُطْلانِ قَوْلِـهِم.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِهِ﴾[(١)].

وجهُ الدَّلالةِ من ذلـكَ: أنَّ[(٢)] الـمُجْرِيَ لها بالرِّياحِ، هوَ القادرُ الَّذي لايعجزُ أن يُرْسِلَها في الوجوهِ الّتي يُريدونَ المسيرَ فيها. ولو اِجتمعَ جميعُ الخلقِ أن يُجرُوا[(٣)] الفُلْكَ في بعضِ الجهاتِ، مخالفاً لجهةِ الرِّياحِ لَمَا قدروا عليهِ.

ودخلَ ابنُ مِيثمِ على الحسنِ بنِ سهلٍ، وإلى جنبهِ ملحدٌ، قد عظَّمهُ[(٤)] النَّاسُ. فقالَ لهُ: قد رأيتُ ببابكَ عجباً!! قال: وما هوَ؟

قال: رأيتُ سفينةً تعبِّرُ النَّاسَ من جانبٍ إلى جانبٍ، بلا ملاَّحٍ، ولا ماخرٍ[(٥)]!!

فقالَ الملحدُ: إنَّ هذا ـ أصلحكَ اللهُ ـ لمجنونٌ.

---

(١) لقمان: ٣١.

(٢) (أنَّ) ساقطة من (أ).

(٣) في (هـ): يجبروا.

(٤) في (أ): عظَّمتهُ.

(٥) في (ش) و(ك) و(أ) و(ط): ناصِر. وفي (ح): ماحر. بالحاء المهملة.

قال: وكيف ذاكَ[١]؟

قال: خشبٌ جمادٌ، لا حياةَ لهُ، ولا قوىً، ولا عقلٌ، كيفَ يعبرُ بالنّاسِ؟

قالَ ابنُ مِيثمٍ: فأيُّما[٢] أعجبُ: هذا، أو هذا[٣] الماءُ الجاري، يجري على وجهِ الأرضِ يمنةً، ويَسرَةً، بلا روحٍ، ولا حياةٍ، ولا قُوىً، وهذا النَّباتُ الَّـذي يخـرجُ من الأرضِ، وهذا المطرُ الَّذي ينزلُ منَ السَّماءِ؟ تزعمُ أنْ لا مدبِّرَ لها كلِّها، وتُنكِرُ أن تكون سفينةٌ تحرَّكُ[٤] بلا مدبرٍ، وتُعبِّرُ النَّاسَ؟

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[٥].

نَسبَهُ إلى نفسهِ، أمَّا في البحرِ، فلأنَّه بـالرِّيحِ، والله المحـرِّكُ لهـا دون غـيرِه، وأمَّا في البرِّ، فلأنَّهُ، كانَ باقتدارِه، وتمكينهِ، وتسبيبهِ.

وَقَالَ رجلٌ[٦] للصَّادقِ ـ عليه السلامُ ـ: ما الدَّليلُ على اللهِ؟ ولا تذكُرْ[٧] لِيَ

---

(١) في (هـ): ذلك.

(٢) في (أ): فإنَّما.

(٣) في (ش): وهذا.

(٤) في (ك): يحرك. وفي (ح): تتحرَّك.

(٥) يونس: ٢٢.

(٦) معاني الأخبار: ٥. باختلاف في اللفظ يسير.

(٧) في (ك): تذكّر. بتشديد الكاف.

العالَم، الجوهرَ، والعَرَضَ.

فقال ـ عليه السلام ـ: هل ركبتَ في البحرِ؟ قال: نعم.

قَالَ: فَهَلْ عَصفَتْ بكَم الرِّيحُ حتَّى خفتُمُ الغرقَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فهل انقطع رجاؤُك من المركبِ والمَلَّاحينَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فهل تتبَّعت نَفْسَكَ أنْ ثَمَّ من يُنْجِيكَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فإنَّ ذلكَ هو الله ـ تعالى ـ[١]. قَالَ تعالى[٢]: ﴿ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ﴾[٣].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَها﴾[٤].

ولم يَقُلْ: كلَّ ما عليها، فَيَدْخُلُ[٥] فيها الحَيَّاتُ والعقاربُ[٦]، ونحوها.

---

(١) (تعالى) سقطت من (ك) و(ح).

(٢) (قال تعالى) سقطت من (هـ).

(٣) النَّحل: ٥٣.

(٤) الكهف: ٧.

(٥) في (هـ): فتدخل. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق.

(٦) في (أ): العقاب.

وَقَالَ ابنُ عبَّاسٍ[١]، وابنُ زهرةَ[٢]: «لها»، كأَنَّهُ يشيرُ إلى النَّباتِ خاصَّةً.

ويقال: من النَّباتِ والدَّوابِّ، لأنَّها[٣] تدُلُّ على الوحدانيَّةِ، ألَا ترى أنَّهُ أقسم بالتِّينِ والزَّيتونِ[٤]، والشَّمسِ[٥] والقمرِ[٦]، والطُّورِ[٧] والذَّارياتِ؟



(١) مجمع البيان: ٣: ٤٥. من دون نسبة إلى أحد.

(٢) في (ح): الزهريّ.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): لأنَّهُ

(٤) التّين: ١.

(٥) الشمس: ١.

(٦) القمر: ٢.

(٧) الطور: ١.

فصل [ـ٧ـ]

[في قدرة الله]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾(١).

أي: من قدرَ على أن يجعلَ في الشَّجرِ الأخضرِ ـ الَّذي هوَ في غايةِ الرُّطوبةِ ـ ناراً حَامِيةً، معَ تضادِّ النَّارِ للرُّطوبةِ، ألا يَقْدِرُ على الإعادةِ؟

ثمَّ قال: ﴿أَ وَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾(٢)

لأنَّ من شَأنِ القَادِرِ على الشَّيءِ أن يكون قَادِراً عَلَى جِنْسِ مِثْلِهِ، وجِنْسِ ضدِّهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَ فَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ. أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ

---

(١) يس: ٨٠.

(٢) يس: ٨١.

نَحْنُ الْـمُنْشِؤُنَ﴾[١].

لا يدلُّ على أنّه[٢] نارُ الشَّجرِ[٣]، إلَّا مِنْ قَادِرٍ عَلَيهِ، لأنَّ الطَّبعَ غير معقولٍ، فلا يجوزُ أن تُسْنَدَ[٤] إليهِ الأفعالُ. ولو جازَ ذلك، لجازَ في جميعِ أفعالِ الله. ولو كانَ الطَّبعُ معقولاً، لكانَ ذلَكَ الطَّبعُ، لابُدَّ أن يَكونَ في الشَّجرِ. واللهُ الَّذي أَنشَأ الشَّجرةَ[٥]. وما فيها. فقد رجعَ إلى قادرٍ عليهِ، وإن كانَ بواسطةٍ. ولو جازَ أن تكونَ النَّارُ من غيرِ قادرٍ عليها، لجازَ أن يكونَ من عاجزٍ، ولو جازَ ذلكَ، لجازَ وقوعُ الفعلِ ممَّن ليسَ بقادرٍ عليهِ منَّا.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾[٦].

قال الحسنُ[٧]: خوفاً من الصَّواعِقِ الَّتي تكونُ مع البرقِ، وطمعاً في الغيثِ، الَّذي يُزِيلُ الجدبَ، والقَحْطَ.

---

(١) الواقعة: ٧١، ٧٢.

(٢) في (ح): أنَّ.

(٣) في (هـ): لا يدلُّ على أنَّ نار الشجر. وفي هامشها: لا يدلُّ على أنَّ النّار من الشجر.

(٤) في (ش): تستنِد.

(٥) في (ح): الشجر. بصيغة الجمع.

(٦) الرَّعد: ١٢.

(٧) مجمع البيان: ٣: ٢٨٢.

وَقَالَ قتادةُ[١]: خوفاً للمسافرِ من أذاهُ، وطمعاً للمقيمِ في الرِّزقِ بهِ.

وَقَالَ مجاهدٌ[٢]: ﴿وَيُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ﴾[٣]، المعنى: إنَّ السَّحابَ ثقالٌ بالماءِ.

وقيلَ: ﴿خَوْفاً وَطَمَعاً﴾: ليخافوا من عذابهِ بالنَّارِ، ويطمعونَ في أن يتعقَّبَ ذلكَ مطرٌ، ينتفعونَ بهِ.

***

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ ﴿وَالسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ الْمِيزانَ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْمِيزانَ﴾[٥].

إنَّما جمع بينها، لما فيها من التَّسويةِ، فالكتابُ يتضمَّنُ عِلْمَ السُّننِ المسوِّي بينَ الشَّريفِ، والمشرُوفِ. وَالميزانُ يُخرِجُ تلكَ السُّننَ إلى العملِ. وأمَّا السَّماءُ، فَلِما فيها منَ الكواكبِ السَّيَّارةِ، وَغيرِهَا، مسبِّباً لإصْلاحِ العَالَمِ.

وَأمَّا قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾[٦]، خصَّ الموزونَ دونَ المكيلِ بالذِّكْرِ، لأنَّ غايةَ المَكِيْلِ تنتهي إلى الوزنِ، فَكَانَ الوَزْنُ

---

(١) جامع البيان: ١٣: ١٢٣. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٢٨٣.

(٢) جامع البيان: ٣: ١٢٤

(٣) الرَّعد١٢.

(٤) الرحمن: ٧.

(٥) الحديد: ٢٥.

(٦) الحجر: ١٩.

أَعَمَّ مِنَ الكَيْلِ[1]. ثمَّ إنَّه ـ تعالى ـ أرادَ بالموزونِ، المقدارَ الوَاقِعَ بِحَسَبِ الحاجةِ، فلا يكونُ ناقصاً عنها، ولا زائداً[2] عليها، يقالُ: كلامُ فلانٍ موزونٌ، وأفعالُهُ مقدَّرةٌ موزونةٌ. وعلى هذا تأوَّل المسلمونَ ذِكْرَ المَوَازِينِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[3].

المستقرّ[4]: الموضعُ الَّذي يقرُّ فيهِ الشَّيءُ، وهو قرارهُ، ومكانهُ الَّذي يأوي إليهِ. والمستودعُ: المعنى المجعولُ في القرارِ، كالوَلدِ في البطنِ، والنُّطفةِ في الظَّهرِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً﴾[5].

اللِّباسُ ساترٌ مُماسٌّ لما سَتَرَ، واللَّيلُ سَاتِرُ الأشْخَاصِ بِظُلْمَتِهِ، مُماسٌّ لها بجِسْمِهِ الَّذي فِيهِ الظُّلْمَةُ.

---

(١) في (ش): المكيل.

(٢) في (هـ): زائد. من دون تنوين النَّصب.

(٣) الأنعام: ٩٨.

(٤) في (هـ): المستقرّ هو الموضع.

(٥) النَّبأ: ١٠.

فصل [ـ ٨ ـ]

[في قدرة الله]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾[1]، كالسَّمكِ والحيَّاتِ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾[2]، مثلُ ابن آدم، والطَّيرِ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾[3]، كالبهائم[4]، والسِّباعِ.

ولم يذكر المشيَ على أكثرَ من أربعٍ، لأنَّهُ كالَّذي يمشي على أربعٍ في مرأى[5] العين، فترك ذكرهُ، لأنَّ العبرةَ، تكفي بذكرِ الأربعِ.

وَقَالَ البلخيُّ[6]: لأنَّ عندَ الفَلاسفةِ أنَّ ما زادَ على الأربعِ، لا يُعْتَمدُ عليهِ، واعتمادُهُ على أربعٍ فقط.

***

(١) النُّور: ٤٥.

(٢) النَّور: ٤٥.

(٣) النَّور: ٤٥.

(٤) في (أ): البهائم. من دون كاف التَّشبيه.

(٥) في (ك) و(هـ): مرأي. بالياء المثناة من تحت.

(٦) مجمع البيان: ٤: ١٤٨.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[1]، وقوله: ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ﴾[2].

لأنَّ أصلَ الخلقِ من ماءٍ، ثمَّ قَلَبَ إلى النَّارِ، فخلقَ الجنَّ منها، وإلى الرِّيحِ، فخلقَ الملائكةَ منها، ثمَّ إلى الطِّينِ، فخلقَ آدمَ منهُ.

وإنَّما قال: ﴿مِنْهُمْ﴾، تغليباً لما يعقِلُ على ما لا يَعقِل، إذا اختلطَ في خلقِ كلِّ دابَّةٍ.

وَقَالَ الحسن[3]: ﴿مِنْ ماءٍ﴾، أي: من نطفةٍ. وجعَل قوله: ﴿كُلَّ دَابَّةٍ﴾، خاصّاً فيمَن يَخْلُقُ من نطفةٍ. وقوله: ﴿وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ـ وقد رأى أشياء مواتً منهُ ـ هذا كما يقولُ: جعلتُ من هذا الطِّينِ صورةَ كلِّ شيءٍ. فعلى هذا، يجوزُ أن يكونَ جعلتُ صورةَ كلِّ طيرٍ، وكلَّ سبعٍ. ولو قلتَ: لم أجعل من هذا الطِّينِ، إلَّا صورةَ كلِّ طيرٍ، لم يجز أن يكونَ ـ هاهنا ـ مجعولٌ غيرَ صورةِ الطَّيرِ.

***

---

(١) الأنبياء: ٣٠. وفي (ك) و(هـ): تكملة الآية: ﴿أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾.

(٢) النّور: ٤٥.

(٣) قول الحسن هذا هو المرويُّ عن أبي العالية. انظر مجمع البيان: ٤: ٤٥ وكذا في الدر المنثور: ٥: ٦٢٦.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ﴾[١].

أي: بالمطرِ. وإرسالُ الرِّياحِ، تحريكُها، وإجراؤها في الجهاتِ المختلفةِ بحسبِ ما يَعْلَمُ فيهِ من المصلحةِ شمالاً وجنوباً، وَصَباً، وَدَبُوراً، لَمَّا قَدَرُوا عليهِ، فمن قدرَ على ذلكَ، يعلم أَنَّهُ قادرٌ لنفسهِ، لا يُعْجِزُهُ شيءٌ للعبادةِ خالصةً.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَفِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾[٢]، وقال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾[٣].

لا تَنَاقُضَ بينهُما، لأَنَّهُ غيرُ ممتنعٍ أن تنضمَّ إلى الرِّيحِ، صاعقةٌ في إهلاكِ قومِ عادٍ، فيسوغُ أن يُخبِرَ ـ في موضعٍ ـ أَنَّهُ أهلكهم بالرِّيحِ، وفي آخرَ، أَنَّهُ أهلكهُم بالصَّاعقةِ.

وقد يجوزُ أن تكون[٤] الرِّيحُ نفسُهَا، هيَ الصَّاعقةَ، لأنَّ كلَّ شيءٍ صُعِقَ النَّاسُ منهُ، فهو صاعقةٌ. وكذلكَ القولُ في الرَّجفةِ، أَنَّهُ غيرُ ممتنعٍ أن يقرُنَ بالصَّاعقةِ الرَّجْفَةَ.

---

(١) الرُّوم: ٤٦.

(٢) الذاريات: ٤١.

(٣) العنكبوت: ٣٧.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

وقد يمكنُ[١] أن تكونَ[٢] الرَّجفةُ هيَ الصَّاعقةَ، لأنَّهم صُعِقُوا عندَها.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾[٣].

قالوا: إنَّ الماءَ في عهدِ نوحٍ، لَّما عمَّ جميعَ الأرضِ، لم ينجُ من الغرقِ الَّا أصحابُ السَّفينة، كالرِّيحِ المسخَّرةِ[٤]، لَّما اعتصمَ منها هودٌ وصحبهُ، بحيثُ لم تهبَّ فيهِ هذهِ الرِّيحُ المُهْلِكَةُ. واللهُ ـ تعالى ـ قادرٌ على أن يخصَّ بالرِّيحِ أرضاً دونَ أرضٍ، أو يكفَّ عن هودٍ؟

الجوابُ: إنَّه غيرُ ممتنعٍ أن يكفَّ عن هودٍ، وصحبِهِ، هبُوبَها، وتأثيرَ اعتمادِاتها، كما كَفَّ إحراقَ النَّارِ عن إبراهيم، بِبَرْدِهَا[٥] في جِسمِهِ، وإن كانَ حاصِلاً فيها.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبالِ

---

(١) في (أ): العبارة: وقد يكون يمكن.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) الذّاريات: ٤٢.

(٤) في (ش): المِتبخّر.

(٥) في (أ): يبردها. بياء مثناة من تحت بعدها باء موحّدة من تحت.

﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها﴾[1].

وهذِهِ الأشياءُ، جَمَاداتٌ، لا يَصِحُّ تَكْلِيفُهَا؟

المرادُ: عرضنا على أهلِ السَّمواتِ، وأهلِ الأرضِ، وأهلِ الجبالِ كقولهِ: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾[2].

وقِيلَ: المعنى ـ في ذلك ـ تفخيمُ شأنِ الأمانةِ، وتعظيمُ حقِّها، وإنَّ ـ من عِظَمِ مَنْزِلَتِها ـ أنَّها لو عُرِضَت على الجبالِ[3]، والسَّمواتِ، معَ عِظَمِهَا ـ وكانت تعلم بأمرِها ـ لأشفقَت مِنها. غيرَ أنَّه خرجَ مخرَجَ الواقعِ، لأنَّهُ أبلغُ في المقدُورِ.

وَقَالَ البلخيُّ[4]: معنى العرضِ، والإباء، ليسَ هو ممَّا يُفهمُ بظاهرِ [الكلامِ][5]، بل إنَّما أرادَ ـ تعالى ـ أن يُخبِرَ بِعِظَمِ شَأْنِ الأمانةِ، وأنَّهُ وجدَ السَّمواتِ مع عِظَمِهَا، لا تَحتملُها، وأنَّ الإنسانَ حملها. أي: احتملهَا، ثمَّ خَانَهَا. وهذا كقولهم: سألتُ الرَّبعَ، وخاطبتُ الدَّارَ، فقالت: كذا. ـ ورُبَّما قالوا: فَلَم تُجِب ـ وقولهِ: ﴿ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ﴾[6]. وقولهِ: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ

---

(١) الأحزاب: ٧٢.

(٢) يوسف: ٨٢.

(٣) في (ك): الحبال. بالحاء المهملة.

(٤) في مجمع البيان: ٤: ٣٧٤ بلا عزو إلى أحدٍ. وهو في (أوائل المقالات): ١٥٨ ـ ١٥٩ معزو إلى البلخي وجماعة من أهل العدل.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٦) فصّلت: ١١.

شَيْئاً إِدّاً تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدّاً﴾[1]. قالَ جريرٌ[2]:

لَمّا أتى خبرُ الزُّبيرِ تواضعَت ... سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشَّعُ

وَقَالَ آخرُ[3]:

فقالَ ليَ البحرُ إذ جئتُهُ ... وكيفَ يُجيرُ ضريرٌ ضريرَا

ومعنى الإباء: الامتناعُ. يقالُ: هذهِ الأرضُ تأبى الزَّرعَ، والغرسَ. أي: لا تصلحُ لهُما، فيكونُ المعنى: فأبينَ أن يَحمِلْنَهَا. أي لا[4] يصلحُ لحملِ الأمانةِ، إلَّا من كان حيّاً، قادراً، عالماً، سميعاً، بصيراً.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرْضُ﴾[5].

أي: أهلُها[6]. كقولِهِ: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها﴾[7]. ويقالُ: السَّخاءُ

---

(١) مريم: ٨٩، ٩٠.

(٢) ديوان جرير: ٢: ٩١٢.

(٣) التِّبيان في تفسير القرآن: ٨: ٣٦٩ بلا عزو وفيه: يجيزُ. مجمع البيان: ٤: ٣٧٤. بلا عزو.

(٤) (لا) ساقطة من (هـ).

(٥) الدُّخان: ٢٩.

(٦) الأسماء والصِّفات: ٣٩٨.

(٧) محمّد: ٤.

حَاتَمٌ. وإنَّ الله أرادَ المبالغةَ في وصفِ القومِ، بسقوطِ المنزلةِ، كما يقالُ: كسفتِ الشَّمسُ لفقدِهِ، وأظلمَ القمَرُ، وبكاهُ اللَّيلُ، والنَّهارُ، والسَّماءُ، والأرضُ. قَالَ جريرٌ[1]:

الشَّمسُ طالعةٌ ليست بكاسفَةٍ تبكي عليكَ نجومُ اللَّيلِ والقمرا[2]

ويكونُ الإخبارُ عن فقدِ الانتصارِ، والأخذِ بالثَّأرِ. والعربُ كانت لا تبكي على القتيلِ إلَّا بعدَ الأخذِ بثأرِهِ.

وبمعنى الإخلالِ عن الاختلالِ بعدهُ [قال[3] الـ]ـشاعر[4]:

بكت دارُهم من أجلِهم فتهلَّلَتْ دمُوعي فأيَّ الجازِ عينِ ألومُ

وسئل ابنُ عبَّاسٍ[5]: أَوَ تبكيانِ على أحدٍ؟ فقال: نعم. مصلَّاهُ في الأرضِ، ومَصْعَدُ عملِهِ في السَّماءِ.

وَقَالَ المرتضى[6]: البُكاءُ، كنايةٌ عنِ المطَرِ. والعرَبُ تشبِّهُ المطرَ بالبكاءِ.

---

(١) في (أ): قَالَ جرير قوله.

(٢) ديوان جرير: ٢: ٧٣٦. وفي (أ): القمر. من دون ألف الإطلاق.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٤) أمالي المرتضى: ١: ٥٣ معزواً إلى مزاحم العقيليّ. وكذلك: مجمع البيان: ٥: ٦٥. وفيهما: وتهلّلت.

(٥) جامع البيان: ٢٥: ١٢٤ ـ ١٢٥. أمالي المرتضى: ١: ٥٣. مجمع البيان: ٥: ٦٥. صحيح الترمذي: ١٢: ١٣٦. الدر المنثور: ٧: ٤١١.

(٦) أمالي المرتضى: ١: ٥٤.

فيكونُ معنى الآيةِ: إنَّ السَّماءَ، لم تسقِ قبورَهُم، لأنَّهم كانوا يستسقونَ السَّحابَ لِقبورِ مَنْ فَقَدُوهُ. قَالَ عَديٌّ بن[1] حَاتمٍ في وَفَاةِ النَّبيِّ ـ عليه السلام ـ[2]:

إنَّ الَّــذي بكــتِ الــسَّماءُ لفقــدِهِ عَمِيَــتْ عَلينــا بعــدَهُ الأنبــاءُ

والأرضُ[3] خاشــعةٌ لهــا بجِبالهــا والنَّــاسُ لا مــوتَى[4] ولا أحيــاءُ

أبو ذؤيبٍ[5]:

كــسفت لمـصرعهِ النُّجــومُ وبــدرُها وتزعزعَــت[6] أركــانُ بطــنِ الأَبطَــحِ



(١) لم أقف على مورد أخذه.

(٢) في (أ): بعد قولهِ (عليه السلام): قولهُ تعالى.

(٣) في (أ): (قوله) قبل (والأرض خاشعة).

(٤) في (أ): مولى.

(٥) أخلَّ به شعره المجموع ضمن ديوان الهذليين.

(٦) في (هـ): تزعرت.

فصل [ـ ٩ ـ]

[في إثبات وجوده سبحانه]

قولُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[1].

قال الجُبَّائيُّ[2]: في الآيةِ، دلالةٌ على بطلانِ قولِ الأصمِّ، ونفاةِ[3] الأعراضِ، وقولِهِم: ليسَ ـ ههنا ـ غيرُ الأجسامِ، لأَنَّهُ قال: ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾. فأثبتَ «غيراً»، لما كانوا فيهِ، وهوَ العرَضِ.

اخْتِيْرَ متكلِّمٌ ليناظرَ ابنَ الرَّاونديِّ في إثباتِ الأعراضِ[4]، فازدحمَ النَّاسُ ونكصَ المتكلِّمُ، فلما حضَرَ المتكلِّمُ، فلم ينظر الخليفةُ إليهِ، لغضبهِ عليهِ.

فقالَ: يا أميرَالمؤمنين! أنشُدُكَ! هل كنت قبلَ نُكُوصي على هذه الصِّفةِ أم تجدَّدَ[5] حالةٌ أُخرى؟ قال: بل تجدَّدتْ! قالَ: هيَ الَّتي ينفيها هذا الرَّجلُ، وأميرُالمؤمنين يعرِفُ من نفسهِ.

(١) النّساء: ١٤٠.

(٢) مجمع البيان: ٢: ١٢٧.

(٣) في (ك): نفاه. بالهاء غير المثناة المنقوطة.

(٤) في (هـ): الأغراض. بالغين المعجمة.

(٥) في (ح): تجدَّدت. معَ تاء التأنيث الساكنة.

وناظرَ بعضُهم الصَّاحبَ في ذلكَ، فقالَ الصَّاحبُ: هل تحصلُ منَّا أفعالٌ؟ قالَ: نعم. قال: هيَ جواهرُ أو أعرَاضٌ؟ فبُهِتَ!

وَقَالَ أبو الهذيلِ للأصمِّ ـ وهو ينفي الحركةَ ـ: خبِّرني عن قولـهِ: ﴿الزَّانِيَـةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِـنْهُما مِائَـةَ جَلْـدَةٍ﴾[1]، وعـن قولـهِ ـ في القـاذفِ ـ: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً﴾[2]، أيُّهما أكثرُ؟

قَالَ: حَدُّ الزَّاني بعشرينَ.

قَالَ: فما تلكَ الزِّيادةُ، هي نفسُ الجـلَّادِ، أو نفـسُ المجلُـودِ، أو الهـواءُ، أو الخشَبُ، أو ثَمَّ شيءٌ غيرُ هذا يسمَّى الجَلدُ؟.

قَالَ: لا أقولُ شيئاً من ذلكَ.

قَالَ: فكأنَّكَ قلتَ: لا شيءَ أكثرُ من لا شيءٍ بِعِشرينَ[3].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَوْ قاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبارَ﴾[4].

---

(١) النُّور: ٢.

(٢) النُّور: ٤.

(٣) أمالي المرتضى: ١: ١٨٠ ـ ١٨١.

(٤) الفتح: ٢٢.

في هذه الآية، دلالةٌ على أنّهُ يعلمُ ما لم يكُن أن[1] لو كانَ كيفَ يكون. وفيهِ إشارةٌ إلى أنَّ المعدومَ، معلومٌ.

وقال[2] الموبذ[3] لِهشامِ بن الحكمِ: أحولَ[4] الدُّنيا شيءٌ؟ قال: لا. قال: فإن[5] أخرجتَ يدكَ من الدُّنيا، فثمَّ شيءٌ يردُّها؟ قال: ليسَ[6] شيءٌ يردُّ يدَكَ[7]، ولا شيءَ يُخرجُ يدَكَ. قال: فكيفَ أعرفُ هذا؟

قال: يا موبذ[8] [لو كنتَ][9] أنتَ، وأنا على طرفِ الدَّنيا، فقلتُ لكَ: يا موبذ[10] إنِّي لا أرى[11] شيئاً، فقلتَ: ولِمَ[لا][12] ترى؟ فقلتُ: لأنَّهُ[13] ـ ها هنا ـ

(١) في (هـ): ألو.

(٢) في (ح): وقول.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): الموبد. بالدال المهملة.

(٤) في (ش): الأحول.

(٥) (فإن): ساقطة من (أ).

(٦) في (ح): لا شيء.

(٧) في (ح): يدي.

(٨) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ):الموبد. بالدال المهملة.

(٩) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(١٠) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): موبد. بالدال المهملة.

(١١) في (ك) و(أ): لَأَرَى.

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(١٣) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ط): لأنه ليس هاهنا ظلام.

ظلامٌ يمنعُني. فقلتَ: يا هشامُ، إنِّي لا أرى شيئاً، فقلتُ: ولِمَ لا ترى؟ فقلتَ: ليس لي ضياءٌ أنظرُ بهِ. فهل تكافأتِ المسألتانِ في التَّناقضِ؟ قالَ: نعم.

قال: فإذا تكافأتا في التَّناقضِ، لم تتكافأ في الإبطالِ أن ليسَ شيءٌ. فأشارَ الموبذ[1] بيدهِ: أن أصبتَ[2].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾[3]. وقوله: ﴿أَوَلا يَذْكُرُ الإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾[4]. وقوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ﴾[5] وقوله: ﴿هَلْ أَتى عَلَى الإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾[6]. وقوله: ﴿كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾[7].

تعلَّقَ المُثبتونَ بهذهِ الآياتِ[8].

---

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): موبد. بالدال المهملة.

(٢) العقد الفريد: ٢: ٢٢٤.

(٣) مريم: ٩.

(٤) مريم: ٦٧.

(٥) الطور: ٣٥.

(٦) الإنسان: ١.

(٧) النور: ٣٩.

(٨) في (ش) و(ح): الآية. وما أثبتناه هو الموافق للمقام.

وقالتِ[1] النُّفاةُ[2]: إنَّما قال: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾، ولم يقل: ولم يُسمِّ شيئا. والكونُ إنَّما يتناولُ الموجودَ دونَ المعدومِ. والإنسانُ خُلِقَ من نطفةٍ، وآدمُ خُلِقَ من الترابِ. وكلاهما موجودانِ. وخُلِقَ الخَلْقُ من الآباءِ، والأمَّهات.

ومعناهُ: أخُلِقُوا من غيرِ أصلٍ يرجعونَ[3] إليهِ؟

ويقال: من غَيرِ شَيءٍ. أي: لِغَيرِ شَيءٍ.

ومعنى الآياتِ: إنَّ عادةَ العربِ إذا أرادتِ الإخبارَ عن خساسةِ قدرِ شيءٍ، تصفهُ بأنَّه لا شيءَ، وليسَ بشيءٍ[4]. لا يقصدونَ إلى أنَّه غيرُ موجودٍ، لأنَّهم يصفونَ الموجودَ الحاضرَ بذلكَ، كما يصفونَ المعدومَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[5].

قالت النُّفاةُ[6]: أي يكونُ شيءٌ عظيمٌ.

***

(١) في (ح): قالَ. من دون تاء التأنيث الساكنة.

(٢) في (هـ): النّفاه. بالهاء غير المثناة المنقوطة.

(٣) (ش): ترجعون. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) (شيء) ساقطة من (أ).

(٥) الحجّ: ١.

(٦) في (هـ): النُّفاه. بالهاء غير المنقوطة.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾[١]، وقوله [سبحانه][٢]: ﴿إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٣].

فإنَّه يسوغُ للمُثبتِينَ أن يستدلُّوا بهما.

وكذلكَ قوله: ﴿وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤].

الموجودُ لا يوصفُ بالقدرةِ عليهِ أحدٌ، إلَّا على سبيلِ الإعادةِ. واشتُهِرَ عن أهلِ اللُّغةِ قولهم: شيءٌ معدومٌ. فلو كانَ لفظةُ[٥] «شيءٍ»، لا يقعُ إلَّا على موجودٍ، لكانَ هذا القولُ متناقضاً. ويجري ذلكَ مجرى قولهم: موجودٌ معدومٌ. ونحنُ نعلمُ الصَّوتَ عندَ تقضِّيهِ، والجسمَ بعدَ حجابهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[٦].

---

(١) الكهف: ٢٤.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (أ).

(٣) النحل: ٤٠.

(٤) البقرة: ٢٨٤. وفي مواضع أخرى من القرآن.

(٥) في (ح): لفظ.

(٦) الحشر: ٢١.

إنَّما أُخرِجَ[1] مخرجَ المثلِ. قولُهُ في عَقِبِهِ: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾[2].

المعنى: في خشوعِ الحجارةِ ـ أَنَّهُ يظهرُ فيها ما لو[3] ظهرَ من حيٍّ مختارٍ، قادرٍ، كانَ بذلكَ خاشعاً، كقولِهِ: ﴿جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾[4]، لأنَّ ما ظهرَ فيهِ من فعلِ الحيوانِ، لو ظهر من حيٍّ، لدَلَّ على أَنَّهُ يريدُ أن ينقضَّ، ليسَ أنَّ الجدارَ يريدُ شيئاً في الحقيقةِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِنَّ مِنْها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[5].

يريدُ ـ بذلكَ ـ التَّذَلُّلَ تسخيراً. قَالَ جرير[6]:

لَمَّا أتى خبرُ الزُّبيرِ تواضعَت ... سورُ المدينةِ والجبالُ الخُشَّعُ

ويقالُ: ﴿يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾: كأَنَّهُ يفعلُ ذلكَ، بِغَيرِهِ ممَّن يعقلُ لدلالتهِ

(١) (ك) و(هـ) و(أ): خرَجَ.

(٢) الحشر: ٢١.

(٣) في (أ): ما لونها.

(٤) الكهف: ٧٧.

(٥) البقرة: ٧٤.

(٦) ديوان جرير: ٢/ ٩١٣.

على الخالقِ. فكأنَّهُ يقولُ: يدعو إلى خشيةِ الله، إذا نُظِرَ إليهِ، قَالُوا: سُبحانَ الله. كما تقولُ العربُ ـ لما لا يُنْطَقُ، إذا نَطَقَ ـ عَجَباً لهُ، فقالوا: / ١٩/ سُبْحانَ الله.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدّاً﴾[(١)].

هذا، كما تَقولُ العَربُ: هذا الكَلامُ، يَفلِقُ الصَّخرَ، وَيَهدُّ الجِبالَ، ويَسْتَنزِلُ الوعُولَ. قَالَ الشَّاعرُ[(٢)]:

ولو أنَّ ما بي بالحصَى فلقَ الحصَى   وبالرِّيحِ لم يُسمَعْ لهُنَّ هبوبُ

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ[(٣)]، وقَتادَةُ، وَالضَّحاكُ[(٤)]: يَتَفَطَّرنَ[(٥)] من فوقهنَّ، من عظمةِ الله، وجلالِهِ.

وقالوا: إنَّ السَّمواتِ تكادُ تتفطَّرنَ[(٦)] من فوقهنَّ، اِستعظاماً لله، للكُفرِ[(٧)]

---

(١) مريم: ٩٠.

(٢) أمالي المرتضى: ١: ٤٢٩، بلا عزو.

(٣) جامع البيان: ١٦: ١٣٠. الدر المنثور: ٥: ٥٤٣.

(٤) الدر المنثور: ٥: ٥٤٤.

(٥) في (ش) و(ك): يَنفطِرنَ.

(٦) في (ك): تنفطرن.

(٧) في (أ): للفكر.

باللهِ، والعصيانِ لهُ، مع حقوقهِ الواجبةِ على خلقهِ، وذلكَ على وجهِ التَّمثيلِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾[1].

والضِّحكُ والبُكاءُ من فعلِ الإنسانِ.

قوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾[2]، وقوله: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ. وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[4].

نَسَبَ الضِّحكَ والبُكاءَ إلينا، وَلَو لَمْ يَكُن فُعْلَنا، لَمْ يَحسُنْ ذَلِكَ.

أَمَّا الآيةُ الأولى، فمعناها: أَنَّهُ أَضحَكَ، وَأبْكَى، بأن[5] فَعَلَ سَبَبَ ذلكَ مِنَ السُّرورِ، وَالحُزنِ. كما يُقالُ: أضحَكَنِي فُلانٌ، وَأبْكَاني. أي: مِنْ سَبَبِهِما[6].

وَقَالَ الحسنُ[7]: إنَّ اللهَ هوَ الخالقُ للضِّحكِ والبُكاءِ.

---

(١) النجم: ٤٣.

(٢) التوبة: ٨٢.

(٣) النجم: ٥٩، ٦٠.

(٤) المطففين: ٣٤.

(٥) (بأن) سقطت من (ح).

(٦) في (أ): سَببَها.

(٧) مجمع البيان: ٥: ١٨٢.

والضِّحكُ: تفتُّحُ أسْرَارِ الوجهِ[١] عن سرورٍ في القلبِ، فإذا هَجَمَ على الإنسانِ منهُ ما لا يمكنُهُ دَفْعُهُ، فهوَ من فعلِ الله، وكَذلكَ[٢] البُكَاءُ.

وقِيلَ: أضْحَكَ الأرضَ بالنَّباتِ، وأبْكَى السَّماءَ بالمطَرِ.



(١) في (أ): الوجد.

(٢) في (أ): لذلك.

فصل [ـ١٠ـ]

[في بطلان أقوال المنجِّمين]

قولُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ﴾[1].

لَمَّا أخبرَ اللهُ بهذهِ الأحوالِ عنِ النُّجومِ، كانَ أجرى العادةَ بأن يُحدِثَ أمراً عندَ طلوعِ كوكبٍ، أو غروبِهِ، أو اتِّصالِهِ، أو مقارنتِهِ. لكنْ لا طَريقَ لنا إلى العِلمِ بأنَّ ذلكَ قد وقعَ، وثبتَ.

ثمَّ أنَّ تلكَ العادةَ، يجوزُ أن تختلفَ باختلافِ الأزمانِ، فلا يفعلُ ذلك. لأنَّه مختارٌ فيها، ولا تأثيرَ للكواكبِ البتةَ، لأنَّها ليست بحيَّةٍ، قادرةٍ، فتفعلُ بالاختيارِ، ولا علَّةٍ مُوجِبةٍ، فتُؤثِّرُ بالإيجابِ، وإنَّما هي أجسَامٌ، يُسيِّرُهَا اللهُ، كما يُرِيدُ.

والدَّليلُ على نفيِ كونِ الفَلَكِ، وما فيهِ من شمسٍ، وقمرٍ، وكواكبَ أحياءً: الإجماعُ.

---

(١) يونس: ٥.

وَإِذَا قَطَعْنَا على نَفْيِ الحياةِ، والقُدْرةِ عَنْها، فكَيْفَ تَكُونُ فَاعِلةً.

ثمَّ أنَّ الحرارةَ الشَّديدةَ، كحَرَارةِ النَّارِ، تَنْفِي[1] الحياةَ. وحرارةُ الشَّمسِ، أقوى من حرارةِ النَّارِ. ومَا كَانَ بِهذِهِ الصِّفةِ من الحَرَارةِ، يَسْتَحِيلُ[2] أن يَكُونَ حَيّاً.

وإنْ كَانَتْ قَادرةً، إنَّما تفعلُ في غيرها على سَبِيْلِ التَّوليدِ[3]. وَلابُدَّ مِنْ وَصْلةٍ[4] بينَ الفاعلِ، والمفعولِ فيهِ. وَالكَوَاكبُ غيرُ مماسَّةٍ لَنَا. ولا وصْلَةَ بيْنَنَا، وبَيْنَها، فَكيفَ تَكُونُ فَاعِلَةً فِيْنَا؟ والهوَاءُ لا يَجُوزُ أن يَكُونَ[5] آلةً في الحَرَكَاتِ الشَّدِيدَةِ، وَحمْلِ الأثْقَالِ.

ثمَّ لو كانَ الهواءُ آلةً تحرِّكنا بها الكواكبُ، لوجبَ أن نُحِسَّ بذلكَ، كما نُحِسُّ من غيرِ الهواءِ، إذا حرَّكنَا.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبانٍ﴾[6]، ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ

---

(١) في (ك): تنقِّي. بالقاف المثنَّاة.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): تستحيل. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) في (ش): التوكيد.

(٤) في (هـ): وصله. بالهاء غير المنقوطة. وفي (ح): صلة.

(٥) في (ش) و(ك) و(أ): تكون.

(٦) الرحمن: ٥.

مَنازِلَ﴾[١]، **﴿وَالنَّجْمِ إِذا هَوى﴾**[٢].

فلا تعلُّقَ لهم فيها، لأنّنا نعترفُ أنَّ للنُّجومِ[٣] سيراً، ومنازلَ، واجتماعاتٍ واحتراقاتٍ، وحركاتٍ، وحَرَارَةَ الشَّمسِ، وكسوفَها، ونورَ القمرَ، وخسوفَهُ، وأنَّها تجري بحسابهِ، وأنَّ سيرَ[٤] كلِّ واحدٍ منها، خلافُ سيرِ الآخرِ، وأنَّ سيرَ جميعها، يجري على مقدارٍ معلومٍ، ونعلمُ بها عددَ السِّنينَ، والحسابَ، وبها يَقَعُ الفصلُ بينَ الأيامِ، واللَّيالي إلَّا أنَّهُ لا مجالَ للفعلِ فيهِ، وإنَّما يُعْلَمُ ذلِكَ سَمْعَاً. وَالخلافُ بَينَ المُسلِمينَ، وَالمنجِّمينَ في مَوضِعَينِ:

أحدهما: في تركيبِ الأفلاكِ، والأرضِ، وما يتلو ذلكَ.

والآخر: في الأحكامِ الَّتي يدَّعونها: أنَّ جميعَ حوادثِ العالمِ، نشوءاً، وتوليداً[٥]، وحدوثاً، وتغيُّراً، يتوَلَّد[٦] عنِ الكواكبِ، وبِسببِها يحدُثُ، حتَّى ادَّعوا أنَّ حَياةَ الحيوانِ، ومَوْتَهم،[٧]، وتَوالُدَهُم، ورزقَهُم، وخَيرَهُم، وشَرَّهُم،

---

(١) يس: ٣٩.

(٢) النَّجم: ١.

(٣) في (ش): النجوم. من دون حرف. الجر (اللام).

(٤) في (هـ): وإن كان سير.

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): توالداً.

(٦) في (هـ): تتولّد.

(٧) في (ح): موته وتوالده ورزقه وخيره وشرّه.

مُتعلِّقٌ بقُواها[١]، وأنَّ جميعَ ما يحدُثُ في[٢] الجوِّ من الأمطارِ، والثُّلوجِ، والرَّعدِ والبرقِ، والصَّواعقِ، وكذلكَ جميعُ ما يحدثُ في الأرضِ من الزَّلازلِ، والخسفِ، وفي بطونِ المعادنِ، وفي عمقِ البحارِ منها.

/ ٢٠/ ولو كانَ[٣] الأمرُ، على ما ادَّعوهُ، لبطلَ الأمرُ، والنَّهيُ، وارتفعَ المدحُ، والذَّمُّ. وبارتفاعِ ذلكَ، يرتفعُ العقابُ[٤]، والثَّوابُ، وببُطلانهِ تبطلُ النُّبوَّاتُ، والشَّرائعُ أجمعُ.

على أنَّهُ يجبُ ـ ببطلانِ ذلكَ ـ بُطلانُ جميعِ العلومِ، ولبطلَتِ[٥] الفائدةُ في تعلُّم علمِ النُّجومِ، لأنَّ بتعلُّمهِ لا يُستفادُ شيءٌ، إذ لا يُمكِنُ أحداً[٦]، أن يقدِّمَ شَيْئاً، أو يُؤخِّرَ، إلَّا ما يوجبهُ النَّجمُ. فسواءٌ: عَلِمَهُ أو لم يَعْلَمْهُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ﴾[٧].

---

(١) في (ح): بقولها.

(٢) في (هـ): فيه.

(٣) في (ش): ولولا الأمر.

(٤) في (هـ): الثواب والعقاب.

(٥) في (هـ): لبطت.

(٦) في (ش): أحد.

(٧) البروج: ١.

لَيْسَ فيهِ أنَّها اِثنا عشرَ، أو أقلُّ، أو أكْثَرُ، على أنَّ البُرُوجَ هي القُصُورُ. فَالآيَةُ إلى بُطلانِ مَذْهَبِهِم، أقْرَبُ.

ثمَّ أنَّ الإخبارَ بالغيبِ من جملةِ المعجزاتِ. ولو كَانَ العِلْمُ بها يَحْدثُ طَرِيقاً نُجُومِيّاً، لم يُعرَفِ المُعجِزُ. وَقَد اِجتَمَعَ المُسْلِمُونَ ـ قَدِيماً وَحَدِيثاً ـ على تَكْذِيْبِهِم.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾[1].

وَأنَّ الأهِلَّةَ ﴿مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[2]، وأنَّ لهُ ﴿مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ﴾[3] ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[4]. فَلَو كَانَتِ الحَوَادثُ مِنْهَا، لَوَجَبَ ذِكْرُها، والامتنانُ بها، إذِ النِّعمةُ بها أجلُّ. ومِنَ المُحَالِ أن يَمُنَّ اللهُ على عِبَادِهِ بما خَلقَ لهُم من صُنوفِ مَخْلُوقَاتِهِ.

فيَذْكُرَ اليَسِيرَ مِنَ الفَائِدَةِ، وَيَدَعَ ذِكْرَ مَا هُوَ أَجَلُّ مِنْهُ بِكَثِيرٍ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ﴾[5]، ﴿وَزَيَّنَّا

---

(١) يونس: ٥.

(٢) البقرة: ١٨٩.

(٣) يونس: ٥.

(٤) النَّحل: ١٦.

(٥) الصافات: ٦.

السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ﴾[١].

وهذا خلافُ قولهم، لأنَّهُ ـ تعالى ـ بيَّنَ أنَّ الكواكبَ، زينةُ[٢] سماءِ الدُّنيا.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٣].

بيَّنَ أنَّهُما في فلكٍ واحدٍ، يسبحونَ، وذلكَ أنَّه لو كانَ كلُّ واحدٍ منهُما في فلكٍ، لوجبَ أن يقولَ: وكلٌّ[٤] في فلكهِ يسبَحُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً﴾[٥].

الخصمُ معترفٌ بأنَّ الكواكبَ لا تدبِّرُ شيئاً، بل تفعلُ ـ عندَهُم ـ طبعاً. ولا يجوزُ أنَّها تدبِّرُ. والخصمُ لايعترفُ بأنَّها تدبِّرُ. وقد قيلَ: إنَّها الملائكةُ. وذلِكَ أَوْلَى.

***

(١) فصِّلت: ١٢.

(٢) في (ش) و(هـ) و(أ): زينت. بالتاء المبسوطة.

(٣) يس: ٤٠.

(٤) (كلّ) ساقطة من (أ).

(٥) النازعات: ٥.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾[١].

الشَّمسُ، والقمرُ، آيتانِ من آياتِ الله، لما فِيْهِما من عِظَمِ النُّورِ، وغيرِ هما، بغيرِ علاقةٍ، ولا دعامةٍ.

ونورُ الشمسِ ـ لَمَّا كان أضعفَ الأنوارِ ـ سمَّاهُ ضياءً. كما قيلَ للنَّارِ ناراً، لما فيها من الضِّياءِ. ولَمَّا كان نورُ القمرِ دونَ ذلك[٢]، سمَّاهُ [نوراً. وَ][٣] نورُ الشَّمسِ، وضِياؤُها يِغْلبُ عليهِ. ولذلكَ لا يقالُ: أضاءَ اللَّيلُ، بل يقالُ: أنارَ اللَّيلُ، وليلةٌ منيرةٌ. ويقولونَ: في قَلْبِهِ نورٌ. ولا يُقَالُ: فيهِ ضِيَاءٌ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَعَلاماتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٤].

وحَّدَ النَّجمَ. وَقَالَ ـ فيما تقدَّمَ ـ: ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ﴾[٥]، لأنَّ النَّجومَ على ثلاثةِ أضرُبٍ:

ما يُهتدَى بها، مثلُ الفَرْقَدَينِ، وَالجَدْيِ، لأنَّها لا تَزُولُ.

(١) يونس: ٥.

(٢) في (هـ): دون ذلك نوراً.

(٣) ما بين المعقوفتين سقطت من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

(٤) النَّحل: ١٦.

(٥) الأعراف: ٥٤.

وضَرْبٌ هـيَ زِينـةُ الـسَّماءِ، كـما قـال: ﴿إِنَّـا زَيَّنَّـا الـسَّماءَ الـدُّنْيا بِزِينَـةٍ الْكَواكِبِ﴾[1].

فقولهُ: ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ يُريدُ النُّجومَ، فَاجتَزَأَ بالواحِدِ عَنِ الجَمْـعِ، كَـما قَـالَ: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ﴾[2].

والنَّجمُ في قولـهِ: ﴿الـنَّجْمُ الثَّاقِـبُ﴾[3]، يريـدُ بـهِ: الثُّريَّـا. ﴿وَالـنَّجْمِ إِذا هَوى﴾[4]، يعني: نزولَ القرآنِ. ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ﴾[5]، يريدُ: كـلَّ مـا نجمَ من الأرضِ، ممَّا لا يقومُ على ساقٍ.



(١) الصافات: ٦.

(٢) النور: ٣١.

(٣) الطارق: ٣.

(٤) النجم: ١.

(٥) الرحمن: ٦.

فصل [-١١-]

[في صحَّة الطبِّ وفي الرؤيا]

قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [1]، وقوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ﴾ [2].

الطِّبُّ[3] صحيحٌ، وعلمهُ ثابتٌ، وطريقهُ، الوحيُ. وإنَّما أخذوهُ عنِ الأنبياءِ. والطَّريقُ إلى حقيقةِ ذلكَ بالسَّمعِ. ومعرفةُ الدَّواءِ بالتَّوقيفِ.

وكانَ الصَّادقونَ - عليهم السلام - يأمُرونَ بعضَ أصحابِ الأمراضِ باستعمالِ ما يضرُّ من كان المرضُ بهِ، فلا يضرُّهُ، وذلكَ لِعلمِهِم بانقطاعِ المرضِ، وذلك على سبيلِ المُعجزِ لهم. والصِّحةُ، والمرضُ من الله.

والمرضُ نوعانِ: مبتدأٌ يخلقهُ اللهُ. وما يخلقهُ عندَ سببٍ. كما قالَ إبراهيمُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾. أي: من تعدٍّ مِنّي.

---

(١) الشعراء: ٨٠.

(٢) الإسراء: ٨٢. وفي (أ) تكملة الآية: ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(٣) في (أ): الطيِّب.

الصَّادِقُ ـ عليه السلام ـ في خبرٍ: إنِّي[١] رأيتُ الرَّجلَ منهمُ الماهرَ في طبِّهِ، إذا سألتهُ، لم يَقِفْ على حدودِ نفسهِ. وتأليفِ بدنـهِ، وتركيـبِ أعـضائهِ. ومجـرى الأغذيةِ في جوارِحِهِ، وَمَخرجِ نَفَسِهِ، وحَرَكةِ لِسَانهِ، ومُستَقرِّ كَلامِهِ، ونورِ بـصرهِ، وانتشارِ ذكرهِ، واختلافِ شَهْواتهِ، وانسِكابِ عَبَراتـهِ، ومجمـعِ سـمعهِ، / ٢١/ وموضعِ عقلهِ، ومسكنِ روحهِ، ومخرجِ عطشهِ، وهَيجِ غُمومهِ، وأسبابِ سرورهِ، وعلمهِ بما حدثَ فيهِ من بَكَمٍ، وصمَمٍ، وغيرِ ذلكَ، لم يكن ـ عنـدهم ـ أكثـر مـن أقاويلَ استحسنوها، وَعِلَلٍ فيما بينَهم جوَّزُوها[٢].

ودخلَ موسى بن جعفر[٣] ـ عليهما السلام ـ على الرَّشيدِ، فقالَ لهُ الرَّشيدُ: يا ابن رسول الله، أخْبِرني عَنِ الطَبَائِعِ الأرْبَعِ[٤].

فقال ـ عليه السلام ـ: أمَّا الرِّيحُ، فإنَّهُ ملكٌ يُدارَى. وأمَّا الـدَّمُ، فإنَّـه عبـدٌ عاصٍ، ورُبَّما قتلَ العبدُ مولاهُ. وأمَّا البلغمُ، فإنَّه خـصمٌ جَـدِلٌ، إن سَـددتهُ مـن جانبٍ، انفتحَ من جانبٍ آخرَ. وأمَّا المِرَّةُ، فإنَّها الأرضُ إن اهتـزَّت، رَجَفَـتْ بـما فَوْقَها.

---

(١) في (هـ): أبي. بالباء الموحّدة من تحت.

(٢) الاحتجاج: ٢: ٨٥.

(٣) عيون أخبار الرِّضا: ١: ٨١، ٢: ٧٩ باختلاف في اللفظ يسير، علل الشرائع: ١٠٦ ـ ١٠٧. الاختصاص: ١٩٨.

(٤) في (أ): الأرض.

فقَالَ هَارونُ: يا ابنَ رسولِ الله، تُنفِقُ على النَّاسِ مِنْ كُنُوزِ الله وَرَسُوْلِهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْـحَياةِ الدُّنْيا﴾[1].

قال المفسِّرون[2]: يعني الرُّؤيا الصَّالحةَ.

وَقَالَ النَّبيُّ[3] ـ عليه السلام ـ[4]: ذهَبتِ النُّبوَّةُ، وبقيتِ المبشِّراتُ.

وَقَالَ ابن عبَّاس[5]: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ﴾[6]. يريدُ: تعبيرَ الرُّؤيا.

وشكرَ اللهَ ـ تعالى ـ[7] يوسفُ على ذلك، فقال: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ﴾[8].

---

(١) يونس: ٦٤.

(٢) الدر المنثور: ٤: ٣٧٤ ـ ٣٧٥. الجامع لأحكام القرآن: ٨: ٣٥٨.

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي: ٧: ٣٨. بزيادة في اللفظ فيه. الدر المنثور: ٤: ٣٧٦ فردوس الأخبار: ٢: ٣٧٠.

(٤) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٥) في جامع البيان: ١٢: ١٥٣ منسوب إلى مجاهد وكذا في الدر المنثور: ٤: ٤٩٩، وفي مجمع البيان: ٣: ٢١٠ منسوب إلى قتادة.

(٦) يوسف: ٦.

(٧) (تعالى) سقطت من (ح).

(٨) يوسف: ١٠١.

وَقَالَ إبراهيمُ ـ عليه السلام ـ[١]: ﴿إِنِّي أَرى فِي الْـمَنامِ﴾[٢].

وَقَالَ اللهُ ـ تعالى ـ لِنبيِّهِ ـ عليه السلام ـ[٣]: ﴿وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ﴾[٤]. وقال: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ﴾[٥].

وَقَالَ الرِّضا[٦] ـ عليه السلام ـ: رؤيا الأنبياءِ، وحيٌ.

وَقَالَ المرتضى[٧]: مجرَّدُ مَنامَاتِ الأنبياءِ، لا يُوجِبُ العَمَلَ، إلَّا إذا قارَنَهُ وحيٌ، يسمعهُ من المَلَكِ، على الوجْهِ الموجِبِ للعلمِ: إنِّي سَأُريكَ في مَنامِكَ وَقتَ كذا ما يَجِبُ أنْ تَعْمَلَ بِهِ.

وذهبَ النَّظَّامُ إلى إبطَالِ الرُّؤيا كُلِّها، ما خَلا رُؤيَا يُوسُفَ، ورَسُولِ الله. والدَّهريَّةُ تُبطلُ الرُّؤيا كلَّها.

ولم يزلِ النَّاسُ على التَّصديقِ بتأويلِ الرُّؤيا في الجاهليَّةِ، والإسلامِ.

وَزَعَمَ بَعضُ المتكلِّمينَ أنَّ الرُّؤيا هيَ تمنِّي[٨] يقعُ للإنسانِ، فيُتَصَوَّرُ لَهُ ما

---

(١) (عليه السلام) سقطت من (ح).

(٢) الصافات: ١٠٢.

(٣) (عليه السلام) سقطت من (ح).

(٤) الإسراء: ٦٠.

(٥) الفتح: ٢٧.

(٦) الدر المنثور: ٧: ١٠٤ عن رسول الله (ص)، وكذا في فردوس الأخبار: ٢: ٣٩٩ وهو في الأسماء والصفات: ١٣٧ منسوب إلى بعض أهل التفسير منهم ابن عباس وعمرو بن عبيد.

(٧) أمالي المرتضى: ٢: ٣٩٤.

(٨) في (ح): مَنَى. وهو تحريف.

يَتَمَنّى، كَالإنسانِ يقدِّرُ في نفسِهِ شَيْئاً، فيَتَمَثَّلُ لهُ فِكْراً، وَتَخَيلاً.

وَسَأل رَجلٌ مُعَبِّراً، فقالَ: إنّي رأيتُ كأنَّ الشَّمسَ والقمرَ، يقتتلانِ، وتناثرتِ الكَواكبُ فيما بَينَهُما! فقالَ لهُ: مع أيِّهما كنتَ؟ قال: مع القمرِ! فقرأ المُعبِّرُ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً﴾(١)، كنتَ معَ الظُّلمةِ على النُّورِ. فَقُتِلَ الرَّجلُ مع معاويةَ في صفِّينَ.

وَقَالَ رجلٌ لعليٍّ(٢) بن الحسين ـ عليهما السلام ـ: رأيتُ في منامي، كأنّي أبولُ في يدي!! فقال: تحتَكَ محُرَمٌ(٣). فنظروا، فَإذَا بينَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ رَضَاعٌ.

وَقَالَ رَجلٌ للرِّضا(٤) ـ عليه السلام ـ: رأيتُ رسولَ الله ـ صلى الله عليهِ وآلهِ ـ في المنامِ، يقولُ لي: كيفَ أنتُم إذا دُفنَ في أرضِكُم بَعْضِي، واستُحفِظْتُم وَدِيعَتِي، وَغُيِّبَ في ثَرَاكُم لَحْمِي؟

فقال ـ عليه السلام ـ: أنا المدفونُ في أرضكم، وأنا بضعةٌ من نبيِّكم، وأنا الوديعةُ، واللَّحمُ. الخبَرُ.



(١) الإسراء: ١٢.

(٢) ربيع الأبرار: ٤: ٣٣٧.

(٣) في (ك): محرَّم. بتشديد الرّاء.

(٤) عيون أخبار الرضا: ٢: ٢٥٧. باختلافٍ يسيرٍ في اللفظ. أمالي الصّدوق: ٥٧.

فصل [ـ١٢ـ]

[في معنى العلم الذي أوتي قارون وفي كنوزه]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾[1].

لم[2] يقُل قارونُ: أوتيتهُ بعلمٍ. وليسَ ـ في اللُّغةِ ـ أن يقال: أعطيتُ كيتَ[3] على علمٍ، أن يكونَ العِلْمُ سَبباً للعطيَّةِ على أنَّ العلمَ كثيرٌ فمن أينَ لنا أنَّ المرادَ بهِ، الكيمياءُ؟

ومعنى الآيةِ: إنَّ اللهَ أخبرَ بمثلِ ذلكَ عن كلِّ من يؤتيهِ اللهُ مَالاً، أنَّهُ يقولُ مثلَ ما قَالَ قارونُ، وكمَّا قالَ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾، ردَّ عليهِ ذلكَ بقولهِ: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾[4]. يعني: امْتِحَانٌ، لا استِحْقَاقٌ. ولا تعلُّقَ في ذلكَ بقولهِ: ﴿عِنْدِي﴾، لأنَّه يريدُ: أنَّ هذا كما قلتهُ فيما أراهُ، وأتَوَهَّمهُ.

---

(١) القصص: ٧٨.

(٢) في (ش): ولَم. معَ الواو.

(٣) في (ك): اعطيتُكَ. وفي (ح): أعطيت كذا.

(٤) الزُّمر: ٤٩.

وقالت المعتزلةُ: الكيمياءُ باطلٌ، لأنَّ أصحابهُ[١]، يدَّعونَ قلبَ الجنسِ. وعندنا أنَّهُ من المعجزاتِ، ولا يؤخذُ إلّا بالوحي، مثلَ الطِّبِّ، والنُّجومِ.

وقالوا[٢]: إنَّ موسى علَّمَ قارونَ منها الثُّلثَ، وعلَّمَ يوشعَ الثُّلثَ، وعلَّم ابن هارونَ الثُّلثَ، فخدَعهما[٣] قارونُ.

ويقال[٤]: إنَّ موسى ـ عليه السلام ـ سألتهُ اِمرأتهُ[٥] شيئاً، فقال: خذي من هذا النَّبتِ، فاجعليهِ على المسِّ، فإنَّه سَيَصيرُ ذهباً.

فسمعَ منهُ قارونُ، ونهاها عن ذلكَ، وأعطاها شيئاً، واشتغلَ بهِ.

ورويَ عن أميرِالمؤمنينَ ـ عليه السلام ـ أنَّه قال: هيَ أختُ النبَّوةِ، وعصمةُ المروَّةِ، والنَّاسُ يتكلَّمونَ فيها بالظَّاهرِ، وإنِّي لأعرفُ ظاهرها، وباطنها.

وقد نُسبَ إلى أئمتنا ـ عليهم السلام ـ في ذلك أشياءُ. واللهُ أعلمُ.

***

/ ٢٢/ قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ

---

(١) في (أ): أصحاب. من دون الضمير (الهاء).

(٢) في الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٣١٥ منسوب هذا القول للنقَّاش.

(٣) في (ش): خدعَها.

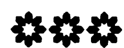
(٤) في الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٣١٥: إنَّ موسى علَّم أخته التي هي زوج قارون، فأخذه قارون منها.

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): اِمراةٌ.

بِالْعُصْبَةِ﴾[(١)]. يحتملُ[(٢)] أنَّ موسى ـ عليه السلام ـ كان أخبرَ قارونَ بهلاكِ قومِ فرعونَ، فاستسلفَ منهم، واستعارَ، فلمَّا هَلَكُوا خَلُصَ له جميعُ ذلكَ.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[(٣)].

لا يدلُّ إلَّا على غِنَاهُ.



(١) القصص: ٧٦.

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): تحتمل.

(٣) القصص: ٧٩.

فصل [-١٣-]

[في السِّحر والعين والحسد]

قوله - تعالى -: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ﴾[١].

ليسَ للسِّحرِ حقيقةٌ، لأنَّ هذهِ اللَّفظةَ، تدلُّ على بطلانِ معناها، وآياتُ القرآنِ، تدلُّ على كفرِ فاعلِهِ - إذا[٢] اِعتقدَ صحَّتَهُ - وفسْقِهِ، إن لم يَعْتَقِدْ. قوله: ﴿وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ﴾[٥]، وقوله: ﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتى﴾[٦].

---

(١) الفلق: ٤.

(٢) في (ش): فإذًا.

(٣) البقرة: ١٠٢.

(٤) البقرة: ١٠٢.

(٥) البقرة: ١٠٢.

(٦) طه: ٦٩.

فَمَنِ اعْتَقَدَ قَلْبَ الحيوانِ من صُورةٍ إلى صُورةٍ، وإنشاءَ[1] الأجْسَامِ عَلَى وجهِ الاختراعِ، وطاعةَ الجنِّ والشَّيطانِ، وَنَحْوَها من[2] زخارِفِهم[3]، فقد كفرَ. لأنَّه لا يمكنهُ ـ مع ذلكَ ـ العلمُ بصحَّةِ المعجزاتِ على النُّبوَّاتِ، لأنَّه أجازَ مثلَهُ من جهةِ السِّحرِ.

والَّذي يتحقَّقُ من ذلكَ وجوهٌ، منها: التَّخييلاتُ. كفعلِ المشعبِذِ، يُري الشَّيءَ بخلافِ ما هوَ بخفَّةِ يدهِ. ومنهُ: التَّوصُّلُ بالأدويةِ الَّتي جَرتِ العادةُ أنَّ عندَ شُربها يحدُثُ حوادِثُ. ومنها: أن يدخِّنَ بما يصلُ الدُّخانُ إلى دماغِها، فيُحدِثُ نَحْواً مِنْ ذَلِكَ. ومنها: أن يُوْلَدَ لِفِعْلِهِ في مَسْحُورٍ[4]، بِشَرْطِ، المُماسَّةِ. ومنها: أن يَفْعَلَ بالنَّمِيمَةِ مَا يُؤدِّي إلى الضَّررِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي...﴾ [5] السُّورَةُ[6].

أي: من شرِّ الوسوسةِ الَّتي تكونُ منَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ.

---

(١) في (ح): أنشأ. بصيغة الفعل الماضي.

(٢) (ش) و(هـ): وَمِنْ.

(٣) في (أ): جاز فهم.

(٤) في (ش): مسجور. بالجيم المعجمة من تحت.

(٥) الناس: ٤، ٥.

(٦) سورة الناس: برقم: ١١٤ في القرآن الكريم.

أو قلتَ: من شرِّ ذي الوسواسِ، وهوَ الشَّيطانُ، كما جاء في الأثرِ[١]: إنَّه يوسوسُ، فإذا ذكرَ العبدُ ربَّهُ، خَنَسَ. فأمَّا ﴿وَالنَّاسِ﴾[٢] عطفٌ عليهِ، كأنَّهُ قيلَ: من الشَّيطانِ الَّذي هذهِ صفتُهُ. أو قلتَ: من شرِّ ذي الوسواسِ الخنَّاسِ على العمومِ. ثمَّ فسَّرَ بقولهِ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[٣].

***

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ ـ حكايةً عن يعقوبَ ـ: ﴿وَقَالَ يا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾[٤].

قال ابن عبَّاسٍ[٥]، وقتادةُ[٦] والضَّحَّاكُ[٧]، والسُّدِّيُّ[٨]، والحسنُ[٩]،

---

(١) مجمع البيان: ٥: ٥٧١.

(٢) النّاس: ٦.

(٣) النّاس: ٦.

(٤) يوسف: ٦٧.

(٥) جامع البيان: ١٣: ١٣. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٢٤٩. الدر المنثور: ٤: ٥٥٧. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٢٢٦.

(٦) جامع البيان: ١٣: ١٣. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٢٤٩. الدر المنثور: ٤: ٥٥٧. التفسير الكبير: ١٨: ١٧٤. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٢٢٦.

(٧) جامع البيان: ١٣: ١٣. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٢٤٩. الدر المنثور: ٤: ٥٥٧. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٢٢٦.

(٨) جامع البيان: ١٣: ١٣. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٢٤٩.

(٩) مجمع البيان: ٣: ٢٤٩. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧. الدر المنثور: ٤: ٥٥٧. التفسير الكبير: ١٨: ١٧٣.

والبلخي[١]، والرُّمَّانيُّ[٢]، وأكثرُ المفسِّرينَ: إنَّهُ خافَ عليهمُ العينَ.

وَقَالَ ـ تعالى ـ في حقِّ نبيِّنا ـ عليه السلام ـ: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾[٣]، وقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[٤].

وقد فسَّرهُ الصَّادقُ[٥] ـ عليه السلام ـ فقال: هوَ العينُ، والعينُ[٦] حقٌّ.

وهوَ قولُ النَّبيِّ[٧] ـ عليه السلام ـ[٨] وقد عوَّذَ الحسنَ والحسينَ، وَقَالَ في عوذتهِ: وَأُعيذُكما مِنْ كُلِّ عَينٍ لامَّةٍ.

والمعوِّذتينِ[٩] لأجلهما سمِّيتا.

وقد اختَلَفَ المتكلِّمونَ في ذلِكَ: فأنكرَهُ أبو عَليٍّ[١٠]، وأبو القَاسِمِ[١١].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(٣) القلم: ٥١. والعبارة: «وَقَالَ تعالى في حقِّ نبيِّنا... بأبصارهم» سقطت من (ح).

(٤) الفلق: ٥.

(٥) مجمع البيان: ٣: ٢٤٩.

(٦) في (هـ): للعين.

(٧) مجمع البيان: ٣: ٢٤٩. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(٨) في (ح): صلّى الله عليه وآله.

(٩) المعوِّذتانِ هما: سورة الفلق، وسورة النَّاس. وكان النَّبيُّ ـ عليه السلام ـ يعوِّذُ الحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ بالمعوِّذتين. انظر: مجمع البيان: ٥: ٥٦٩.

(١٠) هو أبو علي الجبائي. مجمع البيان: ٣: ٢٤٩. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(١١) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

وَقَـالَ الجـاحظُ(١): لا يُنكَـرُ أن ينفـصلَ مـنَ العـينِ الـصَّائبةِ إلى الـشَّيءِ المستحسنِ أجزاءُ لطيفةٌ، ويؤثِّرَ فيهِ كالخاصِّيَّةِ.

ولو كانَ، كما قالَ، لما اِختصَّ ذلكَ ببعضِ الأشياءِ دونَ بعضٍ، ولأنَّ الأجزاءَ، جَواهرُ مُتماثلةٌ.

وَقَالَ الحسنُ(٢)، والرُّمّانيُّ(٣)، والقاضي(٤): إنَّ العينَ تحصُلُ بالعَادةِ مِن فِعْلِ اللهِ، كما يحصُلُ الشِّفاءُ عِندَ الأدويةِ. وهو اختيارُ المرتضى(٥).

وَقَالَ الطُّوسيُّ(٦): ليسَ يمتنعُ أن يكونَ اللهُ أجرَى العادةَ، بضربٍ من المصلحةِ أنَّه متى ما نظرَ إنسانٌ إلى غيرِهِ على وجهٍ مخصوصٍ، اِقتضتِ المصلحةُ إهلاكَهُ، أو إمراضَهُ، أو إتلافَ مَالِهِ.



(١) قول الجاحظ ـ هذا ـ بنصِّهِ في: مجمع البيان: ٣: ٢٤٩.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(٤) مجمع البيان: ٣: ٢٤٩، التفسير الكبير: ١٨: ١٧٣.

(٥) مجمع البيان: ٣: ٢٤٩.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

فصل [-١٤-]

[في معنى اللَّوح وفي معنى أم الكتاب]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[١].

قال أبو جعفرٍ[٢] بن بابويهِ: اللَّوحُ، والقلمُ، ملكانِ.

والملائكةُ لا تُسمَّى أقلاماً، ولا أَلْوَاحاً.

وَقَالَ الشَّيخُ المفيدُ[٣]: اللَّوحُ، كتابُ الله ـ تعالى ـ كتبَ فيهِ ما هوَ كـائنٌ إلى يومِ القيامةِ. يوضحُهُ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾[٤] والقلـمُ هـو مـا أحدَثَ اللهُ بهِ[٥] الكتابةَ فيهِ، وجعلَ اللَّوحَ، أصلاً، لتعرِفَ الملائكةُ منهُ من غيبٍ، أو وحيٍ. وإنَّما سمِّيَ اللَّوحُ الَّذي يُكتبُ فيهِ، لأَنَّهُ نُحِتَ على تلكَ الهيأةِ. وكذلكَ

---

(١) البروج: ٢٢.

(٢) شرح عقائد الصَّدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٢٠. معاني الأخبار: ٣٠ عن جعفر الصَّادق (ع).

(٣) شرح عقائد الصَّدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٢٠.

(٤) الأنبياء: ١٠٥.

(٥) (به) سقطت من (ح).

قوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[١]. ورجلٌ عظيمُ الألواحِ، أي: اليـدينِ، والرِّجلينِ. ولو عَنى بهِ ما ذكروهُ، لعرَّفهُ، لأنَّهُ مقـصودٌ، مخـصوصٌ. وإنَّـما ينكَّـرُ الشَّيءُ متى ما كانَ ذا جنسٍ، وأشباهٍ.

وأصلُ اللَّوحِ: التَّلألـؤُ. مـن: لاحَ الـشَّيءُ: يلـوحُ، ولاحَ الـبرقُ. فمعنـى ﴿لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾: إنَّهُ قُرآنٌ شريفٌ / ٢٣/ في نَظْمٍ عَجِيبٍ، يتلألأ حُسناً محفُوْظاً.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾[٢]. إنَّه لا تعلُّقَ فيهِ. وأمُّ كلِّ شيءٍ: أصلهُ. يقالُ: أمُّ القرى، أمُّ الولدِ، ﴿فَأُمُّهُ هاوِيَـةٌ﴾[٣]. وقـد فـسَّرهُ[٤] اللهُ ـ تعـالى ـ فقال: ﴿مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٥].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماءِ﴾[٦].

---

(١) القمر: ١٣.

(٢) الزّخرف: ٤.

(٣) القارعة: ٩.

(٤) في (هـ): فسَّر.

(٥) آل عمران: ٧.

(٦) النَّمل: ٧٥.

فاللَّوحُ لا يُسَمَّى كتاباً، وإذا فُسِّر بهِ، فالمتعلِّقُ بهِ عادلٌ عن الظَّاهرِ، ثمَّ: إنَّ اللهَ وصفهُ[1] بذلكَ في مواضعَ، فقال: ﴿كِتابٌ أَنزَلْناهُ إِلَيْكَ﴾[2] ﴿حم، وَالْكِتابِ الْـمُبِينِ﴾[3]. فكأنَّه قال: لا غائبةَ في السَّماءِ والأرضِ، إلَّا وذلكَ مُبيَّنٌ في القرآنِ، لِقَولِهِ: ﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[4]. وَيَدُلُّ عَلَيهِ عُقَيبَ الآيـة: ﴿إِنَّ هـذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ﴾[5].

***

قوله: سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ﴾[6].

واللَّوحُ لا يُسمَّى إماماً، ويُسمَّى القرآنُ إماماً. وقد تكلَّم النَّـاسُ في كيفيَّـةِ ذلكَ:

فقالَ البَلْخِيُّ[7]، والجبَّائيُّ، والرُّمَّانيُّ: إنَّه علامةٌ جعلهـا اللهُ للملائكـةِ، إذا

---

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): وضعه. بالضاد المعجمة بعدها عين مهملة.

(٢) إبراهيم: ١.

(٣) الزخرف: ١، ٢.

(٤) الأنعام: ٣٨.

(٥) النَّمل: ٧٦.

(٦) يس: ١٢.

(٧) أوائل المقالات: ١٥٨ ـ ١٥٩ وفيه: وهذا مذهب أبي القاسم البلخيّ وجماعة مـن أهـل العـدل. وفي البدء والتاريخ لأبي زيد البلخي: ١: ١٦١: «قال أكثر المفسرين».

سَمِعُوها، عَلِمُوا أَنَّهُ أحدثَ أمراً، كما قال: ﴿فَقالَ لَها وَلِلأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ﴾[١].

وَقَالَ بعضهم: إنَّ الأمرَ خاصٌّ في الموجودينَ الَّذينَ قيلَ لهم: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ﴾[٢]، ومن جرى مجراهم لأَنَّه لا يُؤمرُ المعدومُ.

وَقَالَ آخَرُون: إنَّهُ أمْرٌ للمَعْدُومِ مِنْ حَيثُ هو ـ لله ـ مَعْلُومٌ، فَصَحَّ أن يُؤْمَرَ، فَيَكُونُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: إنَّها خَاصَّةٌ في الموجُودَاتِ مِنْ إمَاتَةِ الأحيَاءِ، وإحْيَاءِ الموتى، وَمَا جَرَى مجْرَى ذلِكَ.

[و][٣] الجوابُ، الأوَّلُ، صحيحٌ، وما سواهُ مُعْتَرَضٌ عَلَيهِ.

وَقَالَ الطّوسيُّ[٤]: إنَّه بِمَنزِلَةِ المثلِ، ومعناهُ: إنَّ[٥] مَنْزِلَةَ الفعلِ في السُّهولةِ، وانتفاءِ التَّعَذُّرِ، كمنزلةِ ما يُقَالُ لهُ: كن، فيكونُ. كما يقالُ: قَالَ فلانٌ برأسهِ: كذا، وَقَالَ بيده: كذا. إذا حرَّكَ رأسَهُ، وَأَوْمَأ بِيَدِهِ. وَلَمْ يَقُل شَيْئاً في الحَقِيقَةِ[٦]، قَالَ

(١) فصّلت: ١١.

(٢) البقرة: ٦٥.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ٩: ١١٠ ـ ١١١.

(٥) في (ك): إنَّه.

(٦) في (أ): في الحقيقة قدر.

الشَّاعرُ(١):

إِمتلأ الحوضُ وَقَالَ قَطْني مهلاً رُويداً قد مَلأتَ بَطْنِي

وهذا وجهٌ صحيحٌ.



(١) الكامل: ٢: ٩١ وفيه: «قد حنَّق الحوض... سلَّاً رويداً» ولم ينسبهُ. مجالس ثعلب: ١: ١٥٨ وفيه: «سلاً رويداً» الزاهر: ٢: ٣٣٥ منسوباً إلى أبي النجم وفيه: «سلَّا رويداً...» الخصائص: ١: ٢٣ ولم ينسبه: متشابه القرآن: ١: ١٠٨ بلا عزو. التِّبيان في تفسير القرآن: ١: ٤٣١، ٨: ٨٥ بلا عزو.

فصل [-١٥-]

[في معنى الكرسيّ وفي الروح]

قوله - تعالى[١] - ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[٢].

إن كان أرادَ كُرسيّاً بعينهِ، فهوَ كما قَالَ - تعالى -. ويجوز أن يكونَ مقدرتَهُ[٣]، وسلطانَهُ. يُقالُ: فلانٌ كريمُ الكرسِ. أي: الأصلِ. قَالَ الشَّاعرُ[٤]:

تحفُّ بهِ بيضُ الوجوهِ وعصبةٌ كراسيُّ بالأحداثِ حينَ تنوبُ

ويقال: وَسِعَ عِلْمُهُ السَّمواتِ، والأرضَ. والكراسيُّ[٥]: العلماءُ.

---

(١) في (ح): سبحانه.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) في (هـ): بقدرته.

(٤) جامع البيان: ٣: ١١. نكت الانتصار لنقل القرآن: ١٥٣ التِّبيان في تفسير القرآن: ٢: ٣٠٩. أساس البلاغة (كرَس). مجمع البيان: ١: ٣٦١ وفيه: «تحفّ بهم... تنوب» وكلُّها بلا عزو، وكذا: في البدء والتاريخ: ١: ١٦٧. الجامع لأحكام القرآن: ٣: ٢٧٧. الأساس لعقائد الأكياس: ٧٧ معزو إلى أبي ذؤيب الهذليّ وليس في ديوانه.

(٥) أساس البلاغة (كرس). لسان العرب (كرس).

وَالكُرَّاسةُ: جُزءٌ من العِلْمِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[1].

اختلفَ النَّاسُ في الرُّوحِ: أنَّه جِسمٌ، أو عَرَضٌ؟

ولغةُ العربِ، تدلُّ عليهما. قولهم: كلُّ ذي روحٍ، فحكمها كذا. وقولهم ـ فيمن ماتَ ـ: خرجَتْ مِنْهُ الرُّوحُ. وهذهِ صُورةٌ لم تَلِجْهَا[2] الروُّحُ.

وَقَالَ البَلْخِيُّ[3]: هوَ الحياةُ الَّتي يَتهيّأُ[4] بها المحَلُّ، لِوجُودِ القُدْرَةِ، والعِلْمِ، والاختيارِ. واخْتَارَهُ الشَّيخُ المفيدُ[5].

وَقَالَ أكثرُ المتكلِّمينَ: إنَّه جسمٌ، رقيقٌ. هوَائيٌّ[6] متردِّدٌ في مخارِقِ الحيوانِ، بها يتمُّ كونُ الحيِّ حيّاً[7]. واختارَهُ المرتضى[8]، والطُّوسيُّ[9]. يوضحُ ذلكَ قولـه:

---

(١) الإسراء: ٨٥.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): تلجه.

(٣) مجمع البيان: ٣: ٤٣٧. البدء والتاريخ: ٢: ١٢٦، ١٢٩.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): تتهيّأ. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٥) شرح عقائد الصَّدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٢٥.

(٦) في (هـ): هواء. من دون ياء النَّسب.

(٧) (حيَّاً) ساقطة من (أ).

(٨) امالي المرتضى: ١: ١٢.

(٩) التّبيان في تفسير القرآن: ٦: ٥١٥.

﴿فَلَوْ لا إِذا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ﴾[١]. والبلوغُ، فعلٌ، والفعلُ لا يَتأتّى من العَرَضِ.

وَقَالَ يونانيٌّ[٢] لِجَهْمٍ: أخبرني عن مَعْبودِكَ هذا، أرأيتَهُ قطُّ؟

قَالَ: لا. قَالَ: فلمستَهُ؟ قَالَ: لا. قال: فشَمَمْتَهُ؟

قَالَ: لا. قَالَ: فذُقتهُ؟ قَالَ: لا. قال: فسمعتَهُ؟

قَالَ: لا. قَالَ: فمن أينَ عرفتَهُ؟

قَالَ: جهمٌ: فهل رأيتَ روحَكَ، أو شَمَمتَهُ، أو ذقْتَهُ، أو سمعتَهُ، أو لمستَهُ؟

قَالَ: لا. قَالَ: فكيفَ عرفتَ أنَّ لك روحاً؟



---

(١) الواقعة: ٨٣.

(٢) الاحتجاج: ١: ٨٤. الردّ على الزنادقة والجهميّة لأحمد بن حنبل (ضمن كتاب عقائد السلف): ٦٥، ٦٦. العقد الفريد: ٢: ٢٢٥.

فصل [-١٦-]

[المعارف ليست ضرورية إلا معرفة الله]

قوله - تعالى -: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[1].

يدلُّ على بطلانِ قولِ من يقول: إنَّ المعارفَ، ضروريَّةٌ، لأنَّهُ - تعالى - أخبرَ أنَّهم في شكِّهم يتردَّدونَ. وهذهِ صفةُ الشَّاكِّ، المتحيِّرِ في دينهِ، الَّذي ليسَ على بصيرةٍ من أمرهِ.

***

قولُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[2].

يَدُلُّ على بطلانِ قولِ من قال: إنَّ المعارفَ، ضروريَّةٌ، لأنَّ الله - تعالى - أخبرَ عنهم أنَّهم لم يَكُونُوا مُشْركينَ عندَ أنفسِهِم في دَارِ الدُّنيا، وأنَّ اللهَ كَذَّبَهُم،

---

(١) التوبة: ٤٥.

(٢) الأنعام: ٢٣.

وأنّهم كَانُوا كَاذِبِينَ على الحَقِيقةِ، وإنْ اعْتَقَدُوا خِلافَهُ في الدُّنيا.

فأمَّا مَعارِفُهم في الآخرةِ [فهي][1] ضروريَّةٌ، حاصِلةٌ على وجهٍ هم ملجأونَ إليها. فعلى الوجهينِ جميعاً، لا يجوزُ أن يقعَ منهمُ القبيحُ لا محالةَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ﴾[2]. فيها دلالةٌ على قولِ من قال: إنَّ معرفةَ الله، ضروريَّةٌ، وإنَّ من لا يعرفُ [الله، ولا يَعرفُ][3] نبيَّهُ، لَا[4] حجَّةَ عليهِ، لأنَّهُ تعالى / ٢٤/ بيّن أنَّ هؤلاءِ الكفَّارَ، قد أهلكوا أنفسهُم، بِنَهيهِمْ عن قبولِ القرآنِ، وتباعُدِهم عنهُ، وأنَّهم لا يعلمُونَ بإهلاكِ أنفسِهم بذلكَ. فلو كانَ من لا يعرِفُ اللهَ. ولا نبيَّهُ، ولا دينهُ، لا[5] حجَّةَ عليهِ، لكانَ هؤلاءِ معذورينَ، ولم يكونوا هالكينَ. وذلك خلافُ ما[6] نطقَ بهِ[7] القرآنُ.

***

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الأنعام: ٢٦.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٤) في (ش): ولَا، مع الواو.

(٥) في (ش): ولا: معَ الواو.

(٦) في (هـ): مَنْ

(٧) (به): ساقطة من (أ).

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[1].

في الآيةِ دلالةٌ على أنَّ المعارفَ، لَيْسَتْ ضَرُوريَّةً، لَمَّا حَسِبُوا غَيرَ ذلَـكَ، لأنَّ الضَّروريَّاتِ، لا شَكَّ فِيهَا.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾[2].

دالٌّ على أنَّ معرفةَ اللهِ، باكتسابٍ، لأنَّها لو كانت ضروريَّةً لَـمَا أَمَرَ بِهَا.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها﴾[3].

فيها دلالةٌ على فسادِ قولِ من يقولُ: إنَّ المعارفَ، ضرورةٌ، لأنَّها لو كانت ضرورةً، لما حاجَّ إبراهيمُ للكافِرِ، ولا ذكرَ لهُ الدَّلالاتِ على إثباتِ الصَّانعِ، وفيها دلالةٌ على فسادِ التَّقليدِ، وحسنِ المحاجَّةِ، والجدالِ.

❁❁❁

---

(١) الكهف: ١٠٤.

(٢) محمَّد: ١٩.

(٣) البقرة: ٢٥٩.

فصل [-١٧-]

[في الحثّ على النَّظر والتدبُّر]

اِعلم أنَّ اللهَ - تعالى - قد حثَّ على النَّظرِ في طريـقِ معرفتـهِ، فقـال: ﴿أَفَـلا يَنْظُرُونَ﴾(١)، ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾(٢)، ﴿أَفَـلا يَـسْمَعُونَ﴾(٣)، ﴿أَفَـلا تَـذَكَّرُونَ﴾(٤)، ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾(٥)، ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٦)، ﴿إِنَّ فِي ذلِـكَ لآيـاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٧)، ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَـسْمَعُونَ﴾(٨)، ﴿إِنَّ فِي ذلِـكَ لآيَـةً لِقَـوْمٍ يَعْلَمُـونَ﴾(٩)، ﴿إِنَّ فِي ذلِـكَ لآيَـةً لِلْمُـؤْمِنِينَ﴾(١٠)، ﴿إِنَّ فِي ذلِـكَ لآيـاتٍ

(١) الغاشية: ١٧.

(٢) القصص: ٧٢، الزخرف: ٥١، الذّاريات: ٢١.

(٣) السجدة: ٢٦.

(٤) يونس: ٣، هود: ٢٤، ٣٠، النحل: ١٧، المؤمنون: ٨٥، الصافّات: ١٥٥.

(٥) البقرة: ٧٦. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٦) الرَّعد: ٤.

(٧) الرَّعد: ٣، الروم: ٢١، الزمر: ٤٢، الجاثية: ١٣.

(٨) يونس: ٦٧.

(٩) النَّمل: ٥٢.

(١٠) الحجر: ٧٧، العنكبوت: ٤٤.

لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[١]، ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[٢]، ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَرَحْمَةً﴾[٣]، ﴿إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾[٤]، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾[٥]، ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ﴾[٦]، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ﴾[٧]، ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾[٨]، ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ﴾[٩]، ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ﴾[١٠]، ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ﴾[١١]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ﴾[١٢].

وَقَالَ النَّبيُّ[١٣] ـ عليه السلام ـ: من عَرَفَ نَفْسَهُ، فقد عَرَفَ ربَّهُ. وقال[١٤] ـ عليه السلام ـ: أعرَفُكُم بنَفْسِهِ، أعرفُكُم بِرَبِّهِ.

---

(١) الحجر: ٧٥.

(٢) ق: ٣٧.

(٣) العنكبوت: ٥١.

(٤) طه: ٣.

(٥) الروم: ٨.

(٦) ق: ٦.

(٧) الأعراف: ١٨٥.

(٨) يونس: ١٠١.

(٩) عبس: ٢٤.

(١٠) الطارق: ٥.

(١١) الغاشية: ١٧.

(١٢) الفرقان: ٤٥.

(١٣) الاحتجاج: ١: ٨٧. غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي: ٢٣.

(١٤) الاحتجاج: ١: ٨٧. أمالي المرتضى: ٢: ٣٢٩. غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٣.

وَقُرِّبَ[1] إلى زينِ العابدينَ ـ عليه السلام ـ طُهُورُهُ في وقتِ وِرْدِهِ، فوضعَ يَدَهُ في الإناءِ، لِيَتَوضَّأَ، فنَظَرَ إلى السَّماءِ، فَجَعَلَ يُفكِّرُ في خِلْقَتِهَا، حَتَّى أصْبَحَ.

وتربَّى[2] إبراهيمُ ـ عليه السلام ـ في غارٍ، فلمَّا خرجَ منهُ، رأى الكواكبَ، ثمَّ القمرَ، ثمَّ الشَّمسَ، فقالَ ـ على سبيلِ الفكرِ، أو قبلَ البلوغِ، أو على سبيلِ الإنكارِ، أو على سبيلِ الاستفهامِ ـ: ﴿هذا رَبِّي﴾[3].

قولُ[4] الشَّاعرِ[5]:

مـا راحَ يـومٌ عـلى حـيٍّ ولا اِبتكـرَا ... إلَّا رأى عِـبْرةً فيـهِ إن اِعتـبرَا[6]

وجاءَ سوفسطائيٌّ[7] إلى متكلِّمٍ مُنَاظِرَاً ـ وهو راكبٌ ـ فأمرَ المتكلِّم أن تُغيَّبَ[8] دابَّتُهُ، فلمَّا أرادَ الانصرافَ، لم يجدها، فقال للمتكلِّمِ: فقدتُ دابَّتي! فقال: أَوَرَاكِباً جِئتَ؟ فَلَعَلَّكَ جِئتَ رَاجِلاً، وتخيَّلَ إلَيْكَ الرُّكوبُ، أو[9] تكونُ

---

(١) الاحتجاج: ١: ٨٧.

(٢) في (ك): ترَى.

(٣) الأنعام: ٧٦، ٧٧، ٧٨.

(٤) (قول) سقطت من (هـ) و(أ) و(ح). وفي (ح): شاعر. من دون (أل).

(٥) الكامل: ٢: ١٤ معزواً في جملة أبيات إلى ابن عيينةَ.

(٦) في (هـ): ما راحَ يوماً.

(٧) فرق وطبقات المعتزلة: ٩٤ منسوباً إلى أبي القاسم البلخي.

(٨) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يغيب. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٩) في (ش) و(ك) و(أ): وتكون. معَ الواو.

ظانّاً، أو ناسياً؟

قال: لستُ بِنَائِمٍ، وَلا مَغْلوبٍ!

فقال المتكلِّمُ: كيفَ تَدَّعي أنّه لا حقيقةَ لشيءٍ، وأنَّ الأشياءَ بظنٍّ، وبحسبٍ، وأنَّ حالَ اليقظانِ[1] كحالِ النَّائمِ!

قال: فوجمَ السُّوفسطائي[2]، ورَجَعَ عن مَقَالِهِ[3].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾[4].

قال ذلكَ لقومٍ، كانوا غيرَ مقرِّينَ، بما أُخبِرُوا بهِ من شأنِ الأممِ، قبلهم، لأنَّ الكثيرَ منهم، كانَ مقرّاً بذلكَ. ومن كانَ مُنكِراً منهم، فإنَّه دُعِيَ ـ بهذِهِ الآيةِ ـ إلى النَّظرِ، والتَّدَبُّرِ، ليعرفَ، بذلكَ ما عرفهُ غيرهُ.

وسأل ابنُ أبي العوجاءِ[5]، الصَّادقَ ـ عليه السلام ـ دليلاً على حدوثِ[6] العالمِ.

---

(١) في (هـ): اليقضان. بالضاد المعجمة.

(٢) في (هـ): السوفطائي.

(٣) فرق وطبقات المعتزلة: ٩٤. منسوباً إلى أبي القاسم البلخي.

(٤) الأنعام: ٦.

(٥) التوحيد: ٢٩٧. الكافي: ٧٧. الاحتجاج: ٢: ٧٦.

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): حدث.

فقال ـ عليه السلام ـ ما وجدتُ شيئاً صغيراً، ولا كبيراً، إلّا وضُمَّ إليهِ مثلُهُ، صَارَ أكبر، وفي ذلكَ زَوالٌ، وانتِقَالٌ عَن الحَالَةِ الأُولى، وَلَو كَانَ قَدِيماً لما زَالَ، ولا حَالَ، لأنَّ الَّذي يزولُ، ويحولُ، يجوزُ أن يوجدَ، ويبطلَ، فيكونُ وجودهُ بعدَ عدمهِ [دخولاً][1] في الحدثِ، وفي كونهِ في الأزَلِ دخولهُ في القِدَمِ، ولن يجتمع صفةُ الأزلِ، والحدثِ، في شيءٍ واحدٍ.

وَقَالَ [الصَّادق][2] ـ عليه السلام ـ لابنِ أبي العوجاءِ ـ وقد سمعَ منهُ: لستُ بمصنوعٍ ـ: فلو لم تكن مصنوعاً، كيفَ كنتَ تكونُ؟

وقيلَ[3] للرِّضَا[4] ـ عليه السلام ـ: ما الَّدليلُ على حدُوثِ[5] العالمِ؟

قال: أنتَ لم تكُن ثمَّ كنتَ، وقد علمتَ أنَّكَ [لا][6] تكوِّن[7] نفسَكَ، ولا كوَّنكَ من هو مثلُكَ.

وأصغى الباقرُ[8] ـ عليه السلام ـ إلى اِنتحالِ بعضِ المعَطِّلَةِ، ثمَّ قالَ:

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ). والخبر في التوحيد: ٢٩٣. الكافي ١: ٧٦، الاحتجاج: ٢: ٧٢.

(٣) التّوحيد: ٢٩٣. أمالي الصدوق: ٣١٤. الاحتجاج: ٢: ١٧١. الأرشاد: ٣١٦.

(٤) في (ك) و(أ): الرضا. من دون حرف الجر (اللام).

(٥) في (ش) و(ك) و(أ): حدث.

(٦) مابين المعقوفتين زيادة يقتضيها المقام.

(٧) في (ك): تكن.

(٨) التّوحيد: ٢٥ ـ ٢٥١ بلفظ مختلف. الاحتجاج: ١: ٨٩.

أرأيتَ إن كانَ ما تقولُهُ، وتُثبِتُهُ مِنْ هذِهِ، حقّاً يضرُّنا ما نَحْنُ عَلَيهِ؟ قَالَ: لا. قَالَ: فإنْ كَانَ مَا نَقُولهُ[١] حَقّاً، وما تَقُولُهُ أنتَ باطِلاً، يُمكِنُكَ أن تَسْتَقْبِلَ العَمَلَ بَعدَ الموتِ؟ قَالَ: لا.

قال: فأيُّ الحالينِ أفضلُ عِندَكَ؟ [حالٌ تُوجدُ عندكَ][٢] للحَاجَةِ إليها، أو حالٌ تُخزِي، وَتُورثُ النَّدمَ.

وحسبُ العاقلِ، هذا، من عزِّ أولياءِ الله، وَخِزيِ أعدائِهِ.

شعرٌ[٣]:

جميعُ ما تشهَدهُ مؤلَّفُ   مُركَّبٌ، منوَّعٌ، مصنَّفُ[٤]

❁❁❁

(١) في (ك): تقوله. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٢) مابين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٣) (شعر) ساقطة من (أ). وهي في (هـ): شاعر.

(٤) لم نقف على قائله ولا مورد أخذه.

فصل [ـ ١٨ ـ]
[في كون العاقل مطالباً بالحجة وفي ذمِّ التقليد]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[١].

فيها دلالةٌ على أنَّ العاقلَ، لا يعذرُ في الإقامةِ على الدَّعوى[٢] بغيرِ حجَّةٍ، لما[٣] فيهِ من البيانِ[٤] على الفسادِ، والانتقاضِ، ولأنَّ العقلَ طريقٌ إلى العلمِ، فكيفَ يَضلُّ عنِ الرُّشدِ مَنْ قد جُعَلَ إليهِ السَّبيلَ؟

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآيةُ[٥].

---

(١) آل عمران: ٦٥.

(٢) في (أ): الدُّنى.

(٣) في (ش) و(ك) و(أ): لها.

(٤) في (ح): البينان. بنون موحدة من فوق قبل الألف. وهو تحريف.

(٥) آل عمران: ٦٤، وتمامُها: ﴿أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

لَـمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ، قَالَ عديٌّ[١] بن حاتمٍ: ما كنَّا[٢] نعبـدهم يـا رسـولَ الله.

فقَالَ ـ عليه السـلام ـ: أمـا[٣] كـانوا يُحِلُّـونَ لكـم، وَيُحرِّمـونَ، فتَأخُـذُونَ بقولهم؟ قال: نعم.

فقال ـ عليه السلام ـ: هو ذاكَ.

الصَّادقُ[٤] ـ عليه السلام ـ في هذهِ الآيةِ: والله مـا صـلُّوا[٥]، ولا صـامُوا، ولكن أَحَلُّوا لَـهُمْ حَرَاماً، وَحَرَّمُوا عليهم حَلالاً، فَعَبَدُوهُم، وَهُم لا يَشْعُرُونَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللهُ﴾ الآيتانِ[٦].

---

(١) المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ: ١٣٩. مجمع البيان: ١: ٤٥٥.

(٢) في (أ): أكنَّا. مع همزة الاستفهام

(٣) (أَمَا) ساقطة من (أ).

(٤) الكافي: ١: ٥٣، ٢: ٣٩٨. شرح عقائد الصَّدوق أو تصحيح الاعتقـاد: ٢١٩ مجمـع البيـان: ١: ٤٥٥.

(٥) في (أ): أصلُّوا

(٦) الآيتان: ١٧٠، ١٧١ من سورة البقرة: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِـعُ مـا أَلْفَيْنـا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ. وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّـذِي يَنْعِـقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعاءً وَنِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾

قال ابن عبَّاسٍ[١] ـ في هذهِ[٢] الآية ـ: دعا النَّبيُّ ـ عليه السلام ـ الكفَّارَ، واليهود، إلى الإسلامِ، فقالوا[٣]: بل نتَّبعُ ما ألفينا عليهِ آباءنا.

الصَّادق[٤] ـ عليه السلام ـ من أخذَ دينهُ من أفواهِ الرِّجالِ، أزالتهُ الرِّجالُ، ومن أخذَ دينَهُ من الكتابِ، والسُّنَّةِ، زالتِ الجبالُ، ولم يَزُلْ.

إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ ذمَّهم على تقليدِ آبائهم، ووَبَّخهم على ذلكَ، ولو جازَ التَّقليدُ، لم يتوجَّه[٥] إليهم توبيخٌ، ولا لومٌ. وقد ذمَّ اللهُ التَّقليدَ في آياتٍ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٦]، ﴿وَما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً﴾[٧]، ﴿فَلِمَ تُحاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾[٨]، ﴿قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٩]، ﴿وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[١٠]، ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي﴾[١١]. وحكى

---

(١) مجمع البيان: ١: ٢٥٤. الدر المنثور: ١: ٤٠٥ الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢١٠.

(٢) (هذه) ساقطة من (أ).

(٣) في (ك): فقالَ.

(٤) شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢١٩.

(٥) في (أ): نتوجَّه. بنون المضارعة الموحَّدة.

(٦) الحج: ٣.

(٧) يونس: ٣٦.

(٨) آل عمران: ٦٦.

(٩) الأنعام: ١٠٤.

(١٠) الإسراء: ٣٦.

(١١) البقرة: ١٢٠.

عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿ما هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَها عاكِفُونَ؟ قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ قالَ: لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1].



(١) الأنبياء: ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٤.

فصل [ـ ١٩ ـ]

[في معرفة الله]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ﴾[(١)].

وقيلَ للنَّبيِّ[(٢)] ـ عليه السلام ـ: بمَ[(٣)] عرفتَ ربَّكَ؟ قالَ[(٤)]: بما عرَّفني ربِّي.

قِيلَ: وكيفَ عرَّفكَ؟.

قال: لا تُشبههُ صورةٌ، ولا يُحسُّ[(٥)] بالحواسِّ، ولا يُقاسُ بقياسِ[(٦)] النَّاسِ[(٧)].

وَقَالَ ـ عليه السلام ـ لآخرَ ـ: بالنَّومِ مرَّةً، وباليقظةِ أخرى، فلولا مدبِّرٌ، وصانعٌ، يأتي بأحدِهما مرَّةً، وبالآخرِ، أخرى، لبقيتُ على صفةٍ واحدةٍ، فلمَّا

---

(١) الذَّاريات: ٢١.

(٢) الكافي: ١: ٨٦. التَّوحيد: ٢٨٥. الهداية: ٤. أمالي المرتضى: ١: ١٤٩.

(٣) في (هـ): بمَا.

(٤) (قال): ساقطة من (أ).

(٥) في (هـ): يُحاسّ.

(٦) (بقياس النَّاس): ساقطة من (أ).

(٧) في (هـ): بالناس.

رأيتُ زوالَ الصِّفةِ الأولى، وحدوثَ الصِّفةِ الأخرى، عرفتُ أنَّه لأجلِ مدبِّرٍ صانعٍ فَعَلَهُ.

وقال[١] ـ عليه السلام ـ لآخرَ ـ: بفسخِ العزائمِ، وحلِّ العقودِ.

وقال[٢] ـ عليه السلام ـ: اِعرفوا اللهَ باللهِ. أي: بنصبِ أدلَّتِهِ على نفسِهِ.

وقيلَ للصَّادق[٣] ـ عليه السلام ـ: ما الدَّليلُ على أنَّ للعالم صانعاً؟ قال: أكبرُ الأدلَّةِ، في نفسي، لأنِّي وجدتها لا[٤] تعدو أحدَ أمرينِ: أمَّا أن أكونَ خلقتها، وأنا موجودٌ، وإيجادُ الموجودِ، محالٌ. وإمَّا أن أكونَ خلقتها، وأنا معدومٌ، فكيفَ يخلقُ لا شيءُ؟ فلمَّا رأيتهما فاسدينِ منَ الجهتينِ جميعاً، علمتُ أنَّ ليَ صانعاً، ومدبِّراً.

محمَّدُ بنُ عليٍّ الخراساني: قَالَ الرِّضا[٥] ـ عليه السلام ـ للزِّنديقِ الَّذي سألهُ عنِ الدَّليلِ[٦] على اللهِ ـ تعالى ـ: إنِّي لَمَّا نظرتُ إلى جسدي، ولم يكن فيهِ[٧] زيادةٌ،

---

(١) الخصال: ١: ٣٣ باختلاف يسير في اللفظ. وفي التَّوحيد: ٢٨٨، ٢٨٩ عن أمير المؤمنين عليه السلام في جملة حديث. البدء والتاريخ: ١: ٧٢ منسوباً إلى عالم من بني اسرائيل.

(٢) الكافي: ١: ٨٥. التَّوحيد: ٢٨٢ عن أمير المؤمنين (ع) في جملة حديث.

(٣) التوحيد: ٢٩٠.

(٤) العبارة: «لا تعدو... خلقتها» ساقطة من (أ).

(٥) الكافي: ١: ٧٨. التَّوحيد: ٢٥١، عيون أخبار الرِّضا: ١: ١٣٢. الاحتجاج: ٢: ١٧١ ـ ١٧٢.

(٦) في (أ): الذي ليل.

(٧) في (ش) و(هـ): فيها.

ولا نقصانٌ في العرضِ والطُّولِ، ودفعِ المكارهِ عنهُ، وجرِّ المنافعِ إليهِ، علمتُ أنَّ لهذا البُنيانِ بانياً، فأقررتُ ـ مع ما أرى من دَوَرَانِ الفلكِ ـ بقدرتهِ، وإنشاءِ السَّحابِ، وتصريفِ الرِّيحِ[1]، ومجرى الشَّمسِ، والقمرِ، والنُّجومِ، وغيرِ ذلكَ من الآياتِ البيِّناتِ، علمتُ أنَّ لها مقدِّراً، ومُنْشِئاً.

هشام بن الحكم: قَالَ الصَّادق[2] ـ عليه السلام ـ لرجلٍ من الزَّنادقةِ ـ: الدَّليلُ[3] على الله، وجودُ الأفاعيلِ، الَّتي دلَّت على أنَّ صانعاً صنعَها.

وقالَ[4] لآخرَ: إنِّي لمَّا رأيتُ حُصناً مُلْزَقاً، أملسَ، لا فُرَجَ فيهِ، ولا خَلَلَ، ظاهِرُهُ من فضَّةٍ سائلةٍ، وباطِنُهُ من ذَهْبَةٍ[5] مَائِعةٍ: يَنفلِقُ منه طاووسٌ، وغرابٌ، ونَسْرٌ، وعصفورٌ، فعَلِمتُ أنَّ للخلقِ صانعاً.

ابن جبيرٍ: عرفتُ ربِّي بالظَّاهر، بإتقانِ التَّصويرِ، والباطنِ بنقضِ التَّدبيرِ.

أعرابيٌّ: ويحَكَ! إنَّ البَعرةَ تدلُّ على البعيرِ، والرَّوثةَ[6] تدلُّ على الحَميرِ، وآثارَ القَدَمِ تَدُلُّ على المسيرِ، فَهيكَلٌ عُلْوِيٌّ، بهذهِ اللَّطافةِ، ومركزٌ سفليٌّ بهذهِ

---

(١) في (هـ) و(أ): الرِّياح.

(٢) الكافي: ١: ٨١، التوحيد: ٢٤٤. الاحتجاج: ٢: ٦٩.

(٣) في (هـ) العبارة هكذا: «ما الدليل على الله؟ قال: وجود الأفاعيل...

(٤) الاحتجاج: ٢: ٧٢ بزيادة في اللفظ فيه. وكذا في الإرشاد: ٣١٦.

(٥) الذَّهبة: القطعة من الذَّهبِ. [المعجم الوسيط: (ذهب)].

(٦) العبارة: «الرَّوثة تدلُّ... على المسير» ساقطة من (أ).

الكثافةِ، أما يدلّانِ على الصّانعِ الخبيرِ؟

آخرُ: وجدتُ أضداداً مجموعةً / ٢٦/ فقلتُ: أجُمِعتْ بالطَّبعِ أم بالصُّنعِ؟ فنظرتُ فلم يكن في الطَّبعِ قبولُ الأفرادِ، فَعَلِمْتُ أنَّها من صُنْعِ صَانِعٍ، رأيتُ الورقةَ، والنَّورةَ[١]، أكلتهُ النَّحلةُ، والسُّرفةُ[٢]، فتولَّدَ من أَحَدِهما، خلافُ ما تَوَلَّدَ مِنَ الآخرِ، فَدَلَّني ذلِكَ على أنَّها من صُنعِ حَكِيمٍ لَطِيفٍ.

الأصبغُ: قَالَ رجلٌ لأميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ[٣]: لقد قَدِمَ إلى حيِّنا رجلٌ زندِيقٌ، يَتكَلَّم بكلامٍ لا نعرفهُ، وإنَّا نخافُ[٤] أن يُبْطِلَ[٥] علينا دينَنَا، فإن رأيتَ أن تعلِّمنا كلاماً، تُبطِلُ[٦] بِهِ حجَّتهُ، وتدحضُ[٧] بِهِ مقالتهُ، فافعل.

قال: فدعا ـ عليه السلام ـ بدواةٍ، وبياضٍ، وكتبَ:

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ. من عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وصيِّ محمَّدٍ النَّبيِّ إلى عدوِّ اللهِ، ومضلِّ عبادهِ. أمَّا بعدُ:

---

(١) النَّورة: الزَّهرة البيضاء. جمعُها: نورٌ. [المعجم الوسيط: (نور)].

(٢) السُّرفة: دودة القزِّ. جمعها: سَرَف. [المعجم الوسيط (سَرَف)]. وفي (هـ): الشُّرفة.

(٣) (عليه السلام) ساقطة من (أ).

(٤) في (هـ): تخاف. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٥) في (هـ): تبطل. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٦) في (هـ): نبطل. بنون المضارعة الموحّدة من فوق.

(٧) في (ش) و(ك): ندحض. بنون المضارعة الموحَّدة من فوق.

فـوقَ ذا العـالمِ الَّـذي نحـنُ فيـهِ عـالمٌ آخـرٌ وملـكٌ يليـهِ
عـالمٌ واسـعٌ كبـيرٌ عظـيمٌ لـيسَ نفـسٌ تطيـقُ أن تبتليـهِ
أيـنَ مـاءُ الغيـومِ والرَّعـدُ والـبرقُ إذِ[٢] الجـوُّ لا يُـرى الغـيمُ فيـهِ
أينَ مـأوى الظَّـلامِ في مطلـعِ الـشمسِ إذِ[٣] الـصُّبحُ دائـماً يقتـضيهِ
أيـن مـأوى الحـرورِ أيَّـامَ قِـرٍّ حـينَ يـأتي الـشِّتا بـبردٍ كريـهِ
أيـن فـيضُ المـرورِ إن نقـصَ المـاءُ فيعيـا اِصـطبارُ مـن يـستقيهِ
أيـن مـأوى النَّهـارِ في حِنـدِس الليـلِ إذا اللَّيـلُ دائبـاً يحتويـهِ
أيـن مـأوى الثُّلـوجِ أيَّـامَ حَـرٍّ مهـجُ الـوهجِ كربـةٌ يعتريـه
أيـن ذا كلُّـهُ يكـونُ إذا مـا عـزَّ يومـاً أو اِشـتكى طالبيـهِ
كلُّ هذا الذي[١] يدلُّ[أَنَّ] لـذا الخـلقِ حكـيماً مـدبِّراً يبتدِيـهِ

فلمّا قرأ الزِّنديقُ الكِتَابَ، هَرَبَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَهُـوَ الَّـذِي يَبْـدَؤُا الْخَلْـقَ ثُـمَّ يُعِيـدُهُ وَهُـوَ أَهْـوَنُ عَلَيْهِ﴾[٤]

---

(١) (أنَّ) سقطت من ش.

(٢) في (هـ) و(أ): إذا.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): إذا.

(٤) الرُّوم: ٢٧.

الأشياءُ كلُّها سواءٌ، عندهُ، والوجهُ فيهِ ما قَالَ ابنُ عبَّاس[١]: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ . أي: هيِّنٌ عليهُ أوَّلُ خلقهِ. قَالَ ذو الرُّمَّةِ[٢]:

أخـــي قفـــراتٍ دببَّـــت في عظامـــهِ   شُفَافَاتُ أعجازِ الكرى وهـوَ أخـضعُ

يريدُ: خاضعُ[٣]. وَقَالَ معنُ بن أوسٍ[٤]:

لعمـــرُكَ مـــا أدري وإنِّي لأوْجَـــلُ   عـــلى أيِّنـــا تعـــدو المنيَّـــةُ أوَّلُ

أي: وَجِلٌ[٥].

ويحتملُ أنَّه جوابُ قوله: ﴿قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٦]، لأنَّ الإنشاءَ أصعبُ من الإعادةِ[٧].



---

(١) نسب في مجمع البيان: ٤: ٣٠٢ إلى ابن عباس غير هـذا الـرأي. وهـو في الـدر المنثـور: ٦: ٤٩١ منسوب إلى ابن عباس. وهو في الجامع لأحكام القرآن: ١٤: ٢١ منسوب إلى الرَّبيع والحسن ونسب إلى ابن عباس غيره.

(٢) ديوان شعر ذي الرُّمَّةِ: ٣٤٨. شفافات: بقايا. أعجاز الكرى: أواخر النَّوم.

(٣) العبارة: (يريد: خاضع) سقطت من (ح).

(٤) ديوان معن بن أوس المزني: ٩٣. وفيه: تغدو... بالغين المعجمة.

(٥) في (أ): أجل. وفي (ح): يريد في الأول: خاضع. وفي الثاني: وجل.

(٦) يس: ٧٨، ٧٩.

(٧) في (هـ): العادة.

فصل [ـ٢٠ـ]

[في قدرة الله]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿ياأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ...﴾[1] إلى قولِهِ: ﴿...عَزِيزٌ﴾[2]، وقولُهُ: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ...﴾[3] إلى قولِهِ: ﴿... قَدِيرٌ﴾[4]. وقوله: ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾[5]، ﴿أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[6].

عامٌّ. فهو قادرٌ على الأشياءِ كلِّها على ثلاثةِ أوجهٍ:

على المعدوماتِ بإيجادِها، وإنشائها.

وعلى الموجوداتِ بتغييرِها، وإفنائها.

وعلى مقدوراتِ غَيرِهِ، بأنْ يقدِرُ عليها، أو يمنعُ منها.

---

(١) الحج: ٧٣.

(٢) الحج: ٧٤.

(٣) الروم: ٥٠.

(٤) الروم: ٥٠.

(٥) الزُّمر: ٥.

(٦) البقرة: ٢٠، ١٠٦، ١٠٩، ١٤٨، ٢٥٩.

وقيلَ: خَاصٌّ في مَقْدُوراتهِ. ولَفْظُ «كلّ» يستعملُ للتَّخصيصِ، كقولهِ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1]، ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2].

سألَ أبو شاكرٍ[3] الدّيصانيُّ هشامَ بن الحكمِ: أَمِنْ قدرةِ الله ـ تعالى ـ أن يُدْخِلَ السَّماواتِ، والأرضينَ، وما بَيْنَهُما في بيضةٍ، لا تكبُرُ البيضةُ، ولا تصغُرُ الدُّنيا.

قال: فذكرتُ ذلكَ لأبي عبدِالله ـ عليه السلام ـ فقالَ: كم لكَ منَ الحواسِّ؟ قلتُ: خمسٌ.

قالَ: فأيُّهنَّ أضعفُ؟ قلتُ: العينُ

قال: العينُ، بِمَ[4] تبصرُ؟ قلتُ: بالنَّاظرِ.

قال: فكم مقدارُ النَّأظرِ في رأي العينِ؟

قلتُ: أقلُّ من عَدْسَةٍ.

قال: فابصُرْ، ما تَرَى أَمَامَكَ؟ صِفْ لي.

قلتُ: دوراً، وقصوراً، وأنهاراً، وأشجاراً، والسَّماءَ، والأرضَ. قال: إنَّ

---

(١) الأحقاف: ٢٥.

(٢) النَّمل: ٢٣.

(٣) التَّوحيد: ١٢٢ـ١٢٣. الكافي: ١: ٧٩. الإرشاد: ٣١٦ باختلاف اللفظ عن الصَّادق (ع).

(٤) في النسخ جميعها: بما. والصواب ما أثبتناه لدخول حرف الجر (الباء) على (ما) الاستفهامية.

الَّذي أراكَ ذلكَ، بأقلَّ من عَدْسَةٍ، فكَذلِكَ يحكُمُ في البيضَةِ.

وسُئِلَ الصَّادقُ[١] ـ عليه السلام ـ عن ذلكَ بعينِهِ، فقالَ:

إنَّ اللهَ لا يُنسَبُ إلى العَجزِ[٢]، والَّذي سألتَنِي لا يكونُ.

وجمعَ[٣] الجَعْدُ[٤] بنُ درهمٍ ماءً، وتراباً في قارورةٍ، فاستحالَ دوداً، فقالَ: أنا خلقتُ ذلكَ.

فبلغَ ذلكَ الصَّادقَ ـ عليه السلام ـ، فقال: فليَقُل: كَم هُوَ؟ وكَم الذّكرانُ منهُ، والإناثُ؟ وكم وزنُ كلِّ واحدةٍ منها؟ وليأمرِ الَّذي يسعى إلى هذا الوجهِ أن ينصرفَ إلى غيرهِ. فانقطعَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾[٥].

قولُ من قَالَ إنَّ ﴿كُنْ﴾ سببٌ للحوادثِ الَّتي يفعلُها[٦] اللهُ ـ تعالى ـ،

---

(١) التوحيد: ١٣٠ منسوباً إلى أمير المؤمنين (ع) عن أبي عبدالله الصادق (ع).

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): عجز.

(٣) في (هـ): مجمع.

(٤) التوحيد: ٢٩٥ ـ ٢٩٦ منسوباً إلى ابن أبي العوجاء. أمالي المرتضى: ١: ٢٨٤.

(٥) البقرة: ١١٧، آل عمران: ٤٧، ٥٩. الأنعام: ٧٣. النَّحل: ٤٠. مريم: ٣٥. يس: ٨٢. غافر: ٦٨.

(٦) في (ش): يفعلهُ.

فاسِدٌ من وجُوهٍ:

أحدهما: إنَّ القادرَ بقدرةٍ، إذا قدرَ أن يفعلَ من غيرِ سببٍ، فالقادرُ للنَّفسِ، بذلكَ، أولى.

ومنها[1]: إنَّ ﴿كُنْ﴾ محدَثةٌ، فلَو اِحتاجت إلى ﴿كُنْ﴾ أخرى، لتسلسلَ[2]. وذلكَ فاسدٌ.

ولو استَنَدَ ذلِكَ إلى ﴿كُنْ﴾ قديمةٍ، لوجبَ قِدَمُ المكونِ لأنَّه كانَ يجبُ أن يكونَ عُقيبَهُ، لأنَّ الفاءَ يوجبُ[3] التَّعقيبَ، وذلكَ يؤدِّي إلى قِدَمِ المكوَّناتِ.

ومنها[4]: إنَّه لو ولَّدت، لوَلَّدتَ مثلَ فِعلِنَا، كالاعتمادِ، وإنَّما اِستُعْمِلَ[5] القَدِيمُ ـ تعالى ـ لفظَ الأمرِ، فيما ليسَ بأمرٍ ـ هاهنَا ـ ليدُلَّ ـ بذلكَ ـ على أنَّ فعلهُ / ٢٧/ بمنزلةِ المأمورِ في أنَّه لا كُلفةَ على الأمرِ. فكذلكَ ـ هاهنا ـ لا[6] كُلْفةَ على الفاعل.

***

---

(١) في (ح): ثانيها.

(٢) في (هـ): لتشلشل، بالشين المعجمة في الموضعين.

(٣) في (هـ) و(ح): توجب. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) في (ح): ثالثها.

(٥) في (ش): يستعمل. بصيغة المضارع.

(٦) في (ك): ألّا.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1].

قَالَ أبو عليٍّ[2]: في هذه الآية، دلالةٌ على أنّه لا يقدرُ على الحياةِ، إلّا اللهُ، لأنّه يُمْدَحُ[3] بكونهِ قادراً على الإحياءِ، والإماتةِ، فلو كانَ غيرُهُ قَادِراً على الحَيَاةِ، لما كَانَ لهُ في ذلِكَ مَدْحٌ.

وفيها دلالةٌ على كونهِ قادراً على الإعادةِ، لأنَّ من قدرَ على النَّشأةِ الأولى، يقدرُ على النَّشأةِ الثَّانيةِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[4]، وقولُهُ: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[5].

يقتضي أنَّ لهُ قوّةً، وأنَّ قوَّتَهُ، أشدُّ من قوَّتِهِم، وتقتضي أنَّ قوتهُ، شديدةٌ، والشِّدَّةُ إنَّما هي الصَّلابةُ، ولا يجوزُ وصفُ الأعراضِ بالشِّدَّةِ، والصَّلابةِ، على الحقيقةِ. وإنَّ القوَّةَ إنَّما تستعملُ[6] في الأجسامِ، دونَ الأجزاءِ. والجوهرُ،

---

(١) يونس: ٥٦.

(٢) هو أبو علي الطبرسيّ: مجمع البيان: ٣: ١١٦.

(٣) في (ح): تمدَّح.

(٤) فصّلت: ١٥.

(٥) فصلت: ١٥.

(٦) في (ك) و(أ): يستعمل. بالياء المثنّاة من تحت.

المتحمِّل[١] الأعراضَ، يقالُ إنَّما هوَ ذو قوَّةٍ شديدةٍ، وهوَ أشدُّ بأساً منَّا على الأمرِ، إذا كانت جوارِحهُ، مكتنزةً[٢]، صُلْبَةَ الأعضاءِ[٣] غيرَ رخوةٍ.

ومعناه: إنَّه ـ تعالى ـ أقوى منهم، وأقدرُ، لأنَّ لفظةَ ﴿أَشَدُّ﴾ تستعملُ على هذا الوجهِ، فيقالُ: هذا أشدُّ بياضاً من هذا. كما يقالُ: هذا أفضلُ من هذا.

وَقَالَ أميرالمؤمنين[٤] ـ عليه السلام ـ في «الدُّرَّةِ اليَتِيْمَةِ»: ليسَ بقادرٍ من قارنهُ ضدٌّ، أو ساواهُ ندٌّ.

وقال[٥] ـ عليه السلام ـ في (خطبةِ العشراتِ): الحَمدُ للهِ المُتجلِّي لخلقهِ، بخلقهِ.

ويقالُ[٦]:

القادرُ بالحقِّ على الإطلاقِ[٧] ... من أوجدَ الأضدادَ في الأخلاقِ

الصَّاحبُ[٨]:

---

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): المحتمل. بالحاء ثم الثاء.

(٢) في (ش): مكتثرة، وفي (أ) و(ط): متكثرة.

(٣) في (هـ) و(أ): الأجزاء.

(٤) هو في تحف العقول: ١٧٤ منسوب للإمام الحسين بن علي (ع).

(٥) نهج البلاغة شرحِ محمد عبده: ١: ٢٠٦.

(٦) لم أقف على قائلهِ ولا مظنَّةِ وجودِهِ.

(٧) في (هـ): بالإطلاق.

(٨) ديوان الصاحب بن عبّاد: ٥٣.

الـصُّنعُ لابُـدَّ لـهُ مـن صـانعِ ... لاسـيَّما مَـعْ كَثْـرةَ البـدائعِ

وإنَّـما تـمّ[١] بـلا منـازعِ ... فالملـكُ لا يبقَـى عـلى التَّمانـعِ

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ...﴾ [٢] إلى قولهِ: ﴿...فَسَيَقُولُونَ: اللهُ﴾ [٣].

فيها دلالةُ على التَّوحيدِ، لأنَّ ما ذكرهُ في الآيـة، يوجبُ [أنَّ] [٤] المدبِّرَ، واحدٌ، لأنَّه لا يجوزُ أن يقع ذلكَ اتِّفاقاً، لإحالةِ العقلِ ذلكَ[٥]، ولا يجوزُ أن يقعَ بالطَّبيعةِ[٦]، لأنَّها في حكمِ المواتِ ـ ولو[٧] كانت معقولةً.

فلم يبقَ ـ [بعدَ] [٨] ذلكَ ـ إلَّا أنَّ الفاعلَ ـ لذلكَ[٩] ـ قادرٌ، عالمٌ، يدبِّرُهُ على

---

(١) في (هـ): ثمر. بالثَّاء المثلثة. وفي (ش) و(ك) و(أ): تمر. بالتاء المثناة من فوق. وفي (ح): نحنُ. وما أثبتناه رواية الديوان.

(٢) يونس: ٣١.

(٣) يونس: ٣١.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٥) في (هـ): معَ ذلك.

(٦) في (ك) و(ح): في الطبيعة.

(٧) في (ك): لو.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٩) في (أ): كذلك.

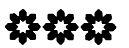
ما يشاءُ، وهوَ اللهُ ـ تعالى ـ معَ[١] أنَّ الطَّبيعةَ مدبَّرةٌ، مفعولةٌ، فكيفَ تكونُ هيَ المدَبِّرةَ؟

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٢]. يحتملُ أمرينِ:

أحدهما: أن يكونَ أرادَ بـ(خلقَ): قدَّرَ. فعلى هذا تكونُ الآيةُ عامَّةً، لأنَّه ـ تعالى ـ مقدِّرٌ كلَّ شيءٍ.

أو أرادَ[٣]: أنَّهُ أحدثَ كلَّ شيءٍ. فعَلى هذا، تكونُ[٤] خاصَّاً. لأنَّهُ لم يُحدِثْ أشياءَ كثيرةً من مقدوراتِ غيرِهِ، وما هوَ معدومٌ لم يُوجَد[٥].



(١) (معَ) ساقطة من (أ).

(٢) الفرقان: ٢.

(٣) في (أ): إرتدَّ.

(٤) في (أ): نكون. بنون المضارعة الموحَّدة من فوق. وفي (ح): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) في (هـ): يوجده. مع الضَّمير (الهاء).

فصل [ـ ٢١ ـ]

[في علم الله]

قوله ـ تعالى ـ[١]: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، ﴿إِنَّ اللهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ﴾[٣]، ﴿لا يَخْفى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾[٤].

الوصفُ ـ بأَنَّهُ لا يخفى عليهِ شيءٌ في الأرضِ، ولا في السَّماءِ، وأَنَّه يعلمُ ما لا يَعلَمهُ غيرُهُ ـ يدلُّ على أنَّه يَعلمُهُ من كلِّ وجهٍ، من حيثُ كانَ عالماً لنفسهِ. والعالمُ للنَّفسِ يجِبُ أن يعلمَ كلَّ ما يصُحُّ أن يكونَ معلوماً. وما يصُحُّ أن يكونَ معلوماً، لَانهايةَ لهُ. فوجبَ أن يكونَ عالماً بهِ.

وإنَّما يجوزُ أن يعلمَ الشَّيءَ من وجهٍ[٥] دونَ وجهٍ[٦]، من كانَ عالماً بعلمٍ،

---

(١) في (ح): سبحانه.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) آل عمران: ٥.

(٤) غافر: ١٦.

(٥) في (أ): وجهه.

(٦) في (أ): وجهه.

يستفيدُ العلمَ حالاً بعدَ حالٍ. فأمَّا من[1] كانَ عالماً لنفسهِ، فلا يجوزُ أن يخفى عليهِ شيءٌ بوجهٍ منَ الوجوهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[2].

أي: إنَّه عالمٌ بغيرِ تعليمٍ، بدلالـةِ أنَّهـم أثبتُـوا لله، مـا نفـوهُ عـنْ أنفـسهم، بقولهم: ﴿لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا﴾.

ويقال: إنَّه ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، أي: العالمُ. وهوَ من صفاتِ ذاتِهِ، فلمَّا بـالغَ فيهِ، أفادَ أنَّه عالمٌ بجميعِ أجناسِ المعلوماتِ، ممَّا يصحُّ أن يكونَ معلوماً.

***

قولُـهُ ـ سُـبْحَانَهُ ـ : ﴿وَهُـوَ بِكُـلِّ شَيْءٍ عَلِـيمٌ﴾[3]، ﴿وَيَعْلَـمُ مـا فِي الْـبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾ الآيةُ[4]، وقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ﴾[5].

---

(١) (مَنْ) ساقطة من (أ).

(٢) البقرة: ٣٢.

(٣) البقرة: ٢٩. الحديد: ٣.

(٤) الأنعام: ٥٩.

(٥) الأنعام: ٥٩.

عـامٌّ، يـدلُّ أنَّـه يعلـم الأشـياءَ كلَّهـا، قـديمَها، وحَـدِيثَها، موجُودَهـا، ومَعْدُومَهَا.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفِـي الـصُّدُورُ﴾ [١]، وقولـه: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [٢]، وقوله: ﴿إِنَّـهُ يَعْلَـمُ الْجَهْـرَ مِـنَ الْقَـوْلِ وَيَعْلَـمُ مـا تَكْتُمُونَ﴾ [٣].

فيها دلالةٌ على أنَّه عالمٌ بذاتِه.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٤].

معناهُ: أنَّه يعلمُ جميعَ المعلوماتِ، لكونهِ عالماً لنفسهِ. و«فَعِيـلٌ» يـدلُّ عـلى المبالغةِ.

***

(١) غافر: ١٩.

(٢) الأنعام: ٣.

(٣) الأنبياء: ١١٠.

(٤) المائدة: ٩٧.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾[(١)].

معناهُ: أنَّ مَعلُوماتِهِ، متميِّزةٌ، بمَنْزِلَةِ ما قَدْ أَحَاطَ بِهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَاللهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[(٢)].

أي: يحيطُ علمُهُ / ٢٨/ بما تعملونهُ، وإنَّه قادرٌ على جزاءِ ما تَعْمَلُونَهُ من ثوابٍ، أو عقابٍ[(٣)].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾[(٤)].

إنَّما خصَّ ﴿الْمُفْسِدِينَ﴾ بأنَّهُ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِهِمْ، على جهةِ التَّهديدِ لهم، والوعيدِ بما يعلمُ، ممَّا وقعَ من فَسادهِم، كما يقولُ القائلُ أنا أعلمُ بشرِّ فلانٍ، وما يجري إليهِ من الفسادِ.

***

(١) الطلاق: ١٢.

(٢) الأنفال: ٤٧.

(٣) في (ح): وعقاب. مع واو العطف.

(٤) آل عمران: ٦٣.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾[١].

صورتهُ، صورةُ الاستفهامِ، والمرادُ بهِ، التَّوبيخُ، ومثلهُ: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ﴾[٢].

فإن قيلَ: لِمَ قال: ﴿أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾، وقد كانوا يَعلَمُونَهُ، فكتموهُ، وظاهرُ هذا الخطابِ، لِمن لا يعلمُ؟

الجوابُ: من قال: إنَّهم ظنُّوا، فالجوابُ ظاهرٌ. ومن قالَ: إنَّهم علموا، وإنَّما جحدوهُ، نقولُ[٣]:

معناهُ: إنَّ منزلتكم، منزلةُ المعترضِ[٤] على ما يعلمُ أنَّ اللهَ أخبرَ بهِ، فما ينفعهُ ذلكَ، مع إقرارهِ، فإنَّ اللهَ، أعلمُ منهُ، وأنَّه لا يخفى عليهِ شيءٌ، لأنَّ ما دلَّ على أنَّه أعلمُ، دلَّ أنَّه عالمٌ لنفسهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾[٥].

---

(١) البقرة: ١٤٠.

(٢) النازعات: ٢٧.

(٣) في النسخ جميعها: «نقول» وحقه الجزم: «نَقُلْ» لأنَّه جواب الشرط الجازم «مَنْ».

(٤) في (ك): المتعرِّض.

(٥) الإسراء: ٢٥.

معنى ذلك: إنَّ معلوماتِهِ، أكثرُ من معلوماتهم.

وقد يقالُ: ﴿أَعْلَمُ﴾، بمعنى: أثبَت فيما بِهِ يعلمُ.

فنحنُ ـ من هذا ـ نقولُ: إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ أعلمُ بأنَّ الجسمَ، حادثٌ[1] من الإنسانِ العالمِ بِهِ، وكذلكَ كلُّ شيءٍ يمكنُ أن يُعْلَمَ متغايرهُ[2]، فإنَّ اللهَ[3] ـ تعالى ـ عالمٌ بِهِ على تلكَ الوجوهِ، وإن خَفِيَ على الواحدِ منَّا بعضُها.

ومعنى ﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾: أي: بما تُضمِرونَهُ، وتُخفونهُ عن غيرِكُم، فاللهُ أعلمُ بهِ مِنكُم، وفي ذلِكَ غايةُ التَّهديدِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[4].

المعنى: إنَّه أعلمُ بهِ[5]، ممَّن يعلمهُ، لأنَّه يعلمُ من وجوهٍ، تخفى[6] على غيرِهِ،

(١) في (أ): حاديث.

(٢) في (ش) و(ك): مُتغايرة. بالتاء المنقوطة. وفي (هـ) و(ط): مُتَغايراً.

(٣) في (ك) و(هـ) و(ح): فالله. وفي (أ): الله.

(٤) الأنعام: ١١٧.

(٥) (به) سقطت من (ح).

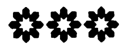
(٦) في (ش) و(ك) و(أ): يخفى. بياء المضارعة المثناة من تحت.

لأنَّه ـ تعالى ـ عالمٌ يعلمُ[1] ما كانَ، وما يكونُ، وما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ، وعلى جميعِ الوجوهِ الَّتي يصحُّ أن يعلمَ الأشياءَ عليها، وليسَ كذلكَ غيرُهُ، لأنَّ غيرُهُ[2] لا يعلمُ جميعَ الأشياءِ، وما يَعلمُهُ، لا يَعلمُهُ من جميعِ وجوهِهِ.

وأمَّا من هوَ غيرُ عالمٍ ـ أصلاً ـ فلا يقالُ: اللهُ، أعلمُ منهُ، لأنَّ لفظةَ ﴿أَعْلَمُ﴾، تقتضي[3] الاشتراكَ في العلمِ، وزيادةً لمن وُصِفَ بأنَّه أعلمُ. وهذا لا يصحُّ ممَّن ليسَ بعالمٍ أصلاً، إلَّا مجازاً.

ولا يصحُّ أن يقالَ: هوَ ـ تعالى ـ أعلمُ بأنَّ الجسمَ، حادثٌ مِن كلِّ مَنْ يَعلمُهُ حادثاً، لأنَّه قد ذُكرَ الوجهُ الَّذي يُعلَمُ منهُ، وهوَ أنَّه حادثٌ.

فإن أريدَ ـ بذلكَ ـ المُبالغةُ في الوصفِ، وأنَّ هذهِ الصِّفةَ فيهِ، أثبتُ من غيرِهِ، جازَ أن يقالَ فيهِ ذلكَ.



(١) في (ك) و(ح): بعلم. بحرف الجر (الباء) مع المصدر (عِلْم)

(٢) (لأنَّ غيره) ساقطة من (أ).

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): يقتضي. بياء المضارعة المثناة من تحت.

فصل [ـ ٢٢ ـ]

[في علم الله]

وقد تعلَّقَ من ذَهبَ في حُدُوثِ العِلْمِ، بأنَّه[1] لا يعلمُ الشَّيءَ قبلَ كونـهِ، بآياتٍ منها:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[2].

﴿وَما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلاَّ لِنَعْلَمَ﴾[3].

﴿وَما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلّا لِنَعْلَمَ﴾[4].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾[5].

﴿الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾[6]، ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ

---

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): وأنَّهُ.

(٢) آل عمران: ١٤٢.

(٣) البقرة: ١٤٣.

(٤) سبأ: ٢١.

(٥) محمد: ٣١.

(٦) الأنفال: ٦٦.

تَعْمَلُونَ﴾[١].

قال: لا يجوزُ أن يقولَ[٢] مثلَ ذلكَ، وهوَ عالمٌ[٣] بِهِ!!

الجوابُ: إنَّه لَو لَم يَتقدَّم العِلمُ بحالِهِم، وحالِ ما كلَّفهُم، لَقبُحَ التَّكليفُ أصلاً، لأنَّه يَحسُنُ مِنَ المكلِّفِ أن يأمُرَ بِمَا يعلمُ حُسنَهُ، وأنَّ المكلَّفَ، يتمَكَّنُ مِن فعلِهِ، على الوجهِ الَّذي كُلِّفَ، فكيفَ يصحُّ ـ معَ هذا ـ أن يَكونَ عِلمُهُ بِحالِهِم حادِثاً بعدَ التَّكليفِ، وعندَ فعلِهِم ما كلِّفوا.

على أنْ ليسَ في ظَواهِرِ الآياتِ، ما يُنبِئُ عن كونِهِ[٤] غيرَ عالِمٍ بِما سيكونُ منهُم. والعالمُ بالشَّيءِ، إنَّما يكونُ عالماً بِهِ، إذا عَلِمَهُ على مَا هوَ بِهِ.

فاللهُ ـ تعالى ـ إنَّما يعلمُ[٥] المجاهدَ[٦] مجاهداً، إذا جاهدَ[٧]، ويعلمهُ مؤمناً إذا آمنَ، وليسَ ـ في ذلكَ ـ نفيُ كونِهِ عالماً مَن سيؤمنُ، وسيجاهدُ، وهوَ موضعُ النِّزاعِ.

---

(١) يونس: ١٤.

(٢) في (ش): تقول. بتاء المضارعة المثناة من فوق. في (ك) و(أ): نقول. بنون المضارعة الموحّدة.

(٣) في (أ): أعلم.

(٤) في (أ): كونهم.

(٥) في (أ): يعمل.

(٦) في (أ): المجاهدين.

(٧) في (أ): جاهدوا.

وَقَالَ المرتضى: قولهُ: ﴿لِنَعْلَمَ﴾، يقتضي[(١)] حقيقتُهُ أن يعلمَ هوَ، وغيرُهُ، ولا يحصلُ علمُهُ معَ علم غيرِهِ، إلَّا بعدَ حصولِ الإتِّباعِ، فأمَّا قبلَ حصولِهِ، فإنَّما يكونُ هوَ ـ تعالى ـ العالِمَ ـ وحدَهُ ـ فصحَّ ـ حينئذٍ ـ ظاهرُ الآيةِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى﴾[(٢)] إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى﴾[(٣)]، وقوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾[(٤)].

فلا يوجبانِ الشَّكَّ، وإنَّ الله ـ تعالى ـ قد عَلِمَ أنَّ فرعونَ، لا يتذكَّرُ، ولا يخشى، والكفَّارَ لا يجنحونَ إلى السَّلمِ، ولكنَّهُ ـ تعالى ـ أرادَ أن يُطيِّبَ ـ بذلكَ ـ نفُوسَ المخَاطَبِينَ، ويُقوِّي قلوبَهُم، كما تقولُ[(٥)] للأجيرِ: أُفرُغ من عملكَ، لعلَّكَ تأخذُ أجرَكَ. أي: لتأخذَهُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: / ٢٩/ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[(٦)]، و﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[(٧)].

---

(١) العبارة: «يقتضي حقيقته أن يعلمَ» ساقطة من (أ).

(٢) طه: ٤٣.

(٣) طه: ٤٤.

(٤) الأنفال: ٦١.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يقول، بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) البقرة: ٢١. وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم.

(٧) آل عمران: ١٣٢. وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم.

فيها معنى الشَّكِّ، لكنَّهُ للعبادِ، دونَ اللهِ ـ تعالى ـ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1].

قال الحسنُ[2]، والبلخيُّ، والزَّجّاجُ[3]، وأكثر المفسِّرين[4]: إنَّ ﴿عَسَى﴾ من اللهِ، واجبٌ. ووجهُ ذلكَ: إنَّ إطماعَ الكريمِ، إنجازٌ، وإنَّما الإطماعُ، تقويةُ أحدِ الأمرينِ على الآخرِ، دونَ قيامِ الدَّليلِ على التَّكافؤ[5]، والجوازِ.

وخرجَ ﴿عَسَى﴾ ـ في هذا ـ من معنى الشَّكِّ، كخروجها في قولِ القائلِ: أطع ربَّكَ في كلِّ ما أمركَ بهِ، ونهاكَ عنهُ، عسى أن تُفلِحَ بطاعتكَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾[6].

أي: ليسَ اللهُ ممَّن ينسى، ويخرجُ عن كونهِ عالماً، لأنَّه ـ تعالى ـ عالمٌ لنفسهِ.

---

(١) النساء: ٨٤.

(٢) مجمع البيان: ٢: ٨٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ١٩٩.

(٤) انظر مثلاً: جامع البيان: ٥: ١٨٥ ومجمع البيان: ٢: ٨٣. الدر المنثور: ٧: ٤٣١.

(٥) في النسخ جميعها: تكافي.

(٦) مريم: ٦٤.

وتقديرهُ ـ هاهنا ـ: وما نَسِيَكَ[١]، وإن[٢] أَخَّرَ الوحيَ عنكَ.

ويقال: ﴿وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾، أي: لا يُثيبُهُم. كما يقالُ للملكِ، والسَّيِّدِ: قد نَسِيتنَا، فما تذكرُنَا. يعنُونَ: أنَّه لا يأتينا منكَ خيرٌ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الْيَوْمَ نَنْساكُمْ﴾[٣].

قال ابن عبَّاسٍ[٤]: نترُككُم في العقابِ، ﴿كَما نَسِيتُمْ لِقاءَ﴾[٥]. أي: كما تركتم ذكرَ لقاءِ ﴿يَوْمِكُمْ هذا﴾[٦].

ويقال: أي: لم يقبلوا الطَّاعةَ، ولم يؤمنوا بهِ، فينفعهم[٧] في الآخرةِ.

أي: فما أعطاهم الثَّوابَ.

***

---

(١) في (أ): أي: لا تنساهم، بدلاً مِنْ : وما نَسِيَكَ.

(٢) العبارة: «وإنْ أَخَّرَ... لا يثيبهم» ساقطة من (أ).

(٣) الجاثية: ٣٤.

(٤) جامع البيان: ٢٥: ١٥٨ أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٨١.

(٥) الجاثية: ٣٤.

(٦) الجاثية: ٣٤.

(٧) في (ك): فيقعهم.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[1].

أي: تركوا اللهَ في معرفتِهِ، وعبادتِهِ، فتركهُم عندَ الجزاءِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ ما فِي صُدُورِكُمْ﴾[2]، وقولُهُ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ﴾[3]، وقولُهُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾[4]. يحتملُ أمرينِ:

أَحَدَهما: ليعاملكُم معاملةَ المُبتلي، المُختبِرِ لكم، مُظاهرةً[5] في العَدْلِ.

وأخرَجَ كلامَ المبتَلِ[6] لهذهِ العلَّةِ، لأنَّه ـ تعالى ـ عالمٌ بالأشياءِ، قبلَ كونِها، فلا يبتلي ليستفيدَ علماً.

والثَّاني: ليبتلِيَ أولياءَ اللهِ ما في صُدُورِكم، إلَّا أنَّه أضافَ الابتلاءَ إلى اللهِ ـ عزَّوجلَّ ـ تفخيماً لشأنِهِ.

***

(١) التوبة: ٦٧.

(٢) آل عمران: ١٥٤.

(٣) المائدة: ٤٨.

(٤) البقرة: ١٥٥؛ محمد: ٣١.

(٥) في (ك) و(هـ): مظاهره. بالهاء غير المنقوطة.

(٦) في (ح): المختبر.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[١].

التَّعجُّبُ، لا يجوزُ على الله ـ تعالى ـ لأنَّه عالمٌ بجميعِ الأشياءِ، لا يخفى عليهِ شيءٌ. والتَّعجُّبُ يكونُ ممَّا لا يُعرَفُ سببُهُ، وإنَّما الغرضُ بالآيةِ أن يدلَّنا على أنَّ الكفَّارَ، حلُّوا محلَّ من يُتَعجَّبُ منهُ، فهو تعجيبٌ لنا منهم.

وَقَالَ الحسنُ[٢]، وقتادةُ[٣]، ومجاهدُ[٤]: إنَّ «مَا» في قوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ﴾ للتَّعجُّبِ[٥].

وَقَالَ ابنُ عبَّاسٍ[٦]، وابنُ جريجٍ[٧]، وابنُ زيدٍ[٨]، والسُّدِّيُّ[٩]: إنَّها للاستفهام.

وَقَالَ الكسائيُّ[١٠]: هو استفهامٌ على وجهِ التَّعجُّبِ، كأنَّه توبيخٌ لهم،

---

(١) البقرة: ١٧٥.

(٢) جامع البيان: ٢: ٩١. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٢٥٩. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢٣٦.

(٣) جامع البيان: ٢: ٩١. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٢٥٩. الدر المنثور: ١: ٤١٠.

(٤) جامع البيان: ٢: ٩١. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٢٥٩. الدر المنثور: ١: ٤١٠. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢٣٦.

(٥) في (ش): للمتعجب.

(٦) مجمع البيان: ١: ٢٦٠. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢٣٦.

(٧) جامع البيان: ٢: ٩١.

(٨) جامع البيان: ٢: ٩١ وفي (ح): ابن زيدان.

(٩) جامع البيان: ٢: ٩١. الدر المنثور: ١: ٤١٠. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢٣٦.

(١٠) مجمع البيان: ١: ٢٦٠. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢٣٦.

وتعجُّبٌ لنا.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ﴾ (١).

قال مجاهدٌ(٢): المرادُ بالرُّؤيةِ ـ هاهنا ـ العِلْمُ الَّذي هو المعرفةُ، لأَنَّه عدَّاهُ إلى مفعولٍ واحدٍ، وإنَّما قال: ﴿سَيَرَى اللهُ﴾ على وجهِ الاستقبالِ، وهو عالمٌ بالأشياءِ قبلَ وجودها. فالمرادُ ـ بذلكَ ـ أنَّه سيعلمُها موجودةً، بعدَ أن علمها معدومةً. وكونُهُ عالماً بأنَّها سَتُوجدُ ـ بعدَ كونهِ عالماً بوجودها، إذا وجدت ـ لا يُجدِّدُ(٣) حالاً لهُ بذلكَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾ (٤).

مَعناهُ: إنَّه لا شَيءَ، يَعْلمهُ عَالِمٌ، أو يذكرهُ ذاكِرٌ، إلَّا و هوَ عالِمٌ بهِ، وَمُحْصٍ لهُ.

---

(١) التوبة: ١٠٥.

(٢) في جامع البيان: ١١: ٢٠ نُسبَ إلى مجاهد رأي آخر، غير هذا وكذا في الدر المنثور: ٤: ٢٨٣. أما في مجمع البيان: ٣: ٦٩ فهذا الرأي غير منسوب إلى أحدٍ.

(٣) تقرأ في (هـ): يجدِّد، وتجدِّد. وفي (ح): يجدد له حالاً.

(٤) الجن: ٢٨.

والإحصاءُ، فعلٌ، وليسَ هو بمنزلةِ العلمِ، فلا[1] يجوزُ أن يقالَ: أحصى ما لا يتناهى. كما يجوزُ أن يقال: عَلِمَ ما لا يَتَناهى[2]. لأنَّ الإحصاءَ، مثلُ المُحْصَى، لا يكونُ إلَّا فعلاً متناهياً. وإذا لم يجُز أن يفعلَ من الإحصاءِ، ما لا يتناهَى آخرُهُ، لم يجُز أن يقالَ: إنَّه قد أحصى ما لا يَتَنَاهَى. ويجوزُ أن يقالَ: إنَّه يُحصِي ما لا يتناهَى إحصَاءً دائِماً، لا يَتَنَاهَى. كما يجوزُ أن يقالَ: إنَّه يفعلُ ما لا يَتَنَاهَى.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾[3]. أي: في إيمانهم، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ﴾[4] فيهِ.

إنَّما قال: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾ معَ أنَّه الاستقبالُ، واللهُ ـ تعالى ـ عالمٌ ـ فيما لم يزل ـ بُحدوثِ المعلومِ، فلا تصُحُّ[5] الصِّفةُ، إلَّا معَ المستقبلِ، إذ لا يصحُّ عالماً بأنهُ حادثٌ لانعِقَادِ معنى الصِّفةِ بالحادثِ، وهوَ إذا حَدَثَ عَلِمَهُ ـ تعالى ـ بنفسهِ.

***

---

(١) في (هـ) العبارة هكذا: «فلا يجوز أن يقال: أحصى ما لا يتناهى، ويجوز أن يقال: إنَّه يحصي ما لا يتناهى إحصاء دائماً لا يتناهى، كما يجوز أن يقال....

(٢) في (أ): يتباهى. بالباء الموحدّة من تحت بعد التاء في الموضعين.

(٣) العنكبوت: ٣.

(٤) العنكبوت: ٣.

(٥) في (ش) و(ك) و(أ): يصح. بياء المضارعة المثناة من تحت.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾[1]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ﴾[2].

إنَّما أثبتَ ذلكَ، مع أنَّه عالمٌ لا يعزُبُ عنهُ شيءٌ، لِـمَا فيهِ منَ اللُّطفِ، للملائكةِ، أن يكونَ فيهِ لطفٌ، لمن يُخبرُ بذلكَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُها...﴾ الآية[3].

قال قطرُبُ: إنَّما يكونُ ذلكَ للتَّأكيدِ على العبادِ، والتَّخويفِ لهُم في حفظِ أعمالهم، عَلَيهِمْ، لأنَّ ما لا ثوابَ فيهِ، ولا عقابَ، يكونُ مُحْصِيًّا عندهُ في كتابٍ. فأعمالُكم ـ الَّتي فيها الثَّوابُ والعقابُ ـ أَوْلَى بالكتابِ، والإحصاءِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[4]، وقالَ: ﴿ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ﴾[5]، وقال: ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ﴾[6].

---

(١) هود: ٦.

(٢) يس: ١٢.

(٣) الأنعام: ٥٩.

(٤) السجدة: ٧.

(٥) الملك: ٣.

(٦) الانفطار: ٧، ٨.

نظر أَعرَابيٌّ يومَ الجمعةِ إلى النَّاسِ، وقد اِجتمعوا لهُ، فقال: صورةٌ واحدَةٌ، وخلقٌ مختلفٌ، ما هو إلَّا صنعُ حكيمٍ، عليمٍ.

رأى[١] رجلٌ تناثرَ الأوراقِ، فهجسَ في خاطرهِ: هل يَعلمُ اللهُ عَدَدَها؟ فنزل: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٢].

ابن عبَّاسٍ[٣]: كانتِ اِمرأةٌ، تصلِّي خلفَ النَّبيِّ ـ عليه السلامُ ـ وكانَ بعضُهم يتقدَّمُ في الصَّفِّ الأوَّلِ، لئلَّا يراها، وكان بعضُهم في أوَّلِ الصَّفِّ، إذا ركعَ، قَالَ هكذا، ونظرَ من تحتِ إبطهِ، فنزلَ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾[٤].

لا يعلمُ الغيبَ أحدْ إلَّا هوَ الفردُ الصَّمدْ[٥]

أبو نواسٍ[٦]:

كلُّ مستخفٍ بشيءٍ فمنَ اللهِ بِمَرْأَى لا تَرَى شيئاً من اللهِ مِنَ الأشياءِ يَخْفَى

***

(١) في (أ): قوله رأى...

(٢) الملك: ١٤.

(٣) جامع البيان: ١٤: ٢٦. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٣٣٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ١٩.

(٤) الحجر: ٢٤.

(٥) لم تقف عل قائله ولا مورد أخذه.

(٦) ديوان أبي نواس: ٦١٧ وفيه: «على اللهِ منَ الأشياء...»

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾[1]، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثى وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾[2].

معناهُ: وهو عالِمٌ بهِ. ولو كانَ المرادُ بذلكَ ذاتاً أخرى، لوجبَ أن يكونَ العِلْمُ آلةً في الإنزالِ.

وظاهرُ[3] اللَّفظِ يقتضي أنَّ الوضعَ والإنزالَ والحملَ، بعلمِهِ، فيكونُ آلةً، لهُ، لأنَّ ذلكَ قضيَّةُ اللَّفظِ، والباءُ تدخلُ في الكلامِ، دلالةٌ للآلةِ، نحوُ: ضربتهُ بالسَّيفِ. أو تكونُ[4] سبباً للمسبَّبِ، نحوُ: أو جَعتهُ بالضَّربِ. أو علَّةً للمعلولِ، نحوُ: أسودَّ بالسَّوادِ. أو مجازاً، فيكونُ عبارةً عن الفاعلِ، نحوُ: كانَ ذلكَ بمرأى أو بمسمعٍ. أي: كنتُ أسمعهُ، وأراهُ.

ولا يجوزُ أنْ يكُونَ العِلمُ [سبباً][5] لهذهِ المذكوراتِ، ولا[6] عِلَّةً، لأنَّ العلمُ إنَّما يكونُ عِلَّةً للعالمِ، لا لِمَا عَلِقهُ بهِ، ولا سبباً، لأنَّ العلمَ لا يُوجبُ هذهِ الأشياءَ، وإنَّما يُوجِبُ إرادَتَهُ، وفعلَهُ، فلم يبقَ إلَّا أنَّهُ أنزلَهُ، وهوَ عالِمٌ بهِ، كما يقالُ: أعطَيتُ القومَ كذا، برضى المَلِكِ. أي: وهوَ راضٍ بهِ. فتقومُ «الباءُ» معَ

---

(١) النِّساء: ١٦٦.

(٢) فاطر: ١١، فصلت: ٤٧.

(٣) في (ك) و(هـ): فظاهر.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(أ) و(ح).

(٦) (لا) سقطت من (ح).

المصدرِ مقامَ الإبتداء، والخبرِ.

ثمَّ أنَّ «الباءَ» ـ الَّتي لا يستقلُّ[١] الكلامُ بإسقاطها ـ «باءُ» الإلصاقِ، مثلُ: كتبتُ بالقلمِ. والإلصاقُ يستحيلُ في العلمِ، وكذلكَ الإنزالُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾[٢].

يقتضي[٣] أنَّ عِلمهُ يتبعَّضُ لدخولِ «مِنْ» الَّتي للتَّبعيضِ. والعدولُ عنَ الظَّاهرِ، يقتضي أنَّ علمهُ يتفنَّنُ[٤] بما يَعلَمهُ غيرُهُ، وما لا يعلَمُهُ، وأنَّه لا يعلمُ من علمهِ، إلَّا بما يشاءُ، فلعلَّهُ لم يشأ أن يُعْلَمَ علمُهُ. أي: كونُهُ.

ولفظةُ «العلمِ»، مصدرٌ، وهوَ متردِّدٌ بينَ الفاعلِ، والمفعولِ. يقال: فعلتُ كذا بعلمي. وليكن جميعُ ما يفعلهُ فلانٌ بعلمكَ. وهذا علمُ أبي حنيفةَ. فَلَمَّا استُعمِلَ في الاستخبارِ عنِ العالمِ، وعنِ المعلومِ، وَجَبَ صرفُهُ إلى الأصوبِ.

الفضلُ بنُ[٥] شاذان: قيلَ للرضا ـ عليه السَّلامُ ـ: إنَّ قوماً يقولون: إنَّه

---

(١) في (ش) و(ك) و(أ): تستقلّ. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) في (ش) و(ك): تقتضي.

(٤) في (ك): يتقنَّن. بالقاف المثناة. وفي (هـ): يتقيّن. بالقاف المثناة بعدها ياء مثناة من تحت.

(٥) عيون أخبار الرِّضا: ١: ١١٩ التَّوحيد: ١٤٠. أمالي الصَّدوق: ٢٤٧. وفي الاحتجاج: ٢: ١٩٢ عن الحسين بن خالد.

ـ عزَّوجلَّ ـ لم يزل عالِـماً بعلمٍ، وقادراً بقدرةٍ، وحيَّاً بحياةٍ، وقديماً بقدمٍ، وسميعاً بسمعٍ، وبصيراً ببصرٍ؟

فقال[١]: مَنْ قَالَ بذلكَ، ودانَ بهِ، فقدِ اتَّخذَ معَ اللهِ آلهةً أخرى، وليسَ من ولايتنا على شيءٍ.

ثمَّ قال: لم يزلِ اللهُ عالماً بعلمٍ[٢]، قادِراً، حيَّاً، قديماً، سميعاً، بصيراً، لذاتـهِ. تعالى عمَّا يقولُ المشركونَ[٣]، والمُشبِّهونَ، علوَّاً كبيراً.

الصَّاحبُ[٤]:

هـو العـالم الـذَّاتُ الَّـذي لـيسَ مُحوجـاً ... إلى العلـمِ، والأعـلامُ تبـدو فتـشهدُ

ولـيسَ قـديماً سـابقاً غـيرَ ذاتـهِ ... وإن كـانَ أبنـاءُ الـضَّلالِ تلـدَّدوا[٥]



(١) (فقال) ساقطة من (أ).

(٢) (بعلم) ساقطة من (هـ).

(٣) في (أ): المشركين.

(٤) ديوان الصاحب بن عبّاد: ٣٢ وفيه: وتشهد. وفي البيت الثاني: تبلَّدوا.

(٥) في (ك) بعد كلمة (تلدّدوا) كلمة (تردَّدوا). وفي (هـ): تبلَّدُ. ثم بعدها. تلدَّدُ.

فصل [ـ٢٣ـ]

[من دلائل وجود الله]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[1]، ﴿الم اللهُ لا إِلـهَ إِلاَّ هُـوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[2] ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾[3]، ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[4].

جاءَ عبدُ الملكِ[5] بن أبي العوجاءِ إلى الصَّادقِ ـ عليه السلام ـ فقال: يا أبا عبدالله، إنَّ المجالسَ بالأماناتِ، ولا بدَّ لِكُلِّ مَن بهِ سُعَالٌ أن يَسعَلَ[6]، فتأذنُ لي بالكلامِ؟

فقال: تكلَّمْ بما شئتَ.

فقالَ: إلى كم تَدُوسونَ هذا البيدرَ، وتَلوذونَ بهذا الحجَر، وتعبُدونَ هـذا

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) آل عمران: ١، ٢.

(٣) غافر: ٦٥.

(٤) غافر: ٦٨.

(٥) الكافي: ١: ٧٥ ـ ٧٦. التوحيد: ١٢٧، ٢٥٢. أمالي الصدوق: ٥٥٢ ـ ٥٥٣ الإرشاد: ٣١٥. الاحتجاج: ٢: ٧٤ ـ ٧٥.

(٦) في (ط): سؤالٌ أن يَسْأل.

البيتَ المرفوعَ بالطُّوبِ، والمدرِ، وتُهرولونَ هروَلةَ البَعيرِ، إذا نفَرَ؟ من فَكَّرَ فيها، أو قدَّرَ، عَلِمَ أنَّ هذا، أسَّسهُ غيرُ حكيمٍ، ولا ذو نظرٍ.

فقال ـ عليه السلام ـ: إن يكنِ الأمرُ على[1] ما تقولُ، وليسَ كما نقولُ نجونا، ونجوتَ، وإن لم يكنِ الأمرُ على ما تقولُ، وهوَ كما نقولُ، نجونا، وهلكتَ.

فقال: ما قولي، وقولهم، إلَّا واحدٌ[2].

فقال ـ عليه السلام ـ: كيفَ يكونُ ذلكَ. وهم يقولونَ:/ ٣١/ إنَّ لهم معاداً، وثواباً، وعقاباً، وَيدينونَ أنَّ للسَّماءِ إلهاً، وأنَّها عمرانٌ، وأنتُم تزعمونَ أنَّها خرابٌ؟

فقال: ما منعهُ أن يظهرَ لخلقهِ، وَيدعُوهُم[3] إلى عبادتهِ حتَّى لا يختلفَ منهم اِثنانِ؟ ولِمَ اِحتجبَ عنهم، وأرسلَ إليهم الرُّسلَ؟

فقال ـ عليه السلام ـ: ويلكَ! وكيفَ اِحتجبَ عنكَ من أراكَ قُدرتَهُ في نفسِكَ؛ ونُشوءَكَ ولم تكن، وكِبرَكَ بعدَ صِغَرِكَ، وقوَّتَكَ بعدَ ضعفِكَ، وضعفَكَ بعدَ قوَّتِكَ، وسَقَمَكَ بعدَ صحَّتِكَ، وصحَّتَكَ بعدَ سَقَمِكَ، ورضاكَ بعدَ غضبِكَ، وغضبَكَ بعدَ رضاكَ، وحزنَكَ بعدَ فرحِكَ، وفرحَكَ بعدَ حزنِكَ،

---

(١) في (ك) و(هـ) و(أ): كما تقول.

(٢) في (ش): واحداً.

(٣) (ويلكَ): ساقطة من (أ) وأثبت بدلاً منها: وكيف يكون ذلكَ.

وحُبَّكَ بعدَ بغضِكَ، وبغضَكَ بعدَ حبِّكَ، وعزمَكَ بعدَ إبائكَ، وإباءَكَ بعدَ عزمِكَ، وشهوتَكَ بعدَ كراهتِكَ، وكراهتَكَ بعدَ شهوتِكَ، ورغبتَكَ بعدَ رهبتِكَ، ورهبتَكَ بعدَ رغبتِكَ، ورجاءَكَ بعدَ يأسِكَ، ويأسَكَ بعد رجائكَ، وخاطرَكَ بما لم يكن في وهمِكَ، وعُزوبَ ما لم تكن معتقدَهُ عن ذهنِكَ، ومازالَ يَعدُّ[1] عليهِ قدرتَهُ، حتَّى ظننتُ أنَّه سَيْظهَرُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ...﴾ الآيَةُ[2].

سئلَ أميرُالمؤمنين[3] ـ عليه السلام ـ: أينَ كانَ اللهُ قبلَ خلقِ السَّمواتِ، والأرضِ؟

فقال ـ عليه السلام ـ: «أينَ»، سؤالٌ عن مكانٍ، وكانَ اللهُ، ولا مكانَ. فلمَّا خلقَ المكانَ، لم يتغيَّر عمَّا كانَ.

وسألَ نافعٌ[4] المقرئُ، الباقرَ ـ عليه السلام ـ: أخبرني: متى كانَ اللهُ؟

---

(١) في (ش) و(ك) و(هـ): يعدّه، مع الضمير (الهاء).

(٢) الحديد: ٣. والآية بتمامها: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(٣) الكافي: ١: ٩٠. التوحيد: ١٧٥. بزيادة في اللفظ في كتابنا عنهما. أمالي المرتضى: ١: ١٤٩. العقد الفريد: ٢: ١٩٧.

(٤) الكافي: ١: ٨٨ باختلاف في اللفظ يسير. التَّوحيد: ١٧٣. الاحتجاج: ٢: ٥٤ ومثله منسوب إلى أميرالمؤمنين علي عليه السلام في أمالي الصدوق: ٥٩٩. وفي البدء والتاريخ: ١: ٧٤ منسوب إلى علي بن الحسين عليهما السلام.

فرفعَ ـ عليه السلام ـ رأسَهُ إليهِ، وقالَ[١] لهُ[٢]: يا نافعُ[٣]، أخبرني: متى لم يكنْ، حتَّى أُخبِرَكَ: متى كانَ؟

فرجعَ نافعٌ يقولُ: اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالاتهِ.

وسألَ أميرَالمؤمنين[٤] حَبْرٌ: متى كانَ ربُّكَ؟

فقال: ثكلتْكَ أمُّكَ! متى لم يكن، حتَّى يقال: متى؟ كانَ ربِّي قبلَ القبلِ. بلا قبلٍ، ويكونُ بعدَ البعدِ، بلا بعدٍ، ولا غايةَ، ولا منتهى لغايتهِ، إنقطعتِ الغاياتُ عنهُ، فهوَ منتهى كلِّ غايةٍ.

وفي خطبةِ أميرالمؤمنين[٥] ـ عليه السلام ـ: لم تسبق لهُ حالٌ حالاً، فيكونُ أوَّلاً، قبلَ أن يكونَ آخراً، ويكونُ ظاهراً، قبل أن يكونَ باطناً.

وقوله[٦] ـ عليه السلام ـ: ليس عنِ الدَّهرِ قِدَمُهُ، ولا بالنَّاحيةِ أَممُهُ.



(١) في (ك): فقال.

(٢) (له) ساقطة من (ك).

(٣) (يا) ساقطة من (أ).

(٤) الكافي: ١ : ٩٠. التَّوحيد: ٧٧، ١٧٤. باختلافِ في اللَّفظ يسير. الاحتجاج: ١ : ٣١٣.

(٥) نهج البلاغة شرح محمد عبده: ١ : ١١٢.

(٦) هو في تحف العقول: ١٧٤ منسوب إلى الأمام الحسين بن علي (ع).

فصل [-٢٤-]

[في معنى سمع الله]

قوله - تعالى -: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ...﴾ الآية[(١)].

نزلتْ في أوسِ بنِ الصَّامتِ[(٢)]، لَمَّا ظاهرَ زوجتَهُ.

اِبنُ مسعودٍ[(٣)]، قال: تكلَّم صفوانُ بنُ أميَّةَ، وعبدُ ياليـلٍ[(٤)]: إنَّ اللهَ يـسمعُ ما تقولُ، فقالَ أحدُهما: إنَّه يسمعُ الفديدَ[(٥)]، دونَ الهمسِ. وَقَالَ الآخـرُ: إنَّ مـن سَمِعَ الفديدَ، سمِعَ الهمسَ. فأخبرتُ النَّبيَّ - عليه السلام - بذلكَ، فنزلَ: ﴿وَمـا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآياتُ[(٦)].

---

(١) المجادلة: ١.

(٢) جامع البيان: ٢٨: ١. مجمع البيان: ٥: ٢٤٦. أسباب النُّزول: ٢٧٣. الدر المنثور: ٨: ٧٠ - ٧٤. التفسير الكبير: ٢٩: ٢٤٩. الجامع لأحكام القرآن: ١٧: ٢٦٩.

(٣) جامع البيان: ٢٤: ١٠٩. باختلاف الرواية واللفظ. مجمع البيان: ٥: ١٠: أسباب النزول: ٢٥٠ باختلاف اللفظ ودون ذكر اسمي المتكلِّمينِ.

(٤) في (ك) و(أ): عبدنائل.

(٥) الفديد: الصَّوت والجلبة. [المعجم الوسيط (فَدَدَ)]

(٦) فصِّلت: ٢٢ - ٢٥.

المفسِّرونَ عن أميرِ المؤمنين[1] ـ عليه السلام ـ في قولِهِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلاً﴾[2]: إنَّه سرى داودُ ـ منفرِداً ـ إلى جبلٍ للتعبُّدِ، فكانَ يناجي ربَّهُ، فعرض لهُ وحشةٌ، فقالَ الله ـ تعالى ـ: ﴿يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾[3]، فسبَّحوا اللهَ[4]، وهلَّلوهُ، فهجسَ ـ في ضميرِهِ ـ رحمتهُم[5]، فأخذَ مَلَكٌ عَضُدَهُ، وأتى بهِ إلى السَّاحلِ، وركلَ[6] البحرَ برجلِهِ، فانشَقَّ البحرُ، وظَهَرَ الحيتانُ، فَطَرَدَهُم، فأَبْدَى صَخْرَةً، عليها دودةٌ، فقال: يا داودُ، إنَّ اللهَ يَسْمَعُ نَفَسَ هذهِ الدُّودةِ، في هذا المكانِ.

واعلم: أنَّ إسماعَ الكلامِ، يَشتملُ ـ في اللُّغةِ ـ على ثلاثةِ أوجهٍ: على الإدراكِ بحاسَّةِ السَّمعِ. وهوَ حقيقةٌ فيهِ.

وفي العلمِ بالكلامِ على ما ذكرَ جماعةٌ من المفسِّرينَ، وأهلِ العدلِ، من البغداديينَ[7] في قولِهِ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها﴾[8]، وقولِ

---

(١) مجمع البيان: ٤: ٣٨٢.

(٢) سبأ: ١٠.

(٣) سبأ: ١٠.

(٤) في (ح): لله. مع حرف الجر (اللام).

(٥) في (ط): رجمتهم. بالجيم المعجمة من تحت.

(٦) في النسخ جميعها: ركَض، ولا معنى لها ضمنَ السِّياق.

(٧) الملل والنِّحل: ١: ١١٧، ١٢٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلِّين: ١: ١٧٥.

(٨) المجادلة: ١.

القائل: أنا[١] بمسمعٍ منكَ. وأنا سامعٌ لكلامكَ، ومشاهدٌ لِفعالِكَ. إذا كان يراعي أَخبارَهُ، حتَّى تصلَ[٢] إليهِ، ويعلمُها.

وفي الكلامِ الَّذي يحصلُ[٣] فائدةٌ. يقالُ: كلامُ فلانٍ مسموعٌ. والسُّلطانُ يسمعُ قولَ فلانٍ. فَيُتبعُونَ الوصفَ بالسَّماعِ.

ويُستعمَلُ ـ في اللُّغةِ أيضاً ـ ردُّ الجوابِ على ثلاثةِ أوْجُهٍ:

في ردِّهِ بالكلامِ.

وفي فعلِ ما تضمَّنهُ السُّؤالُ، كالَّذي[٤] يسألُ غيرَهُ فعلاً، فيفعلُ المسؤولُ ما تضمَّنهُ سؤالُهُ، فيقالُ: قد أجابهُ، وإن لم يتكلَّم.

وفي[٥] فعلِ ما يقتضِيهِ الحالُ من الأفعالِ. وهذا مثلُ قولِ الحاجِّ عندَ الاستلامِ[٦]: أمانتي أدَّيتُها، وميثاقي تعاهدُتهُ، لتشهدَ ليَ بالموافاةِ غداً. مودِّعاً للهِ ـ تعالى ـ وخطاباً لهُ، وهوَ المستمعُ لهُ، والمُجازي بهِ. وإنَّما أضافهُ إلى الحجرِ، لأنَّهُ عَمَلٌ عندَهُ، وعبادةٌ فيهِ، وقربةٌ إلى اللهِ بهِ. فكأنَّه قالَ: أمانتي في استلامكَ أدَّيتُها.

---

(١) في (هـ): إنَّما أنا...

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يصل. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) في (هـ): تحصل.

(٤) العبارة: «كالذي يسأل... سؤاله» ساقطة من (أ).

(٥) في (هـ): في. من دون الواو.

(٦) في (أ): الإسلام.

ومعنى: «لِتشهد ليَ بالموافاةِ». أي: ليكونَ عملي ـ عندكَ ـ شاهداً / ٣٢/ ـ عند الله ـ تعالى ـ لموافاتي بما ندبتُ إليهِ منَ العبادةِ، المتعلّقةِ بكَ، المفعولةِ فيكَ.

وأمّا قولُ الزّائرِ[١] لمشاهدِ الأئمّةِ: أشهدُ أنّكَ تسمعُ كلامي، وتردُّ جوابي. فيكونُ معنى ذلكَ: قبولَ الله ـ تعالى ـ دعاءَ زَائِرِهِم[٢]، وإجَابةَ مسَائِلِهِم. فصارَ قبولُهُ ـ تعالى ـ من أجلِهم، كأنّهُ قَبُولٌ مِنْهُم.

وَيَجْرِي ذلِكَ مَجْرَى قَولِهِم: سَمِعَ اللهُ لمن حَمِدَهُ. في أنَّ معناهُ القبولُ، لا مجرَّدَ[٣] الإدراكِ. ومنهُ قولهُم: خاطبت فلاناً، فما سمعَ كلامي. أي: ما قبلهُ. قَالَ الشاعرُ[٤]:

دعوتُ اللهَ حتّى خفتُ ألّا   يكونَ اللهُ يسمعُ ما أقولُ

أي: لا يقبلُ.

وغيرُ منكرٍ أن يكونَ الله ـ تعالى ـ بَلّغَهُم دُعاءَ زائرِهم[٥]، فَيسمعونهُ على الحقيقةِ. وقد صحَّ بإجماعِ الطّائفةِ المُحِقّةِ، والأخبَارِ المتواترةِ: أنّهم ـ بعد وفاتِهم ـ

(١) انظر مفاتيح الجنان: ٣٤٩، ٤١٧.

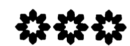
(٢) في (أ): إبراهيم.

(٣) في (ك): محرّر، بالحاء المهملة.

(٤) النّوادر: ٣١٨ منسوباً إلى شُمير بن الحارث. الزّاهر: ١: ١٥٤. الأضداد: ١٣٧ أمالي المرتضى: ١: ٦٠٣. لسان العرب «مادّة ـ سمعَ».

(٥) في (أ): إبراهيم.

بالجِنانِ. وَقَالَ اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ﴾[1]. وهذا في الشُّهداءِ، فكيفَ في الأوصياءِ؟ وقولُ النَّبيِّ[2] ـ عليه السلام ـ: من صلَّى عليَّ ـ عند قبري ـ سَمِعْتُهُ، ومن صلَّى ـ عليَّ ـ في أقطارِ الأرضِ، بُلِّغْتُ.



(١) آل عمران: ١٦٩، ١٧٠.

(٢) سنن أبي داود: ١: ٤٧١ باختلاف اللفظ. أوائل المقالات: ٨٩. شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٣٤. تاريخ بغداد: ٣: ٢٩٢. باختلاف يسير في اللفظ.

فصل [ـ ٢٥ ـ]

[في خلق القرآن]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿ما يأْتيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾[1].

تكلَّمَ النَّاسُ في القرآنِ، فقالتِ الكَفرةُ: ﴿هذا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[2]. فشاركهُم فيهِ المجبرةُ.

وقال[3] المشركونَ: ﴿إِنْ هذا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾[4]، فوافقهم المعتزلةُ في اللَّفظِ.

وقالت الزَّنادقةُ[5]: ﴿إِفْكٌ افْتَراهُ﴾[6]. فتبعهُم الصِّفاتيَّةُ[7]، إذ[8] قالوا:

---

(١) الأنبياء: ٢.

(٢) الأحقاف: ١١.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): قالت. معَ تاء التأنيث الساكنة.

(٤) ص: ٧.

(٥) في (أ) الزيادة. وهو تحريف.

(٦) الفرقان: ٤.

(٧) مقالات الإسلاميين: ٢: ٥٩٠ ـ ٥٩٣.

(٨) في (ش) و(أ): إذا، وفي (ك): إذاً.

ليسَ في المصحفِ، قرآنٌ، وإنَّما القرآنُ، قائمٌ بذاتِ الباري.

وَقَالَ اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾[١]، فاعتقدهُ الإماميَّةُ[٢].

و«الذِّكرُ»: القرآن، قولهُ[٣] في عقبهِ: ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ﴾[٥]، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾[٦].

والمُنزَلُ المحفوظُ، لا يكونُ إلَّا محدَثاً، لأنَّ القديمَ، لا يُنزَلُ، ولا يحتاجُ إلى حفظهِ. وقد سمَّاهُ اللهُ ـ تعالى ـ في المصحفِ، بمائةِ اِسمٍ ـ سَأَذْكُرُها في «أسبابِ نزُولِ القرآنِ»[٧] ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ، كلُّ اسْمٍ يَدلُّ على حدوثِهِ، مِنْهَا:

﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[٨]، ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ﴾[٩]، ﴿إِنَّ

---

(١) الأنبياء: ٢.

(٢) في (أ): والإماميَّة. ورأي الإمامية هذا في: الاحتجاج: ٢: ١٨٥. نور الثقلين: ٣: ٤١٣ عن الرضا (ع).

(٣) في (ح): لقوله.

(٤) الأنبياء: ٢.

(٥) الأنبياء: ٥٠.

(٦) الحجر: ٩.

(٧) «أسباب نزول القرآن» كتاب للمؤلِّف تقدَّمَ ذكرهُ في كتابهِ هذا وذكرهُ في كتابهِ: «معالم العلماء»: ١٠٦.

(٨) البقرة: ١٨٥.

(٩) الإسراء: ١٠٦.

عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[١]، ﴿أَنزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ﴾[٢]، ﴿وَكِتابٍ مَسْطُورٍ﴾[٣]. عباراتٌ عن الجمعِ، والجمعُ اِنضمامُ الشَّيءِ إلى غيرِه.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللهِ﴾[٤]، ﴿قادِرٌ عَلى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾[٥]، ﴿وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً﴾[٦]. المنزَّلُ لا يكونُ قديماً، والتَّنزيلُ: إنزالُ شيءٍ، بعدَ شيءٍ، وهوَ من صفاتِ المحدثِ.

﴿إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً﴾[٧]، ﴿وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ﴾[٨]، ﴿وَكانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾[٩]. والمجعول[١٠]: المفعولُ، هوَ المحدَثُ.

﴿نَزَّلَ الْفُرْقانَ﴾[١١]، ﴿وَقُرْآناً فَرَقْناهُ﴾[١٢]، ﴿أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ

---

(١) القيامة: ١٧.

(٢) الكهف: ١.

(٣) الطور: ٢.

(٤) الأحقاف: ٢.

(٥) الأنعام: ٣٧.

(٦) الكهف: ١٠٦.

(٧) الزّخرف: ٣.

(٨) الشورى: ٥٢.

(٩) النّساء: ٤٧.

(١٠) في (أ): المجهول.

(١١) الفرقان: ١.

(١٢) الإسراء: ١٠٦.

الْكِتابَ﴾[١]. مفصّلاً لنزولِهِ متفرِّقاً.

﴿ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها﴾[٢]، ﴿آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ﴾[٣]. النَّاسخُ، والمنسوخُ، والمحكمُ، والمتشابهُ، كيفَ يكونُ قديماً؟

﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾[٤]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾[٥]. القولُ لا يقدَّمُ على قائلِهِ، ولا يقارنهُ[٦]، بل يكونُ بحسبِ اِختيارِهِ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي﴾[٧]، ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي﴾[٨]، ﴿تُتْلى عَلَيْكُمْ﴾[٩]. الرِّسالةُ، والتِّلاوةُ، وإعطاءُ السَّبعِ المَثاني، دلالةٌ على حُدُوثِهِ.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[١٠]، الإلقاءُ، والثِّقلُ من صفاتِ الحدوثِ.

---

(١) الكهف: ١.

(٢) البقرة: ١٠٦.

(٣) آل عمران: ٧.

(٤) الطَّارق: ١٣.

(٥) النساء: ١٢٢.

(٦) :يُقارِنُهُ: يصاحبهُ.

(٧) الحجر: ٨٧.

(٨) الأعراف: ٦٢.

(٩) آل عمران: ١٠١.

(١٠) المزمِّل: ٥.

﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾[١]، ﴿بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[٢]. والعربيُّ من زمنِ إسماعيلَ، والعربيَّـةُ محدثةٌ[٣]، ومن زعمَ أنَ اللهَ عربيٌّ، كفرَ. وما كان غيرَ اللهِ، فهو محدَثٌ.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ﴾[٤]، دلالةٌ على حدوثِهِ.

﴿مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾[٥]. وَصَفَهُ بالرِّفعةِ، والطَّهارةِ، وأنَّه بأيدي سفرةٍ.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[٦]. فلو كان[٧] قديماً، لكانَ قبلَ اللَّوحِ.

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتابٍ﴾[٨]. وَصَفَهُ بأنَّه إنَّما يظهرُ بالقراءةِ، والكتابةِ.

﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْـمُطَهَّرُونَ﴾[٩]. القديمُ لا يُمَسُّ.

---

(١) يوسف: ٢. وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

(٢) الشعراء: ١٩٥.

(٣) في (أ): محدث.

(٤) آل عمران: ١٠٣.

(٥) عبس: ١٤، ١٥.

(٦) البروج: ٢١، ٢٢.

(٧) العبارة: «فلو كان قديماً لكانَ» ساقطة من (أ).

(٨) النَّمل: ١.

(٩) الواقعة: ٧٩.

﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً﴾[١]. يدلُّ على حدوثهِ من حيثُ أنَّه كلَّمَ[٢] موسى خاصَّةً، دونَ غيرهِ من الأنبياءِ، وكلَّمهُ في وقتٍ دونَ وقتٍ، ولو كانَ قديماً، لم يكن ـ في ذلك ـ اِختصاصٌ.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾[٣]. في الآيةِ[٤] دلالةٌ على أنَّه محدثٍ، لأنَّه وَصَفَهُ بالتَّمامِ، والعدلِ، وذلكَ لا يكونُ إلَّا حادثاً.

﴿وَهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ﴾[٥]. وصفهَ بالإنزالِ، وبأنَّه مباركٌ يُتبَرَّكُ بهِ، وذلكَ من صفاتِ / ٣٣/ المحدَثاتِ.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾[٦]. بيَّنَ أنَّ لَهُ مِثْلاً.

﴿مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرى﴾[٧]. يدلُّ على أنَّه حادثٌ، لأنَّ القديمَ، لا يكونُ[٨] حديثاً.

---

(١) النساء: ١٦٤.

(٢) في (أ): تكلَّم.

(٣) الأنعام: ١١٥.

(٤) في (أ): في الآية في دلالة.

(٥) الأنبياء: ٥٠.

(٦) الطُّور: ٣٤.

(٧) يوسف: ١١١.

(٨) في (ش): لا يكون له حديثاً.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى﴾[١]. بيَّنَ أنَّ[٢] له أوّلاً.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[٣]. ذكرَ أنَّ لهُ آخرَ.

أميرُالمؤمنين ـ عليه السلام ـ: وإنَّما كَـلامُهُ ـ سُبحانَهُ ـ فعـلٌ منـهُ، أنشأَهُ، لم يكُنْ ـ من قبلِ ذلكَ ـ كائناً، ولو كان قديماً، لكانَ إلهاً ثانياً.

عمرانُ[٤] بنُ الحصينِ: قَالَ النَّبيُّ ـ عليه السلام ـ[٥]: كانَ اللهُ، ولا شيءَ، ثمَّ خلقَ الذِّكرَ، وإنَّه ليسَ ـ فيما خلقَ اللهُ ـ شيءٌ أعظمُ من آيةٍ في سورةِ البقرةِ: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾[٦].

وكتبَ عليٌّ[٧] بنُ محمَّدٍ التَّقيُّ ـ عليه السلام ـ إلى بعضِ شيعتهِ ببغدادَ: بسم الله الرحمن الرَّحيم. عَصمنَا اللهُ وإيَّاكَ منَ الفتنةِ، فـإن تفعـلْ فبِها ونِعـمَتْ، وإن لم تفعل، فهيَ الهَلَكةُ. نحنُ نرى أنَّ الجدالَ في القرآنِ، بدعةٌ، إشتركَ فيها السَّائلُ، والمجيبُ، فتعَاطَى السَّائلُ ما ليسَ لهُ، وتكلَّفَ المجيبُ ما ليسَ عليهِ. وليسَ

---

(١) هود: ١٧.

(٢) (أنَّ) ساقطة من (هـ).

(٣) الأعراف: ١٨٥.

(٤) صحيح مسلم: ٢: ١٩٩. سنن أبي داود: ١: ٣٣٧ بلفظ مختلف عن أبي بن كعب. صحيح الترمذي: ١١: ١٥ عن عبدالله بن مسعود. تاريخ بغداد: ١: ٣٤٦.

(٥) في (أ): صلَّى الله عليه وآلهِ.

(٦) البقرة: ٢٥٥.

(٧) التوحيد: ٢٢٤. باختلاف يسير في اللفظ. أمالي الصَّدوق: ٤٨٩.

الخالقُ إلَّا اللهَ، وما سواهُ، مخلوقٌ. فالقرآنُ، كَلامُ اللهِ، لا تَجْعَلْ له اِسماً[١] من عندِكَ، فتكُونَ من الضَّالِّينَ. جَعَلَنا اللهُ، وإيَّاكَ من الَّذينَ يخشونَ ربَّهم بالغيبِ، وهم من السَّاعةِ، مُشفقونَ.

سُئِلَ الصَّادقُ[٢] ـ عليه السلام ـ عن القرآن، فقالَ:

كلامُ اللهِ، وقولُ اللهِ، ووحيُ اللهِ، وكتابُ اللهِ، وتنزيلُهُ، وهوَ الكتابُ العزيزُ، الَّذي لا يأتيهِ الباطلُ من بينِ يديهِ، ولا من خلفهِ، تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ.

الرِّضا[٣] ـ عليه السلام ـ: القرآنُ كلامُ اللهِ، لا تتجاوزوهُ، ولا تطلبوا الهدى من غيرهِ، فتضلُّوا.

وسُئِلَ زينُ العابدينَ[٤] ـ عليه السلام عنِ القرآن، فقالَ ـ عليه السلام ـ: ليسَ بخالقٍ. ولا مخلوقٍ. وهو كلامُ[٥] الخالقِ. بيتٌ[٦]:

---

(١) في (أ): أسماء.

(٢) التوحيد: ٢٢٤. أمالي الصَّدوق: ٤٨٨.

(٣) التَّوحيد: ٢٢٤. عيون أخبار الرِّضا: ٢: ٥٦. أمالي الصَّدوق: ٤٨٩. وبعض الخبر في تفسير العَيَّاشي: ١: ٦، ٨.

(٤) التَّوحيد: ٢٢٣ وفيه: عن الرِّضا (ع). أمالي الصَّدوق: ٤٨٨. وفيه: عن الرضا (ع) أيضاً. تفسير العَيّاشي: ١: ٦ـ ٧ عن الباقر (ع). الدر المنثور: ٧: ٢٢٤ عنه (ع). وفي الأسماء والصفات: ٢٤٦، ٢٤٧ منسوب إلى جعفر بن محمد الصادق (ع).

(٥) في (أ): الكلام.

(٦) لم تقف على قائله ولا مورد أخذه.

كـــــــلامُ ربِّي لا يُمارُوْنَـــــــــهُ   لـــيسَ بمخلُـــوقٍ، ولا خَـــالقِ

الصَّاحبُ[1]:

قالت: فما القـولُ في القـرآنِ؟ سُـقْهُ لنـا   قلـتُ: القـرآنُ كـلامُ اللهِ أيـنَ[2] تُـلي

قالـت: فـأينَ دليـلُ الخلـقِ فيـهِ؟ أبـن   فقلـتُ: تَركيبُـهُ مـن أحـــرُفِ الجُمَـلِ

ولَـهُ[3]:

قـــد جهلـــتْ في قـــدمِ القـــرآنِ   كمثـــلِ جهـــلِ عابـــدِ الأوثـــانِ

قالـــت : قـــديمٌ ، ليـــس بـــالرَّحمنِ   فـــصارَ هـــذا كقديـــمٍ ثـــاني

✿✿✿

---

(١) ديوان الصاحب بن عبَّاد: ٤١. وفيه: فَقُلْتُ ذاك كَلامُ اللهِ أينَ تُلي.

(٢) في (ك): وأينَ.

(٣) أخلَّ بهما ديوانه المطبوع، بتحقيقِ: الشَّيخ محمد حسن آل ياسين.

فصل [ـ٢٦ـ]

[في كون القرآن محدثاً]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ...﴾ الآية[1].

الظَّاهرُ يقتضي أنَّه يريدُ ـ أوَّلاً ـ بقول: «كُن»، لما لم يُرِدْهُ. وإذا كَانَ كـذلِكَ، فالإرادَةُ مُتقدِّمةٌ عليهِ، وما تقدَّمَ عَليهِ غيرُهُ، فَهو محدَثٌ. أبو سعد الآبي[2]:

أنـــزَلَ ذِكْـــراً مُحْـــكَماً كَـــرِيمَا ولا يكـــونُ مُنْـــزَلٌ قَـــدِيمَا[3]

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُـنْ فَيَكُـونُ﴾[4]، وقولـه: ﴿إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ...﴾ الآية[5].

---

(١) النَّحل: ٤٠ وتكملة الآية في (هـ): ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

(٢) هو الوزير أبو سعد منصور بن الحسين الآبي.

(٣) لم تقف على مورد أخذه.

(٤) مريم: ٣٥.

(٥) النَّحل: ٤٠.

فـ«كُنْ» مُستقبلٌ. وإذا كانَ مستقبلاً، إنَّما يوجدُ في الاستقبالِ، دونَ الماضي، وذلكَ يُوجِبُ حُدوثَهُ. والظَّاهرُ يدلُّ على أنَّه مُحْدَثٌ، القولُ الَّذي هوَ الأمرُ، بأن نقولَ: كُن. وقد قضاهُ. والكافُ متقدِّمةٌ على النَّونِ، والنُّونُ متأخِّرةٌ عنها. والتَّقديمُ، والتَّأخيرُ، دليلُ الحدوثِ، ولو كانت إرادتُهُ قديمةً.

وقوله: «كُنْ» ـ قديماً ـ وجبَ أن يكونَ المرادَاتُ حاصلةً في القدمِ، أو متأخِّرةً عنهُ. وأفعالُهُ: ماضٍ، وحالٌ، واستقبالٌ. اِبنُ علَّويه[1]:

جلَّ[2] المهيمنُ أن يُحَدَّ بمنطقٍ[3] ... وتوهُّمٍ بكَهَانَةِ الكُهَّانِ
أو أن يُبعَّضَ أو يقالَ: كلامُهُ ... يَجْري بصوتٍ من فمٍ ولسانِ

***

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها﴾[4].
فيهِ دليلٌ على: أنَّ القرآنَ، غيرُ الله، وأنَّ اللهَ، هوَ المحدِثُ لهُ، والقَادِرُ عَلَيهِ، لأنَّ مَا كانَ بَعضُهُ جُزْءاً من بعضٍ، فهو غيرُ الله، لا محالةَ[5].

---

(١) لم نقف على مورد أخذه.

(٢) في (أ): حلَّ. بحاء مهملة.

(٣) في (هـ): بِمنطِقاً.

(٤) البقرة: ١٠٦.

(٥) في (ك): لا محادة.

وفيها دليلٌ[١] على أنَّ اللهَ قادرٌ عليهِ، وما كان داخلاً تحتَ القدرةِ، فهو فعلٌ. والفعلُ لا يكونُ إلَّا مُحْدَثاً، وإنَّه لو كانَ قديماً لَـمَا صحَّ[٢] وجودُ النَّسخِ فيهِ، لأنَّه إذا كانَ الجميعُ حاصلاً فيما لم يزل، فليسَ بعضُهُ بأن يكونَ ناسخاً، والآخرُ منسوخاً، بأَوْلَى منَ العكسِ.

***

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[٣].

الظَّاهرُ يُوجِبُ كَونَ الخلقِ، والأمرِ، لهُ، ولا يصحُّ كونُ القديمِ لـهُ[٤]، لأنَّ القديمَ، لا يصحُّ فيهِ المُلْكُ، والخلقُ غيرُ الأمرِ، لأنَّه يقالُ: خالقٌ. لِـمَا ليسَ بفاعلٍ كما قالَ[٥]:

ولأنتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وبعضُ الخلقِ[٦] يخلقُ ثمَّ لا يَفْري

فصحَّ أنَّ الأمرَ، غيرُ الخلقِ، ويكونانِ مخلوقينِ.

---

(١) في (هـ): دلالة.

(٢) في (أ): يصُحّ.

(٣) الأعراف: ٥٤.

(٤) العبارة: «له لأنَّ القديم» ساقطة من (أ).

(٥) هو زهير بن أبي سلمى. انظر شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة ثعلب: ٩٤ وفيه: بعض القوم.

(٦) في (أ): الخالق.

والأمرُ[١]، لفظةُ: «اِفعلْ». وهذا لا بدَّ من أن يكونَ حادثاً، لتقدُّمِ بعضِ الحروفِ على بعضٍ، وَتَواتُرِ حُدوثِهَا[٢]. وبمعنى العملِ. وهذا ـ أيضاً ـ حادثٌ.

وإثباتُ أمرٍ غيرِ معقولٍ، محالٌ. ولو كانَ قديماً، لم يكنِ اللهُ بهِ، آمراً، لأنَّه يَصِيرُ بهِ فاعلاً، ولو صارَ بهِ آمراً، لجعلَ جميعَ المأمورينَ، مأمورينَ، وإن كانوا معدومينَ.

وما قالتِ المُجبرةُ[٣] ـ في هذهِ الآيةِ ـ: إنَّه أفردَ الأمرَ بالذِّكرِ، بعدَ ذكرهِ الخلْقَ، دلَّ على أنَّ الأمرَ ليسَ بمخلوقٍ، باطلٌ لقولهِ: ﴿مَنْ كانَ عَدُوّاً لله وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكالَ﴾[٤].

ولو كانَ الأمرُ كذلكَ، لوَجبَ ألَّا يكونَ جبريلُ، وميكالُ من الملائكةِ. ونظيرهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾[٥].

***

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[٦].

الظَّاهرُ: أنَّه أنزلَ الجميعَ فيهِ، وقد أَنْزَلهُ في عدَّةِ أوقاتٍ؟

---

(١) في (أ): هي الأمر.

(٢) في (ح): حذفها.

(٣) مقالات الإسلاميين: ٢: ٦٠٢.

(٤) البقرة: ٩٨.

(٥) الأحزاب: ٧.

(٦) البقرة: ١٨٥.

فالجوابُ: إنَّه أنزلهُ جملةً واحدةً إلى سماءِ الدُّنيا في شهرِ رمضانَ، ثـمَّ فـرَّقَ إنزالَهُ بعدَ ذلكَ بحسبِ ما تدعو الحاجةُ إليهِ.

وقَالُوا: أُنزِلَ في فرضهِ، وإيجابِ صومهِ على الخلقِ، فيكونُ فيـهِ معنـى: في فرضهِ. كقولِ القائلِ: أنزلَ اللهُ في الزَّكاةِ كذا، وكذا. يريدُ: في فرضها. وأنـزلَ اللهُ في الخمرِ: كذا، وكذا. أي: في تحريمها. والصَّحيحُ: إنَّ قوله: «القرآن» ـ في هـذا الموضعِ ـ لا يفيـدُ العمـومَ، والاستغراقَ، وإنَّـما يفيـدُ الجنسَ مـن غـيرِ معنـى الاستغراقِ. فكأنَّه ـ تعالى ـ قالَ: شَهْرُ رَمَضانَ الَّـذِي أُنْـزِلَ فِيـهِ كـلامٌ مـن هـذا الجنسِ. فأيُّ شيءٍ، نزلَ منهُ، في الشَّهرِ، فقد طابقَ الظَّاهرَ.

***

قولـهُ ـ سـبحانه ـ: ﴿كِتابـاً مُتَـشابِهاً مَثـانِيَ﴾[١]، وقولـه: ﴿وَأُتُـوا بِـهِ مُتَشابِهاً﴾[٢].

مجازُ الآيةِ: ليسَ على أنَّه متشابهٌ في لونٍ، أو طعمٍ، بل في الفَضْلِ. كما تقولُ: ما أدري ما أختارُ من هذهِ الثِّيابِ. كلُّها ـ عندي ـ فاضلٌ[٣].



---

(١) الزُّمر: ٢٣.

(٢) البقرة: ٢٥.

(٣) في (ش): فاصل.

فصل [ـ٢٧ـ]

[في معنى كون الله هو الغنيّ]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(١)، ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾(٢)، ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾(٣)، ﴿وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَراءُ﴾(٤).

وَقَالَ عَبْدُالملكِ بنُ أبي العوجاءِ، للطَّاقيِّ(٥): أتزعمُ أنَّه غنيٌّ؟ قال: نعم.

قال: أيكونُ الغنيُّ ـ عِنْدَكَ ـ في المعقولِ في وقتٍ منَ الأوقاتِ، ليسَ عندهُ ذهبٌ ولا فضَّةٌ؟

قال: إن كانَ غنيّاً من قبلِ ذهبِهِ وفضَّتِهِ، وتجارتِهِ، فهذا كلُّ ما يتعاملُ

---

(١) لقمان: ١٢.

(٢) فاطر: ١٥.

(٣) الأنعام: ١٣٣.

(٤) محمّد: ٣٨.

(٥) في (ك): للطائي. بالثاء المثلثة بعد الألف.

النَّاسُ بِهِ، منهُ. فأيُّ القياسِ، أكثرُ، وأولى من أن يقالَ: غنيٌّ مـن أحـدثَ الغنـى، فأغنى بِهِ النَّاسَ، قبلَ أن يكونَ شيءٌ، أو من أفادَ مالاً في هبةٍ، أو تجارةٍ؟

فقال: هذا من كلام أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ.

***

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾[١].

يكونُ مجازاً في اللُّغةِ، لأنَّ حقيقتَهُ، أن يُستعملَ للحاجةِ، واللهُ ـ تعالى ـ هـو الغنيُّ، ولا يجوزُ أن يملكَ اللهُ ـ تعالى ـ، لأنَّه مالكُ الأشياءِ من غَيرِ تَمليكٍ، ولأنَّ المالكَ، لا يملكُ ما هوَ مالكُهُ[٢]، فيكونُ ذكرُ القرضِ في صفةِ اللهِ ـ تعالى ـ تلطُّفـاً في الاستدعاءِ إلى الإنفاقِ في سبيل اللهِ، وهو كالقرضِ، في مثلِهِ معَ أضعافهِ.

وقولُهُ: ﴿يُضاعِفْهُ لَكُمْ﴾[٣]. أي: يضاعف ثوابهُ لكم بأمثالِهِ.

وقال[٤] متكلِّمٌ: ما سوى اللهِ، إمَّا جسمٌ، أو عـرَضٌ. فالجسمُ مُفتقـرٌ إلى الكونِ، لا يوجدُ إلَّا معهُ. والعَرَضُ مفتقرٌ إلى الجسمِ، لا يوجدُ إلَّا فيهِ. فالأشياءُ، كلُّها مفتقرةٌ، مُحتاجةٌ، واللهُ، الغنيُّ وحدَهُ. اِحتاجَ اِثنانِ إلى واحـدٍ ليـصيرَ ثلاثـةً،

(١) البقرة: ٢٤٥. الحديد: ١١.

(٢) في (أ): ماله.

(٣) التَّغابن: ١٧.

(٤) لم أقف على اسمه ولا مظنَّة كلامه.

وهكذا الثَّلاثةُ، والأربعةُ، وسائرُ الأعـدادِ. والواحـدُ لا يحتـاجُ إلى آخـرَ ليـصيرَ واحداً، فالخلقُ كلُّهم مُحتاجونَ إلى الله، وهوَ الغنيُّ عنهم.

بعضُ الصَّادقينَ[1] ـ عليهم السلام ـ: ومنَّ بـالنِّعمِ أوَّلاً بِجُـودِهِ، وجـزاءاً بعدلِهِ، وثَوَاباً بِلُطْفِهِ.

وقد بيَّنَ اللهُ ـ تعالى ـ أنَّه مريدٌ، وكارهٌ في آياتٍ، منها قولهُ: ﴿وَاللهُ يُرِيـدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[2]، ﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾[3]، ﴿يُرِيـدُ اللهُ بِكُـمُ الْيُسْرَ﴾[4]، ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[5]، ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[6]، ﴿إِنَّـما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[7]. وَقَالَ ـ تعالى ـ: ﴿وَلكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعاثَهُمْ﴾[8]، ﴿كُلُّ ذلِكَ كانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهـاً﴾[9]، ﴿وَلكِـنَّ اللهَ حَبَّـبَ إِلَيْكُمُ الإِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ﴾[10].

---

(١) المقصود بهم الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام).

(٢) النساء: ٢٧.

(٣) النساء: ٢٨.

(٤) البقرة: ١٨٥.

(٥) النساء: ٢٦.

(٦) البقرة: ١٨٥.

(٧) الأحزاب: ٣٣.

(٨) التَّوبة: ٤٦.

(٩) الإسراء: ٣٨.

(١٠) الحجرات: ٧.

فمن المعلومِ أنّه لا يحبّبُ إلّا ما يحبُّهُ، ولا يكرهُ إلّا ما يكرهُهُ[١]، وأنّه إذا لطفَ في تحبيبِ الإيمانِ بألطافهِ، دلَّ على ما نقوله[٢] في اللُّطفِ.

***

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتى وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾[٣].

يدلُّ على أنَّ إرادةَ الله، محدَثةٌ، لأنَّ الاستثناءَ، يدلُّ على ذلكَ، لأنَّها لو كانت قديمةً، لم يَجُزْ هذا الاستثناءُ، كما لا يجوز أن يقولَ القائلُ: لا يدخلُ زيدٌ في الدَّارِ، إلَّا أن يقدِّرَ اللهُ، أو إلَّا أن يَعْلَمَ اللهُ. لحصولِ هذهِ الصِّفاتِ فيما لم يزل.

***

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَهُوَ عَلى جَمْعِهِمْ إِذا يَشاءُ قَدِيرٌ﴾[٤].

يدلُّ على حدوثِ المشيئةِ، لأنّه لا يجوزُ إذا قَدَرَ عَلَى شَيءٍ، فَعَلَهُ. وَيَجُوزُ إذا يَشاءُ أنْ يَفْعَلَ فَعَلَهُ.

***

(١) في (هـ): أكرهه.

(٢) في (أ): نقول. من دون الضمير (الهاء).

(٣) الأنعام: ١١١.

(٤) الشورى: ٢٩.

فصل [ـ ٢٨ ـ]

[في تنزيهِ الله عن الجسميّةِ]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[١]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٢]، وقولهُ: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ﴾[٤].

المرادُ بها الإخبارُ عن كونهِ ـ سبحانهُ ـ عالماً أبداً، بخفيٍّ[٥] أحوالِنا وأسرارِنا.

والمعنى: ونحنُ أقرَبُ إليهِ ممَّا يُدْرِكهُ من حبلِ الوريدِ [في القربِ. أي: إنِّي أعلمُ بهِ][٦].

(١) البقرة: ١٨٦.

(٢) ق: ١٦.

(٣) العلق: ١٩.

(٤) الحديد: ٤.

(٥) في (ش): يخفى. بصيغة الفعل المضارع وبياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

وقيلَ: نحنُ أقربُ إليهِ من حبلِ الوريدِ، لو كَانَ مُدْرَكاً.

وقيلَ: نحنُ أملكُ بهِ من حبلِ الوريدِ في الاستيلاءِ عليهِ، وذلكَ أنَّ حبلَ الوريدِ في حيِّزٍ غيرِ حيِّزِهِ، واللهُ ـ تعالى ـ مدرِكٌ بنفسهِ، وما لكٌ لهُ بنَفْسِهِ.

***

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً﴾[1].

معناهُ: قرَّبناهُ من الموضعِ الَّذي شرَّفناهُ، وعظَّمناهُ بالحصولِ فيهِ، ليَسْتَمِعَ كلامَهُ ـ تعالى ـ.

وَقَالَ ابنُ عبَّاسٍ[2]، ومجاهدٌ[3]: قُرِّبَ من أعلى الحُجُبِ، حتَّى سمِعَ صَريرَ القَلَمِ.

وقيلَ: معناهُ أنَّ محلَّهُ ـ منَّا ـ محلُّ من قرَّبهُ مولاهُ من مجلِسِ كرامتِهِ، لأنَّ التَّقرُّبَ[4] منَّا ـ إليهِ، بالطَّاعاتِ ـ طَلَبُ المنزلةِ الرَّفيعةِ عنْدَهُ، بفعلها، لا قُرْبُ المسافةِ، كما يقالُ: فلانٌ قريبٌ من الملكِ. وإن كانَ بينهما بَوْنٌ بعيدٌ، ومنهُ قولهُ: ﴿وَلاَ الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[5].

---

(١) مريم: ٥٢.

(٢) جامع البيان: ١٦: ٩٤ بلفظٍ مختلف. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١١٤.

(٣) جامع البيان: ١٦: ٩٥ بلفظٍ مختلف.

(٤) في (أ) و(ح): التَّقريب.

(٥) النساء: ١٧٢.

ويقالُ: معناهُ، التَّقرُّبُ إلى رحمتِهِ. ومعنى ذلكَ: أن يفعلَ الطَّاعـةَ ليكـونَ ـ بِفِعْلِهَا ـ أقربَ إلى أن يَغْفِرَ لَنَا، وَيَرْحَمَنا.

***

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رابِعُهُمْ﴾[1]، وقولـه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2].

يدلُّ على أنّه ليسَ بجسمٍ، ﴿هَـلْ تَعْلَـمُ لَـهُ سَـمِيّاً﴾[3] أي: مـثلاً. ﴿لَـيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4].

سُئِلَ الصَّادقُ[5] ـ عليه السلام ـ عـن الآية، فقالَ: نورٌ لا ظُلمةَ فيهِ، علـمٌ لا جهلَ فيهِ، حياةٌ لا موتَ فيهِ.

وسُئِلَ أبو جعفرٍ[6] الثَّاني ـ عليه السلام ـ: أيجوزُ أن يقالَ لله ـ تعـالى ـ: إنَّـه شيءٌ؟

---

(١) المجادلة: ٧.

(٢) الحديد: ٤.

(٣) مريم: ٦٥.

(٤) الشورى: ١١.

(٥) التَّوحيد: ١٣٧، ١٣٨. عن الصادق، والرِّضا، والباقر ـ عليهم السلام ـ.

(٦) الكـافي: ١: ٨٢، ٨٥. التَّوحيـد: ١٠٧. معـاني الأخبـار: ٨ ـ ٩ وفيهـا: «وحـدِّ التَّعْطِيـل». وفي الاحتجاج: ٢: ٢٣٨ ما يطابق رواية كتابنا.

فقال ـ عليه السلام ـ: نعم! تُخرِجهُ عن حدِّ الإبطالِ، وحدِّ التَّشبيهِ.

اِبنُ حمَّاد[١] :

وقالوا: لـهُ مثـلُ أوصافِنا فقـد صـوَّروهُ، وقـد جسَّمُوهْ

فـما عَرفـوهُ ولا عَبَـدُوهُ ولا وَقَّـروهُ ولا عَـزَّرُوهْ[٢]

العوني[٣] :

جـلَّ مـن لـيسَ لـهُ شـبهٌ عظـيمُ الأعظمينـا

فهـو شيءٌ لـيسَ كالأشـياءِ ممَّـا تزعمونـا

***

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللهُ﴾[٤].

في الآية: دلالةٌ على من قال: لا يوصفُ ـ تعالى ـ[٥] بأنَّه شيءٌ، لأنَّه لو كـانَ ـ كما قَالَ ـ لما كانَ ـ للآيةِ ـ معنىً. كما أنَّه لا يجوزُ أن يقولَ القائـلُ[٦]: أيُّ النَّـاسِ،

(١) (اِبن حمَّاد) ساقطة من (هـ).

(٢) لم نقف على المورد الذي أخذه منه.

(٣) لم نقف على مورد أخذهِ.

(٤) الأنعام: ١٩.

(٥) (تعالى) سقطت من (ح).

(٦) في (ش): للقائل. مع حرف الجرّ (اللّام).

أصدق؟ فيُجابُ بجبريلَ. لَمّا لم يكن من جملةِ النَّاس، بل كانَ منَ الملائكةِ.

وَقَالَ أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ: قولُهُ، فِعلُهُ، من غيرِ مُباشرةٍ، وتفهيمُهُ من غيرِ ملاقاةٍ، وهدايتُهُ من غيرِ إيماءٍ، وكلامُهُ من غير آلةٍ، ونيَّتُهُ من غيرِ اعتقادٍ، وجهُهُ، حيثُ توجَّهتَ، وقصدُهُ، حيثُ يممَّتَ، وطريقُهُ حيثُ استقمتَ. منكَ يفهمُكَ، وعنكَ يَعْلَمُكَ. ارتبطَ كلُّ شيءٍ بضدِّهِ، وَقَطَعَهُ بحدِّهِ. ما تُخُيِّلَ، فالتَّشبيهُ لهُ مقارنٌ، وما تُوهِّمَ، فالتَّنزيهُ لهُ مُباينٌ.

وَقِيلَ للصَّادقِ[1] ـ عليه السلام ـ: إنَّ هِشَاماً يَزعمُ أنَّ اللهَ، جسمٌ، لا كالأجسامِ.

فقالَ: قاتلهُ اللهُ! أمَا عَلِمَ أنَّ الجسمَ محدودٌ، أبرأ إلى اللهِ، من هذا القول.

وفي حديث يونسَ[2]: أمَا عَلِمَ أنَّ الجسمَ محدودٌ، مُتناهٍ، وأنَّ المحدودَ المُتناهي، يحتملُ الزِّيادةَ، والنُّقصانَ، وما احتملَ الزِّيادةَ، والنُّقصانَ، كانَ مخلوقاً.

وَقَالَ محمَّدُ بنُ الفَرَجِ[3] البرجمي: كتبتُ إلى أبي الحسنِ ـ عليه السلام ـ أسألهُ عمّا قَالَ هشامُ بنُ الحكمِ، في الجسمِ، وهشامُ بنُ سالمٍ في الصُّورةِ، فكتبَ ـ عليه السلام ـ: دَعْ عنك حَيْرَةَ الحيرانِ، واستَعِذْ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ، ليسَ القولُ

---

(١) أمالي الصَّدوق: ٢٤٦ باختلاف في اللفظ يسير. الاحتجاج: ٢: ١٥١ التوحيد: ١٠٠ في جملة بيان.

(٢) الكافي: ١: ١٠٦ الحديث بتمامهِ ونصِّهِ. التَّوحيد: ٩٩. في جملة حديث.

(٣) الكافي: ١: ١٠٥. التوحيد: ٩٧. أمالي الصّدوق: ٢٤٦. وفيها: محمد بن الفرج الرُّخجي.

ما قَالَ الهِشَامَانِ. قالوا: فَرَجِعْنَا عَنْ مَقَالِـهِما.

الصَّاحبُ[١]:

قالـت: فهـل هـو ذو شـبهٍ وذو مثـلِ ... فقلتُ: قـد جـلَّ عَـنْ شِـبْهٍ وعـن مَثَـلِ
قالـت: فقُـلْ لي جـسمٌ ذاك أم عـرضٌ ... فقلتُ: بـل خـالقُ الجنسينِ فـانتقلي[٢]
قالـت: ومـا ضرَّ لـو ثبَّتَـهُ جَـسَداً ... فقلـتُ: لاتوجـدُ الأجـسامُ في الأزلِ[٣]

ولهُ[٤] ـ أيضاً ـ:

وآخـرُ قـالَ: اللهُ جـسمٌ مُجَـسَّمٌ ... ولم يـدرِ أنَّ الجـسمَ شيءٌ محـدَّدُ
وأنَّ الَّـذي قـد حُـدّ، لا ريـبَ محُـدثٌ ... إذا ميَّـزَ الأمـرَ اللَّبيـبُ المؤيَّـدُ

غيرهُ[٥]:

عجبـتُ لـذي التَّـشبيهِ كابَـرَ عقلَـهُ ... أمِ العَقْـلُ عنـهُ حـينَ شـبَّه عَـازِبُ[٦]

❃❃❃

(١) ديوان الصَّاحب بن عبَّاد: ٤٠.

(٢) في الديوان: قالت: أبن لي أجسم ذاك...

(٣) في الديوان: قالت: وما ضرَّ لو أثبتهُ...

(٤) ديوان الصَّاحب بن عبَّاد: ٣٢.

(٥) لم نقف على قائله ولا مظنَّة أخذهِ.

(٦) في (هـ) و(أ): عجبتُ لذا...

فصل [ـ ٢٩ ـ]

[في معنى العرش والاستواء]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1].

العرشُ: السَّريرُ. ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[2]، وأصولُ البناءِ: ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾[3]، وما يُسْتَظَلُّ بهِ: ﴿جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾[4]، ومنهُ العريش، والبِناءُ: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[5]، والبَسْطُ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[6]، وقِوامُ الأمْرِ:

[وفيمن سواهم من ملوكٍ وسُوقةٍ] دعائمُ عرشٍ خانهُ الدَّهرُ فانقعرْ[7]

---

(١) طه: ٥.

(٢) النَّمل: ٢٣.

(٣) الحج: ٤٥.

(٤) الأنعام: ١٤١.

(٥) النَّحل: ٦٨.

(٦) هود: ٧.

(٧) قائله: لبيد بن ربيعة العامريّ. انظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ٢١٣. ومنه صدرُ البيتِ

والملكُ ذا عرشٍ[١] تثلَّمَ[٢] جانباهُ[٣]

آخرُ[٤]:

إذا ما بَنُو مَروانَ ثُلَّتْ عروشُها وأودتْ كَما أوْدَتْ إيادٌ وحِمْيَرُ

زهيرٌ[٥]:

تداركتما الأخلافَ قد ثُلَّ عرشُها وذُبيانُ إذ زلَّتْ بأقْدَامِها النَّعلُ

فالعرشُ محدَثٌ، وإنَّه [تعالى][٦] كانَ، ولا مكانَ. وكونهُ في «كانَ» بعدَ «أن لم يَكنْ»، تغيُّرٌ، وكلُّ من تغيَّرَ، فليسَ بقديمٍ[٧].

والعرشُ، محدودٌ، ومحالٌ أن يتكوَّنَ[٨] على المحدودِ، ويمَاسُّهُ ما ليسَ

---

(١) في (ش): ذا وعرشتى. وفي (أ): عرشي. وفي (ح): راوا عرشي.

(٢) في (ك): خانبات.

(٣) لم نقف على قائل البيت ولا تمامه. وهو في كتاب الأساس لعقائد الأكياس: : ٧٦: منسوب إلى رجل من بني كلب برواية:

رأوا عرشي تثلَّم جانباهُ فلمَّا أن تثلَّم أقْودوني

(٤) شرح عقائد الصَّدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٢١. بلا عزو. مجمع البيان: ٢: ٤٢٨ وفيه: «عروشهم» بلا عزو أيضاً، وكذا في البدء والتاريخ: ١: ١٦٦.

(٥) شرح ديوان زهير بن أبي سملى: ١٠٩.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٧) في (أ): بقدم.

(٨) في (هـ): يكون.

بمحدودٍ[1]، وذلكَ منفيٌّ عنِ الله ـ تعالى ـ ويقتضي كونَهُ جِسْماً، إذ ما ليسَ بجسمٍ، يستحيلُ منهُ الكونُ في المكانِ. وكونُهُ جسماً، يوجبُ حدوثَهُ. والكونُ على السَّريرِ ـ بعدَ أنْ لم يكُنْ ـ يكونُ اِنتقالاً، وزوالاً، ويوجبُ أن يكونَ مُحْدَثاً. ونمطُ ما قبلَ الآيةِ، وما بعدها، لا يُشاكلُ تفسيرَها على السَّريرِ، ومتى فُسِّرَ عَلَى الملكِ، يُشاكلُ.

***

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[2]، وقوله: ﴿اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾[3].

الاستواءُ على أقسامٍ: اِستواءٌ في المقدارِ، واِستواءٌ في المكانِ، واستواءٌ في الذَّهابِ، واستواءٌ في الاتِّفاقِ[4]، واِستواءٌ بمعنى الاستيلاءِ، وهو رَاجِعٌ إلى الاستواءِ في المكَانِ.

وَيُلْحَقُ ـ بذلِكَ ـ الاستواءُ بمعنى: الانتصَابِ. يقالُ: اِستوى فلانٌ جالساً، واِستوى قائماً. وبمعنى الرُّكوبِ، قوله: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ

---

(١) العبارة: «بمحدودٍ... ما ليس» ساقطة من (أ).

(٢) طه: ٥.

(٣) البقرة: ٢٩.

(٤) في (ش) و(هـ) و(ح): الانفاق. بنون موحّدة من فوق.

عَلَى الْفُلْكِ﴾[(١)]، وبمعنى: تساوي الأجزاءِ المؤلَّفةِ. تقول: اِستوى الحائطُ، وبمعنى: التَّساوي في الأمرِ. قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾[(٢)].

قال الشَّاعرُ[(٣)]:

قَد اِستوى ظالمُ العشيرةِ

وهذه كلُّها من صفاتِ الأجسامِ، لا تجوزُ[(٤)] على الباري ـ تعالى ـ.

والَّذي يُحقَّقُ في تأويلِهِ، ما قَالَ ابنُ عبَّاسٍ[(٥)]، والحسنُ[(٦)]: اِستوى[(٧)] أمرُهُ، ولطفُهُ، وصَعَدَ إلى السَّماءِ، لأنَّ أوامرَهُ، وقضاياهُ، تنزلُ منها إلى الأرضِ.

الجبَّائي[(٨)]: أي: اسْتَوى[(٩)] عَلَيهِ بأن[(١٠)] رفعَهُ.

---

(١) المؤمنون: ٢٨.

(٢) القصص: ١٤.

(٣) لم نقف على تمام البيت ولم نعرف قائله.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): يجوز. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) مجمع البيان: ١: ٧١. الأسماء والصِّفات: ٤١٣ . الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٥٤.

(٦) مجمع البيان: ٢: ٤٣٨، ٥: ٦.

(٧) في (ش): واستوى. مع الواو.

(٨) مجمع البيان: ٢: ٤٣٨.

(٩) في (هـ): اِستولى.

(١٠) في (ح): بمعنى رفعه.

الفرَّاءُ[١]، والقاضي[٢] عبدُ الجبَّارِ: أي: قصدَ إليها، فَخلقَها، كما يُقالُ: كانَ فلانٌ مقبلاً على فلانٍ، ثمَّ استوى إليَّ، وعليَّ، يُكلِّمُني. ومرَّ فلانٌ مستوياً إلى موضعِ كذا، ولم يَعْدِلْ. قولُهُ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[٣].

وقيلَ: اِستوى تدبيرهُ، بتقديمِ القادرِ عليهِ.

وقيلَ: اِستوى بمعنى: اِحتوى عليهِ. يقالُ: اِستوى فلانٌ على مالِ فلانٍ، وعلى جميع مُلكهِ.

وَقَالَ الصَّادقُ[٤] ـ عليه السلام ـ: اِستوى من كلِّ شيءٍ، فليسَ شيءٌ أقربَ إليهِ من شيءٍ.

وقِيلَ: أيْ: لفظةُ «الرَّحمنِ» مكتوبٌ على العرشِ.

وقِيلَ: اِستوى عليها بالقهرِ، وخلقهنَّ سبعَ سماواتٍ، وكانَ علوُّهُ عليها، علوَّ ملكٍ، وسلطانٍ، لا علوَّ اِنتقالٍ، وزوالٍ، كقولهِ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾[٥]. أي: تمكَّنَ من أمرهِ، وقهرَ هواهُ بعقلهِ، ثمَّ اِستوى إلى السَّماءِ في نفوذهِ[٦]، وتملُّكهِ لها، ولم يجعلْهَا مُلْكاً لخلقهِ.

---

(١) معاني القرآن: ١: ٦٧.

(٢) متشابه القرآن: ١: ٧٣ ـ ٧٤.

(٣) فصّلت: ١١.

(٤) الكافي: ١: ١٢٧، ١٢٨. معاني الأخبار: ٢٩. الهداية: ٥. التَّوحيد: ٣١٥.

(٥) القصص: ١٤.

(٦) في (ك): نقوده. بالقاف المثنّاة، والدَّال المهملة.

قالَ البعيثُ[1]:

ثـمَّ[2] اِسـتوى بـشرٌ عـلى العـراقِ مـن غـيرِ سـيفٍ ودمٍ مهـراقِ

وقوله: ﴿إلى السَّماءِ﴾، ولا سماءَ هناكَ، لأنَّ خلقَ العرشِ، كانَ بعدَ خلقِ السَّماءِ، كما يقولُ القائلُ: أعملُ هذا الثَّوبَ. وإنَّما معهُ غَزْلٌ.

وَقَالَ قومٌ: إنَّما سواهنَّ سبعَ سماواتٍ، بعدَ أن كانت دُخاناً.

وَقَالَ آخرونَ: استوى بمعنى: اِستوتِ[3] السَّماءُ كما قَالَ الشَّاعر[4]:

أقـولُ لهـا لمَّـا اِسـتوى في تراتـهِ[5] عـلى أيِّ ديـنٍ يقتـلُ النَّـاسَ مـصعبُ

وفائدةُ التَّخصيصِ للعرشِ أنَّه من أعظمِ المخلوقاتِ، فإذا كانَ مستولياً

---

(١) شرح عقائد الصَّدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٢١ بلا عزو. متشابه القرآن: ١: ٧٣. بلا عزو، وفيه: قد استوى. التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٥، ٢: ٣٩٦ بلا عزو. الاقتصاد فيما يتعلّق بالاعتقاد: ٧٢. بلا عزو. وفيه: قد اِستوى. مجمع البيان: ١: ٧١ بلا عزو الأسماء والصِّفات: ٤١٢ وفيه: قد اِستوى. كذا في الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٥٥ ثم انظر: شعر البعيث المجاشعي (جمع وتحقيق ناصر حلاوي): ٤٤.

(٢) في (ح): قد اِستوى.

(٣) في (هـ): استويت.

(٤) جامع البيان: ١: ١٩١ بلا عزو. وفيه: في ترابهِ... قبلَ الرأسَ. التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٢٥ بلا عزو. وفيه: قتلَ الناسَ...

(٥) في (ش): تراثه. بالثاء المثلثة بعد الألف.

عليهِ، كانَ بالاستيلاءِ على غيرِهِ، أولى.

***

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾[1].

الإستواءُ[2]، إذا كانَ بمعنى الجلوسِ، والرُّكوبِ، لا يُعدَّى بِـ«إلى». وإنَّما هم يزعُمُونَ: إنَّه على العرشِ.

ويحتملُ أن يكونَ معناهُ[3]: من يدبِّرُ السَّماءَ، ويفعلُ عَجائِبَها. ولهذا لا يطلقُ على الباري ـ تعالى ـ أنَّه في مكانٍ.

***

وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾[4].

معناهُ: ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾: عذابُهُ، وملائكتُهُ الَّذين بهم إنتقامُهُ، لأنَّ عادتَهُ أن يُنزِّلَها من هُناك، ولهذا قالَ: ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾[5]، فنبَّهَ ـ بِهِ ـ على ذلِكَ.

***

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) في (ش): الاستوى.

(٣) (معناه) ساقطة من (هـ).

(٤) الملك: ١٦.

(٥) الملك: ١٦.

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[1].

صُعودُ الملائكةِ إليهِ، غيرُ معقولٍ. فمعناهُ: أُجازي[2]، وأقبلُهُ.

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[3]، مثلُ قولِهم: رَجَعَ إليَّ كَلامُكَ، وأتاني كتابُكَ.

***

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[4]، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[5].

يعني: المَلَكُ يَصْعَدُ إلى المكانِ الَّذي أمرهُ اللهُ ـ تعالى ـ أن يعرُجَ إليهِ.

يقالُ: فلانٌ يدبِّرُ الأمرَ منَ الشَّامِ إلى خراسانَ. أي: ما بينهما.

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾: أي: عاقبةُ ذلكَ الأمرِ إليهِ. ورجعَ أمرُنا إلى القاضي.

وعُروجُ الأمرِ، ونزولهُ، لا يصُحُّ في الحقيقةِ، وإنَّما جازَ هذا القَولُ، لأنَّه ـ تعالى ـ جعلَ ديوانَ أعمالِ العبادِ في السَّماءِ، والحَفَظَةُ من الملائِكَةِ فيها، فيكونُ

(١) فاطر: ١٠.

(٢) في (هـ): أجازني. بنون بين الزاي والياء.

(٣) فاطر: ١٠.

(٤) المعارج: ٤.

(٥) السجدة: ٥.

ما رُفعَ هناكَ، قد رُفعَ إليهِ، لأنَّه أمرَ بـذلكَ، كـما قَـالَ إبـراهيم: ﴿إِنِّي ذاهِـبٌ إِلى رَبِّي﴾[1]، أي: إلى الموضعِ الَّذي أمرني أن أذهبَ إليهِ.

***

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾[2].

الرِّفعةُ للدَّرجاتِ، وقد جَرَتْ صِفةُ الله ـ تعالى ـ ، لأنَّ القديمَ[3] ـ تعالى ـ لا يُوصفُ بأنَّه رفيعٌ، أو شريفٌ، لأنَّ حَقِيقَتَها في اِرتفاعِ المكانِ، وإشرافِهِ.

أميرالمؤمنين[4] ـ عليه السلام ـ: قُربُهُ، قُدْرةٌ، وبُعْدُهُ، عَظَمَةٌ، ونُزُولُهُ إلى الشَّيءِ، إقبالُهُ عَليهِ، وإتيانُهُ إيَّاهُ، إيصالُهُ لما يُريدُ إليهِ. يَتَجَلَّى[5]، ولا يَتَجَلَّى، ويَتَدَانى، ولا يَتَدَانى، عُلوُّهُ من غيرِ تَوقُّلٍ، ومَجِيؤُهُ مِن غَيرِ تنَقُّلٍ.

***

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ﴾[6]. إنَّما أخبرَ عن

---

(١) الصَّافَّات: ٩٩.

(٢) غافر: ١٥.

(٣) في (هـ): لأنَّ الله تعالى لأنَّ القديم.

(٤) بعضه في تحف العقول: ١٧٤ منسوبٌ إلى الإمام الحسين بن علي (ع).

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ): ينجلي. بنون موحدة من فوق بين ياء المضارعة والجيم.

(٦) البقرة: ٢٥٥.

صِفَةِ الكرسيِّ، فقط، ولم يُوجِبْ إضافَتَهُ إليهِ، كَونهُ عليهِ. كما لا يوجبُ إضافةُ الكعبةِ إليهِ، كونُهُ فيها.

على أنَّهم يزعُمونَ: إنَّه على العرشِ، والكرسيُّ سواهُ[1].

والوجهُ ـ في خلقِ الكرسيِّ ـ إذا قلنا: إنَّه جسمٌ ـ هوَ: أنَّ اللهَ [ـ تعالى ـ] تعبَّدَ ـ بَحملِهِ ـ الملائكةَ، كما تعبَّدَ البشرَ، بزِيارَةِ البَيتِ.

الصَّاحب[2]:

أنـزِّهُ ربَّ الخلـقِ عـن حـدِّ[3] خلقـهِ ... وقـد زاغ راوٍ في الـصِّفاتِ ومُـسْنِدُ

فهـذا يقـولُ: اللهُ يَهْـوِي ويَـصْعَدُ ... وهـذا لـديهِ، اللهُ مُـذْ كـانَ أمـرَدُ

تبـاركَ ربُّ المُـرْدِوَ الـشِّيبِ إنَّهـم ... لأكفـرُ مِـنْ فرعـونَ فيـهِ وأعنَـدُ

❁❁❁

(١) في (ش): سواء. وهي ساقطة من (هـ).

(٢) ديوان الصاحب بن عباد: ٣١ـ ٣٢.

(٣) (حدّ) ساقطة من (أ).

فصل [ـ ٣٠ ـ]

[نفي وصف الله بالمكان]

قولهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[1]، وقولُهُ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[2].

و«المقام»، إنَّما هو مصدرٌ، ولو كان موْضِعاً لَمّا خوَّف بمقامِهِ، لأنَّ الخوفَ لا يتعلَّقُ المكانَ، حتّى يكونَ ذلك مُرَغِّباً في الطَّاعةِ، صارِفاً عنِ المعْصِيةِ.

فإذن، لابُدَّ فيه مِنْ حَذفٍ، فمعناهُ: إنَّ مَنْ خَافَ مقامَهُ لَدَيَّ، فَفَعَلَ الطّاعةَ، فَلَهُ الثّوابُ.

ولفظةُ «مَنْ»، تقعُ على الواحِدِ، والجَمْعِ، وجَاءَ في آيةٍ واحدةٍ: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾[3].

قولهُ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا﴾، و«المقامُ»، مُترَدِّدٌ بينَ المصدرِ،

---

(١) الرحمن: ٤٦.

(٢) الإسراء: ٧٩.

(٣) النساء: ١٤، الأحزاب: ٣٦، الجن: ٢٣.

والـمَوْضِعِ، فهو كـلامٌ مُجمـلٌ، مُفتقِـرٌ إلى البيـان. وقـد روى المفـسِّرونَ[١] عـن النبيِّ[٢] ـ عليه السلام ـ: إنَّهُ الشَّفَاعَةُ.

وَقِيلَ ـ للصّادق ـ عليه السلام ـ: إنَّ فلانـاً يقـولُ بالتّشبيه. فقـال ـ عليـه السلام ـ: أبرءُ إلى الله منهُ[٣].

وقال الرضا[٤] ـ عليه السلام ـ مَنْ شَبَّهَ اللهُ بخلقِهِ فهوَ مُشركٌ، ومَنْ وصفهُ بالمكانِ، فهوَ كافرٌ، ومَنْ نَسَبَ إليهِ ما نهى عنهُ، فهوَ كاذبٌ، ثمَّ تلا: ﴿إِنَّما يَفْـتَرِي الْـكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[٥].

الصَّادقُ[٦] ـ عليه الـسلام ـ : مَـنْ زَعَـمَ أنَّ اللهَ مِـنْ شيءٍ ، أو في شيءٍ ، أو على شيءٍ، فقد أشْرَكَ، ثمَّ قال: مَنْ زَعَمَ أنَّ اللهَ مِنْ شيءٍ، فقد جعلهُ مُحْدَثاً، ومَـنْ زَعَمَ أنَّهُ في شيءٍ، فقد زَعَمَ أنَّهُ مَحْـصُورٌ، ومَـنْ زَعَـمَ أنَّـهُ عـلى شيءٍ، فقـد جعلـهُ مَحْمُولاً.

---

(١) تفسير نور الثقلين: ٣ : ٢٠٦ ـ ٢١١. الدر المنثور: ٥ : ٣٢٦ ـ ٣٢٨. الجامع لأحكـام القـرآن: ١٠ : ٣٠٩.

(٢) العبارة: «عليه السلام... السلام» ساقطة من (أ). وفي (ح): صلى الله عليه وآله.

(٣) في الاحتجاج: ٢ : ١٥٥ معزوّاً إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام).

(٤) عيون أخبار الرّضا: ١ : ١١٤ بزيادة في اللفظ. التوحيد: ٦٩.

(٥) النّحل: ١٠٥.

(٦) الكافي: ١ : ١٢٨. التّوحيد: ١٧٨، ٣١٧ باختلاف في اللفظ يسير. الهداية: ٥.

منصور[1] الآبي:

مُنَــزَّهٌ عَــنْ شَــبَهِ[2] الـمُــشَبِّهْ مُــشْرِكِةٌ[3] لكنَّهــا مُمَــوِّهْ[4]

❀❀❀

(١) لم نقف على مورد أخذه.

(٢) السطر الأول في (ح): منزّه الشبيه والمشبّه.

(٣) في (هـ): مشتركة.

(٤) في (هـ): الموه.

فصل [ـ ٣١ ـ]

[نفي المكانية عن الله]

قولهُ ـ تعالى ـ: ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[1]، ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ الله بَاقٍ﴾[2].

«عِنْدَ»، على وجوهٍ، فإذن، لا تُستعمَلُ إلّا بدليلٍ.

أمّا قولُهُ: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[3]، أي: عالمٌ بها.

وقولُهُ: ﴿فَعِنْدَ الله ثَوابُ الدُّنْيا﴾[4]، أي: المالِكُ له.

وقولُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾[5]، أيْ: في المنزلةِ الرَّفيعةِ، كما يُقال: فُلانٌ عندي بمنزلةٍ. وإنْ كانَ بينَهُما بُعْدُ المشرقَينِ.

وقولُهُ: ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾، أي: بحيثُ لا يَمْلِكُ الحُكْمَ فيهِ سواه. يعني

---

(١) القمر: ٥٥.

(٢) النحل: ٩٦.

(٣) الزخرف: ٨٥.

(٤) النساء: ٣٤.

(٥) الأعراف: ٢٠٦.

السَّماءَ. كما يُقالُ: عِنْدَ المَلِكِ خِصْبٌ، وَأمْـنٌ، أي: في المواضِـعِ، الّتـي لا يملِكُهـا سواهُ. وقولُهُمْ: عِنْدَ أبي حنيفةَ كذا، وعِنْدَ الشّافعي كذا. أيْ: في مَذْهَبِهما. قال[1]:

نحنُ بما عَنْدنا وأنـتَ بـما عِنـدَكَ/ ٣٨/ راضٍ، والـــــرّأيُ مُختَلِـــــفُ

وقولُهُ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[2]، لو حُمِـلَ عـلى المكـان، لوجـب أنْ يُرِيدَ[3] أنَّ جميعَ الأشياءِ في ذلكَ المكانِ، حاصلٌ مَعْلومٌ، أو يُريدَ أنَّ جميعَ ما عنـدهُ في ذلك المكانِ، بِمِقْدارٍ.

فمعناه، أيْ: حُكْمُهُ، وعِلْمُهُ يَدُلُّ عليهِ ما قبلَهُ: ﴿وَما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى﴾[4]، وذلك الأَوْلى، لأنَّهُ أعَمُّ، يتناولُ المعدومَ، والموجودَ، دونَ الماضي، والغابرِ.

وسأل حَبْرٌ[5] أبا بكرٍ عنِ اللهِ ـ تعـالى ـ فقـال: أيـنَ هُـوَ؟ أَفِي الـسّماء أمْ في الأرضِ؟

فقال: في السّماء على العَرْشِ!!

قال: فأرى الأرضَ خَاليةً منـهُ، وأراهُ ـ عـلى هـذا القـولِ ـ في مكـانٍ دونَ مكانٍ؟

---

(١) القائل هو: قيس بن الخَطِيم. أُنظر ديوان قيس بن الخطيم: ٦٣.

(٢) الرّعد: ٨.

(٣) في (أ): يزيد. بالزّاي المعجمة.

(٤) فاطر: ١١، فُصِّلت: ٤٧.

(٥) التّوحيد: ١٨٠ ـ ١٨١، باختلاف الرواية وفي سياق رواية طويلة. الاحتجاج: ١: ٣١٢ ـ ٣١٣.

فقال أبو بكرٍ: هذا كلامُ الزّنادقة، أُعْزُبْ عنّي، وإلّا قتلتُك. فولّى الحَبْرُ مُستَهْزِئاً بالإسلام، فاستقبلهُ عليٌّ ـ عليه السلام ـ فقال: قد عرفتُ ما سألتَ عنهُ، وما أُجِبْتَ به! فإنّا نقولُ: إنَّ اللهَ، أَيَّنَ الأَيْنَ، فلا أَيْنَ له، وَجَلَّ أنْ يحويَهُ. وهو في كلِّ مكانٍ، بغيرِ مُمَاسّةٍ، ولا مُجاوَرَةٍ، يُحِيطُ عِلْماً بما فيها، ولا يخْلُو شيءٌ مِنْ تدبيرِهِ ـ تعالى ـ. ثُمَّ قَالَ: إنَّ مُوسى، كان ـ يوماً ـ جالساً، إذْ جاءَهُ مَلَكٌ مِنَ المشرقِ مِنْ عِندِ الله، وجاءَهُ مَلَكٌ مِنَ المغربِ مِنْ عِنْدِ الله، وجاءَهُ مَلَكٌ مِنَ السّماءِ السّابعةِ مِنْ عندِ الله، وجاءَهُ مَلَكٌ مِنَ الأرضِ السُّفلى مِنْ عِنْدِ الله. فقال موسى: سُبحانَ مَنْ لا يخْلُو منهُ مكانٌ، ولا يكونُ إلى مكانٍ، أقرَبَ مِنْ مكانٍ. فأسْلَمَ الحَبْرُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ ﴿وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾[1]، وقولُهُ[2]: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[3].

يُسْتعمَلُ «فَوْق»، على سبيل القَهْرِ، والسُّلْطَان. يقالُ: يَدُ زَيْدٍ فوقَ عَمْرٍو. ويدُ الأميرِ فوقَ أيْدِينا.

---

(١) الأنعام ١٨، ٦١.

(٢) (وقوله): ساقطة من (أ).

(٣) الفتح: ١٠.

وكُلَّ شَيءٍ قَهَرَ[1]، فهو مُسْتَعْلٍ[2] عليْهِ. ولمّا كانَ العبادُ تحتَ تَسْخيرِهِ، وتَذْلِيلِهِ، وأمرِهِ، ونهيِهِ، وُصِفَ بأَنَّهُ فوقَهُمْ. وَقَدْ نبَّهَنَا اللهُ على ما أرادَ بقولِهِ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾.

أي: يخافون عقابَ ربِّهم مِنْ فوقِهِمْ، لأَنَّهُ يأتي مِنْ فَوْق.

وقيل: إنَّهُ لمّا وُصِفَ بأنَّهُ مُتعالٍ[3]، بمعنى: قادرٌ، لا قادرَ أقْدَرُ منْهُ، فقيلَ: صِفَتُهُ في أعلى مراتِبِ صفاتِ القادِرين، حَسُنَ أنْ يُقَالَ: «مِنْ فَوْقِهِمْ»، لِيَدُلَّ على هذا المعنى مِنَ الاقتدارِ الّذي لا يُساوِيهِ قَادِرٌ. ولو كان صِفَةَ الله ـ تعالى ـ لَمْ يَحْصَلْ بِهِ التَّخويفُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ ﴿وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ﴾[4].

المرادُ ـ بذلكَ ـ وُقُوفُهُمْ على عذابِ ربِّهم، وثوابِهِ، وعِلْمُهُمْ بصِدْقِ ما أخبرَهُمْ به في دارِ التّكْليفِ.

وَالوقُوفُ عليهِ، يُسمَّى عِلْماً. يُقالُ: وَقفتُ على معنى كلامِكَ. وإذا كان

---

(١) (قَهَرَ) ساقطة من (هـ).

(٢) في النسخ جميعها: مستعمل، بميم بين العين واللام. وما أثبتناه من (ط).

(٣) في (ش): متعالي. بالياء.

(٤) الأنعام: ٣٠.

الكفّارُ، لا يعرفون في الدُّنيا استدلالاً، عَرَّفَهُمْ اللهُ ـ في الآخرةِ ـ ضَرُوْرَةً. فـذلكَ يكونُ وقُوْفُهُمْ عليهِ. وقالَ لَهُم ربُّهم ﴿أَلَيْسَ هذا بِالْـحَقِّ قـالُوا بَـلى وَرَبِّنـا﴾[١]، مُقرِّينَ بذلك، مُذْعنين لهُ. قال لهم ـ حينئذٍ ـ فَذُوقُوا [الْـعَذابَ][٢] بِـما[٣] كُنْـتُمْ تَكْفُرُونَ بذلِكَ في الدُّنيا.

وقيلَ: إذا وُقِفُوا على ربِّهم، حُبِسُوا، يُنْتظَرُ بِهِمْ ما يأْمُرُ بِـهِ، كقـول القائـل: احبِسْهُ عَلَيَّ.

ولا يجوزُ أنْ يكـونَ المـرادُ بـه، الرُّؤيـةَ، لأنَّ الآيـةَ، مُختـصَّةٌ بالكُفَّـارِ، ولا خلافَ في أنَّ الكُفَّارَ، لا يَرونَهُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أُولئِـكَ يُعْرَضُـونَ عَـلى رَبِّهِـمْ﴾[٤]. حقيقـةُ العَـرْضِ لايجوزُ على اللهِ ـ تعالى ـ لأنَّ العَـرْضَ في الـشّاهِدِ، إنَّـما يَـصُحُّ عـلى مَـنْ لَمْ يكُـنْ مُشَاهِداً للشيءِ، عَالِماً بِهِ. ولا تَخْفَى[٥] على الله خافيةٌ.

---

(١) الأنعام: ٣٠.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

(٣) في (ش) و(ك) و(أ): مَا، من دون حرف الجرِّ (الباء).

(٤) هود: ١٨.

(٥) في (ك) و(أ): يخفى. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

والمرادُ ـ بذلك ـ أنَّهُمْ يُعْرَضُونَ للمحاسبةِ، بحيثُ أُعِدَّ ذلكَ العَـرْضُ، في ذلكِ المَوْضِعِ، عَرْضاً عَلَيهِ، كقولِهِ[١]: ﴿إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي﴾[٢]. أيْ: حيثُ أمَـرَني رَبِّي.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[٣].

معنى «مِنْ دُوْنِ الله»: مِنْ منزلـةٍ أدْنـى مِـنْ منزلـةِ عبـادِ الله، لأنَّـهُ[٤] مِـنَ «الأدْوَنِ»، وهو الأقربُ إلى الجهةِ السُّفلى.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنا فِي اللهِ﴾[٥].

أيْ : في دِيْنِهِ ، لأنّهُمْ قـالُوا : ﴿نَحْنُ أَبْناءُ اللهِ وَأَحِـبَّاؤُهُ﴾[٦]، ﴿وَقَـالُـوا لَنْ يَـدْخُلَ الْـجَنَّةَ إِلَّا مَـنْ كـانَ هُـوداً أَوْ نَـصَارَى﴾[٧]، ﴿كُونُـوا هُـوداً أَوْ

---

(١) في (أ): كقولك، وهو تحريف.

(٢) الصافّات: ٩٩.

(٣) هود: ١٠١.

(٤) في (ش): راته، وهو تحريف.

(٥) البقرة: ١٣٩.

(٦) المائدة: ١٨.

(٧) البقرة: ١١١.

نَصارى تَهْتَدُوا﴾[١].

***

قولُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٢]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ﴾[٣].

أيْ: معهُمْ بالمعونةِ، والنُّصرةِ، كما نقولُ[٤]: إذا كان السُّلطانُ معكَ، فلا تُبالِ مَنْ لَقِيتَ.

وحقيقةُ «مَعَ» أنْ يكونَ[٥] للمصاحبةِ في الجهةِ، وذلكَ لايجوزُ على اللهِ ـ تعالى ـ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَما خَلْفَنا وَما بَيْنَ ذلِكَ﴾[٦].

أيْ: قبلَ أنْ يَخْلُقَنَا.

«وَما بَيْنَ ذلِكَ» ما هُمْ فيهِ / ٣٩/ مِنَ الحياةِ.

---

(١) البقرة: ١٣٥.

(٢) البقرة: ١٥٣.

(٣) الحديد: ٤.

(٤) في (هـ): يقول. بياء المضارعة المثنّاة من تحت. وفي (ح): تقول. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق.

(٥) في (ح): تكون. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق.

(٦) مريم: ٦٤.

وقالَ ابنُ عبّاسٍ[١]، والرَّبيعُ[٢]، وقَتَادَةُ[٣]، والضَّحَاكُ[٤]، وأبو العاليـة[٥]: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيْنا﴾: الدُّنيا، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الآخِرَةُ، ﴿وَما بَيْنَ ذلِكَ﴾: [بَيْنَ][٦] النَّفْخَتَيْنِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾[٧]، وقولُهُ: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ﴾[٨].

ظاهرُ الرُّجوع، يُوجِبُ الإخْبَارَ عنِ العودِ إلى حيثُ خَرَجَ منهُ. ولا خلافَ أنَّهُم لم يكونوا عندَهُ. والآيةُ تقتضي رُجوعَ الجميعِ إليه.

---

(١) جامع البيان: ١٦ : ١٠٤. أيضاً: مجمع ا لبيان: ٣ : ٥٢١. الدر المنثور: ٥: ٥٣٠. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٢٩.

(٢) جامع البيان: ١٦: ١٠٤. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٥٢١.

(٣) جامع البيان: ١٦: ١٠٥. أيضاً: مجمع البيان: ٣:٥٢١. الدر المنثور: ٥:٥٣١. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٢٩.

(٤) جامع البيان: ١٦: ١٠٥. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٥٢١.

(٥) جامع البيان: ١٦: ١٠٤. الدر المنثور: ٥: ٥٣١.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٧) البقرة: ٤٦.

(٨) هود: ١٢٣.

قولُهُ: ﴿وَكُنتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ﴾[1]، والكلُّ داخِلٌ في هذا الحُكْمِ، ولا يقولُ الخَصْمُ بِهِ.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ﴾[2]، يَعْني: المَدِينَةَ.

وقال إبراهيمُ: ﴿إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي﴾[3]، أيْ: أرض الشَّامِ.

وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[4]، يعني: السّماوات عندَ الحَفَظَةِ.

وبعْدُ: فإنَّهُ تهديدٌ في سائرِ الآياتِ الواردةِ في البابِ، نَحْو: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ﴾[5]، أو في بابِ المصيبةِ، نحو: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾[6].

ولو كانَ المرادُ بِهِ المكانَ، لَمْ يكنْ ذلكَ تسلِّياً لِمَنْ نزلَتْ بِهِ المُصيبةُ.

وقال أبو العالية[7]: رَاجِعُونَ[8]، بالإعادةِ في الآخرةِ.

وقيلَ: راجِعُونَ إلى أنْ لا يملِكُ لَهُمْ ضرّاً، ولا نفعاً غيرُهُ ـ تعالى ـ، كما

---

(١) البقرة: ٢٨.

(٢) النساء: ١٠٠.

(٣) الصافّات: ٩٩.

(٤) فاطر: ١٠.

(٥) التوبة: ٩٤.

(٦) البقرة: ١٥٦.

(٧) جامع البيان: ١: ٢٦٤. أيضاً: مجمع البيان: ١: ١٠٢. الدر المنثور: ١:١٦٥.

(٨) العبارة: «راجعون... يملك» ساقطة من (أ).

كانوا في بَدْء الخَلْق، لأنّهُم في أيّامِ حياتِهِمْ، قد مَلَّكَ غيرَهُم الحُكْمَ عليهم، قولُهُ: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[١].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾[٢]. وقولُهُ: ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً﴾[٣].

أيْ[٤] : إنّكم ترجِعُونَ إليهِ أحياءً ، بَعْدَ الموتِ . أيْ : إلى موضعِ جزائِهِ جميعاً. وقيل: معناهُ: أنْ يعودَ الأمرُ إلى ألّا يملِكَ أحدٌ التصرُّفَ في ذلك الوقتِ غيرُهُ ـ تعالى ـ بخلاف الدُّنيا.

ولفظُ «المَرْجِع»، يكونُ بمعنى: الرُّجوعِ. فيكونُ مصدراً. وبمعنى: مَوْضِعِ الرُّجُوع، كأنّهُ قالَ: إليهِ مَوْضِعُ رُجُوعِكُم.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَللهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٥].

---

(١) الفاتحة: ٤.

(٢) المائدة: ٤٨، ١٠٥.

(٣) النساء: ١٧٢.

(٤) العبارة: «أي إنّكم... جميعاً» ساقطة من (أ).

(٥) المائدة: ١٨.

معناهُ: إنّهُ يَؤُولُ إليهِ أمرُ العبادِ، في أنّهُ لا يملِكُ ضررَهُم، ولا نفعَهُمْ، غيرُهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ، لأنّهُ تبطلُ مملكةُ غيرِهِ في ذلك اليوم. والأمرُ لنا دون[1] غيرنا، كما يقالُ: صارَ أمرُنا إلى القاضي. [لا][2] على معنى قربِ المكانِ، وإنّما يُرادُ ـ بذلك ـ أنّهُ المتصرِّفُ فينا.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾[3].

النّاسُ في دارِ التّكليفِ، قد يغترُّ بعضهم ببعضٍ، فَيَعْتَقِدُونَ[4] فِيهِم، أنّهم يملِكُون جَرَّ المنافِعِ إليهم، وصرْفَ المضارِّ عنهم. وقد تدخلُ عليهم الشُّبهةُ، لتقصيرهم في النّظرِ في وجهِهِ، فيعبُدُونَ الجامدَةَ، والهامِدَةَ.

ويُضيفُ كلُّ هؤلاءِ أفعالَ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيهم، إلى غيره. فإذا جاءتِ الآخرةُ، واضطُرُّوا إلى المعارِفِ، عَرفُوا أنّهُ لا معبودَ سوى الله [ـ تعالى ـ][5] فردُّوا إليهِ أُمورَهُم، وانقطعت آمالُهُم من غيرِهِ.

﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾: والأُمورُ كلُّها لله، وفي يده، من غير خروجٍ،

(١) في (ك): دن، وهو تحريف.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) البقرة: ٢١٠، آل عمران: ١٠٩، الأنفال: ٤٤، الحج، ٧٦، فاطر: ٤، الحديد: ٥.

(٤) (فيعتقدون) مكرّرة في (أ).

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

ورجوعٍ حقيقيٍّ.

وقد تقولُ العربُ: قد رجع عليَّ مِنْ فلانٍ مكرُوهٌ، بمعنى: صار منهُ، ولم يكن سَبَقَ إليَّ قبل هذا الوقت. وقد عاد إليَّ من زيدٍ كذا، وكذا. وإنْ وقع منه ابتداءً. [قال][١] الشاعرُ[٢]:

فإنْ تكنِ الأيامُ أحْسَنَّ مرَّةً ... إليَّ فقد عادَتْ لهُنَّ ذُنُوبُ

أي: صارت لها ذُنوبٌ لم تكن من قبلُ، بل كان ـ قبلها ـ إحسانٌ.

وقد ملَّكَ اللهُ العبادَ في دارِ التكليفِ أُموراً، تنقطِعُ بانقطاعِ التّكليفِ، وإفضاءِ[٣] الأمرِ إلى دارِ الآخرةِ، مثل ـ ما ملَّكَهُ الموالِيَ منَ العبيدِ، وما مَلَّكَهُ الحُكّامَ منَ الحُكْمِ. فيجوزُ أنْ يُريدَ اللهُ برجوعِ الأمرِ إليهِ، انتهاءَ ما ذَكَرْناهُ من الأُمورِ ـ الّتي يَمْلِكُها غيرُهُ بتمليكِهِ ـ إلى أنْ يكونَ ـ وحدَهُ ـ مالِكَهَا.

وقال المُرْتَضى[٤]: الأمرُ يَنْتَهي إلى ألّا يَكُونَ مَوْجُوداً، قَادِراً غيرُهُ. وتقتضي الأُمورُ في الانتهاءِ إلى ما كانت عليه في الابتداءِ، لأنَّ ـ قبل إنشاءِ الخَلْقِ ـ هكذا

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

(٢) الأصمعيّات: ٩٩ منسوباً إلى غُريقة بن مُسَافع العبسيّ. جمهرة أشعار العرب: ٢: ٧١٠. معزوّاً إلى محمد بن كعب الغنويّ. أمالي المرتضى: ١: ٣٧٥ بلا عزو. التّبيان في تفسير القرآن: ٢: ٣١٥ معزوّاً إلى الغنويّ: ٤: ٤٦٦ بلا عزوٍ.

(٣) في (ك): أفضى.

(٤) أمالي المرتضى: ١: ٣٧٦.

كانتِ الصّورةُ، وبعْدَ إفنائِهِمْ هكذا تصيرُ[1]. وهو رجوعٌ حقيقيٌّ، لأنَّهُ عاد إلى ما كانَ عليهِ مُتقدِّماً.

وقال الطُّوسيُّ[2] يرجعُ الأمرُ كلُّهُ، أيْ: يذهبُ حيثُ ابتـدأَ منـهُ. فرجـوعُ الأمرِ إلى الله بالإعادَةِ بَعْدَ[3] النشأةِ الأُولى.

وقال الجُبَّائيّ[4]: ترجِعُ الأُمورُ إلى مَنْ لا يملِكُها سواهُ.

ومُحْتَمَلٌ[5] ـ أيضاً ـ أن يكونَ المرادُ ـ بذلك ـ أن تعودَ المقدوراتُ الباقيةُ إلى ما أفناهُ من مقدوراته، كالجواهِرِ، والأعرَاضِ، ترجِعُ في مقدوراتِ البشر / ٤٠/ وإنْ كانت[6] باقيةً، لما دلَّ عليه الدّليلُ من اختصاصِ مقدوراتِ القَدَرِ، باستحالةِ العَوْدِ إليها من حيثُ لم يَجُزْ له فيها التَّقدِيمُ، والتّأخِيرُ[7]، وهو حُكْمٌ، هو ـ تعالى ـ الـمُتفَرِّدُ بِهِ.

❀❀❀

(١) في (أ): يصير. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٢: ٥٥٥. ٥: ١٣١. ٧: ٣٤٣. ٩: ٥٢٠.

(٣) في (ك) و(أ): بعده. مع الضمير (الهاء).

(٤) في مجمع البيان: ١: ٣٠٤ بلفظه ومن دون عزوٍ إلى أحدٍ.

(٥) في (هـ): يحتمل. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٦) في (ش) و(هـ) و(أ): كان.

(٧) في (أ): التأخُّر.

فصل [ـ ٣٢ ـ]

[نفيُ المكانيّة عن الله]

قولُهُ ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ أَنصارِي إِلَى اللهِ﴾[1].

قال السُّدِّي[2]، وابنُ جُرَيْجٍ[3]: أي: مَنْ أعواني على هؤلاءِ الكفّارِ إلى معونةِ الله؟ وذلك مثلُ قولِهِمْ: الذَّوْدُ إلى الذَّودِ إبلٌ[4]. وقولِهِ: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ﴾[5].

وقال الحسنُ[6]: من أنصاري في السّبيل إلى الله؟ لأنّه دعاهم إلى سبيل الله.

---

(١) آل عمران: ٥٢. الصفّ: ١٤.

(٢) جامع البيان: ٣: ٢٨٤ باختلاف اللفظ. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٤٧ بلفظه. الدر المنثور: ٢: ٢٢٣.

(٣) جامع البيان: ٣: ٢٨٤ باختلاف اللفظ. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٤٧ بلفظه. الدر المنثور: ٢: ٢٢٢.

(٤) مجمع الأمثال: ١: ٢٧٧. الذّود: اسم مؤنّث يقع على قليل الإبل، ولا يقع على الكثير وهو ما بين الثلاث إلى العشر إلى العشرين إلى الثلاثين، ولا يجاوز ذلك.

(٥) النساء: ٢.

(٦) جامع البيان: ٣: ٢٨٦ باختلاف اللفظ. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٤٧ بلفظه. التفسير الكبير: ٨: ٦٢. الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٩٧ بلفظه.

وقال الجُبَّائيّ[١]: مَنْ أنصارِي لله؟ كما قال: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾[٢].

ووجهُ ذلكَ: أنَّ الغرضَ[٣] يَصْلُحُ فيهِ «اللّامُ» على طريقِ العِلَّةِ، و«إلى» على طريقِ النِّهايةِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾[٤].

معناهُ: إنَّهُ رَفَعَهُ إلى الموضِعِ الّذي يَختصُّ اللهُ ـ تعالى ـ بالمُلْكِ، ولم يَمْلِكْ فيه أحَدٌ شَيئاً[٥]، وهو السّماءُ، لأنَّهُ لا يجوزُ أن يكونَ المرادُ به: أنَّهُ رفعَهُ إلى مكانٍ، هو ـ تعالى ـ فيه، لأنَّ ذلكَ من صِفاتِ الأجْسامِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[٦].

---

(١) مجمع البيان: ١: ٤٤٧. من دون عزوٍ إليه، وكذا في التفسير الكبير: ٨: ٦٢.

(٢) يونس: ٣٥.

(٣) في (أ): العوض، بالعين المهملة بعدها واو.

(٤) النساء: ١٥٨.

(٥) في (هـ): شيء.

(٦) المطفّفين: ١٥.

الحَجْبُ: هو الـمَنْعُ، والحاجِبُ: هـو[1] المـانعُ. ولا يـصحُّ القـولُ: بـأنَّهُم محجُوبونَ[2] عن ذَاتِ الله ـ تعالى ـ.

وإذا كانَ الممنوعُ منهُ محذُوفاً، فليسَتِ الرُّؤْيةُ، بأوْلى من الرَّحْمَةِ. وهذا ـ كـما يقولُ عندَ سُؤالِ الغير ـ غَضِبَ عليهِ السُّلطانُ، وَبَعَّدَهُ من عِنْدِهِ، ولا يَنْظُـرُ إليـه، ولا يُكلِّمُهُ، وحَجَبَهُ[3] عنهُ، وليس يأذَنُ لـهُ بالـدُّخُولِ عليـه. كقولـه: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ﴾[4]، ﴿غَيْرِ الْـمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[5]، ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَـةً عِنْـدَ اللهِ مَـنْ لَعَنَـهُ اللهُ وَغَـضِبَ عَلَيْـهِ﴾[6]، ﴿وَلا يُكَلِّمُهُـمُ اللهُ يَـوْمَ الْـقِيامَةِ﴾[7].

فمعنى قولِهِ: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِـمْ يَوْمَئِـذٍ لَمَحْجُوبُـونَ﴾، عـن[8] ربّهـم[9] بسوءِ حالِهِمْ، مُبعدُونَ عن رحمتِهِ.

***

(١) (هو) سقطت من (ح).

(٢) في (ك): لمحجون. وهو تحريف.

(٣) في (ك): وحجَّه. وهو تحريف.

(٤) النّحل: ١٠٦.

(٥) الفاتحة: ٧.

(٦) المائدة: ٦٠.

(٧) البقرة: ٧٤.

(٨) في (ش): عني.

(٩) في (ش): بهم. وفي (ح): إنّهم.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾[1].

ليس في الآيةِ أكثرُ من ذِكْرِ الحجاب، وليسَ فيها أَنَّهُ حِجابٌ لهُ ـ تعالى ـ، أو[2] أَنَّهُ محلُّ كلامِهِ، أو كَلَّمهُ، أو لم يُكلِّمْهُ. وإذا لَمْ يَكُنْ في الظّاهِرِ شيءٌ من ذلك صُرِفَ إلى غيرِهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ.

ويجوزُ أن يفعل كلاماً في جسمٍ، محتجبٍ عن المُكَلَّمِ، غير معلومٍ له على سبيل التفضيل[3]، فيسمعُ المخاطبُ[4] الكلامَ، ولا يَعْرِفُ محلَّهُ، على سبيل التفضيل[5]، فيقالُ ـ على هذا ـ: هو مُكلَّمٌ من وراء حجابٍ.

وقال الجُبَّائي[6]: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً﴾، بمثل ما يُكلِّمُ به عبادَهُ من الأمر بطاعته، والنّهي لهم عن معاصيه، وتنبيهِهِ إيّاهُم على ذلك من جهةِ الخاطرِ، أو المنامِ، وما أشبههما.

وَعَنَى بقوله: ﴿أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾، أن يحجِبَ ذلك عن جميعِ خلقهِ،

---

(١) الشورى: ٥١.

(٢) في (هـ): وأنّهُ. مع الواو.

(٣) في (هـ): التّفصيل. بالصاد المهملة.

(٤) في (أ): المخالب.

(٥) في (هـ): التفصيل. بالصاد المهملة.

(٦) في (هـ): الخيائي. بخاء مهملة من فوق، بعدها ياء مثناة من تحت.

إلّا من يُريدُ أن يُكلِّمهُ به، نحو كلامِهِ ـ تعالى ـ لموسى، لأنّهُ حجب ذلك عن جميع الخَلْقِ، أوّلاً. وأمّا كلامُهُ ـ في المرّةِ الثّانية ـ فإنّهُ إنّما أسمَعَ ذلك موسى والسَّبعين الَّذين كانوا معه، وحُجِبَ عمَّن سواهم[1].

وقال المُرْتَضى[2]: المرادُ بالحجابِ: البُعْدُ، والخَفاءُ[3]. يقالُ: بَيْني وبَيْنَكَ حِجَابٌ، أي: أسْتَبْعِدُ فهمَكَ. ويُقالُ: بيني وبينَ هذا الأمرِ حُجُبٌ، ومَوانِعُ، وسَواتِرُ، أي: طَرِيقٌ مُسْتَبْعَدٌ[4]. فيكونُ معنى الآية: إنّهُ لا يُكلِّمُ البشرَ إلّا وَحْياً، بأنْ يُخْطِرَ في قلوبِهِم، أو بأنْ يَنْصبَ لهم أدلَّةً، تَدُلُّهُم على ما يُرِيدُهُ، أو يَكْرَهُهُ مِنهُمْ. فيكونُ ـ بذلكَ ـ مُخاطِباً.

وجعلَ هذا الخِطابَ ﴿مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾ من حيثُ لم يكُنْ مَسْمُوعاً، كما يُسْمَعُ الخاطرُ، وقولُ الرَّسُولِ. فصار الحجابُ ـ ههُنا ـ كِنايةً عنِ الخَفاءِ، وعبارةً عمّا تَدُلُّ عليه الدَّلالةُ.

وقالَ مجاهدٌ[5]: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً﴾: هو داودُ، أوْحَى في صَدْرِهِ، فَزَبَرَ الزَّبُورَ. ﴿أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾: وهوَ مُوسَى. ﴿أَوْ يُرْسِلَ

---

(١) قول الجبائي هذا في مجمع البيان: ٥: ٣٧. بلا عزوٍ إلى أحدٍ.

(٢) أمالي المرتضى: ٢: ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٣) في (أ): الحقائق.

(٤) في (أ): مستعبد. بالعين المهملة ثم الباء الموحّدة من تحت.

(٥) في جامع البيان: ٢٥: ٤٥ هذا القول منسوبٌ إلى السُّدِّي، ولكنه في مجمع البيان: ١: ٣٧ معزوٌّ ـ بلفظه ـ إلى مجاهد، وكذا في التفسير الكبير: ٢٧: ١٨٦. والجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٥٣.

رَسُولاً﴾[1]: وهو جِبْرِيلُ، أرْسَلَهُ إلى محمّدٍ ـ صلّى الله عليه وآله[2] [وعليهم أجمعين][3].

وقال أميرُالمؤمنينَ ـ عليه السلام ـ: احْتَجَبَ عنِ العُقُولِ، كَما احْتَجَبَ عنِ الأبْصَارِ. وَعَمَّنْ في السماءِ احْتِجَابُهُ كَما عَمَّنْ في الأرضِ غِيَابُهُ.

وزعم الشِّعْبيُّ[4] أنَّهُ سَمِعَ أميرُالمؤمنينَ ـ عليه السلام ـ رَجُلاً يقولُ: والّذي احتجَبَ بسَبْعِ طِبَاقاً! فعلاهُ بالدِّرَّةِ[5]. ثمَّ قال له: وَيْلَكَ! إنَّ اللهَ أجلُّ مِنْ أن يحْتَجِبَ عنهُ شيءٌ، سُبحانَ مَنْ لا يَحْوِيهِ مكانٌ، ولا / ٤١/ يَخْفَى عليهِ شيءٌ في الأرْضِ، وَلا في السَّماءِ.

فقال الرَّجلُ: أفأُكَفِّرُ عَنْ يَمِيْني؟

قال: لا، لَمْ تَحْلِفْ باللهِ، فَيَلْزَمُكَ كُفَّارَةٌ، وإنَّما حَلَفْتَ بِغَيْرِهِ[6].



(١) الشورى: ٥١.

(٢) في (ك) و(هـ): صلّى اللهُ عليهم أجمعين.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة في (ح).

(٤) الاحتجاج: ١: ٣١٣. الإرشاد: ١٣٢.

(٥) الدِّرَّة: السَّوْطُ (المعجم الوسيط ـ دَرَرَ).

(٦) في (ك): بغير. من دون الضمير (الهاء).

فصل [ـ ٣٣ ـ]

[نفي التجسيم عن الله]

قولُهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾[١].

النَّفْسُ: الدَّمُ. ومنهُ: نَفِسَتِ المرأةُ، فهي نُفَسَاءُ. وكلُّ ما ليس له نَفْسٌ سائِلَةٌ. والرُّوحُ: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾[٢]. والأَنَفَةُ. يقالُ: لفُلانٍ نَفْسٌ. والإرادةُ: نفسُهُ في كذا. قال الـمُمَزِّقُ[٣]:

فبَاتَتْ لَهُ نَفْسَانِ[٤] شَتَّى هُمُومُها فنَفْسٌ يُعَزِّيها، ونَفْسٌ يَلُومُهَا

والعينُ الَّذي يُصِيبُ[٥] الإنسانَ. يقالُ: أَصَابَتْ[٦] فُلاناً[٧] نَفْسٌ. ومقدارُ

---

(١) آل عمران: ٢٨، ٣٠.

(٢) الأنعام: ٩٣.

(٣) المؤتلف والمختلف: ١٨٥. أمالي المرتضى: ١: ٣٢٥ منسوباً إلى الممزِّق العبدي وقال: وتُروى لمعقَّر بن حمار البارقيّ.

(٤) في (ك): نفساً. بإسقاط نون التثنية.

(٥) في (ك) و(هـ) و(ح): تصيب. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق. وفي (ا): يصب. والمقصود بالعين ـ هنا ـ الحسدُ، لذا ذكر الاسم الموصول والفعل الذي بعده تبعاً له.

(٦) في (أ): أضَامت.

(٧) في (هـ): فلان. من دون تنوين النَّصب.

الدَّبْغَةُ. يقالُ: أعطني نَفْساً[١] أو نَفْسَينِ من الدِّبَاغِ. وقَالَبٌ[٢] فيه الحياةُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْـمَوْتِ﴾[٣].

قال الخليلُ[٤] في كتابِهِ: نَفْسُ كُلِّ شَيءٍ، عَيْنُهُ، وذَاتُهُ.

والغَيْبُ: إنِّي لأعْلَمُ نَفْسَ فُلانٍ. والعُقُوبَةُ. أُحذِّرُكَ نَفْسِي. أي: عُقُوبتي.

الفَرَّاء[٥]: ﴿وَما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾[٦]. ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾[٧]، ﴿وَلكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾[٨]: إنَّما هو ذِكْرٌ عائِدٌ إليهم، وأرادوا أنَّ الإخْبارَ عن الفاعلِ، والمفعولِ بهِ، شَيءٌ وَاحدٌ. وهذا مُعْتَرَضٌ.

ومعنى الآية، لا يَخْلُو[٩] إمّا أن يكونَ، كما فَسَّرَهُ المفسِّرُونَ، أو يكونَ جسداً. ثمَّ الجسدُ إمَّا أن يكونَ معلوماً، أو غَيْرَ مَعْلُومٍ. فغيرُ المعلومِ يُؤدِّي إلى

---

(١) في (هـ): نفس. من دون تنوين النَّصب.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): قالت. بالتاء المبسوطة.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

(٤) العين: ٧: ٢٧٠ مادة (نفس).

(٥) لم أقف عليه في معاني القرآن.

(٦) البقرة: ٩.

(٧) البقرة: ٥٤.

(٨) هود: ١٠١.

(٩) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): تخلو. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق.

الجهالاتِ، والمعلومُ تشبيهٌ. ولَزِمَهُم أن[١] يقولوا: بأَنَّهُ[٢] ذُو أَوْصالٍ، وأعضاءٍ، ولأَدَّى إلى حُدُوثِهِ، أو قِدَمِ الأجسامِ، وأنْ يكونَ ذا أَجْزَاءَ كثيرةٍ من تركيبِ صُورةٍ[٣]، وهَيْأَةٍ، مُتَناهياً، مُمَاسّاً[٤] لغيرِهِ[٥].

ولا جِسْمَ إلّا ولهُ شبيهٌ محسوسٌ، أو موهومٌ.

ثمَّ إنَّ التَّحذيرَ بالجسدِ، لا[٦] يصُحُّ، وإنَّما يقعُ بفعلٍ يفعَلُهُ بهِ، كقولهِ: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ﴾، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾[٧].

وإذا بطل أن يكونَ المرادَ بهِ، فلا خلافَ في غيرِهِ، لأَنَّهُ لا[٨] يليقُ بالآيةِ، فلم يبقَ إلّا أقوالُ المفسِّرينَ.

قال ابن[٩] عبّاسٍ ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ عُقُوبَتَهُ.

---

(١) في (ك): بِأَنْ. مع حرف الجر (الباء).

(٢) في (ح): إنَّه. بسقوط حرف الجر (الباء).

(٣) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): وصورة. مع واو العطف.

(٤) في (أ): مماشاً. بالشين المعجمة.

(٥) في (أ): العبرة. بعين مهملة بعدها باء موحدة من تحت وآخرها تاء منقوطة.

(٦) في (أ): ولا. مع الواو.

(٧) البقرة: ٤٨، ١٢٣، ٢٨١.

(٨) في (أ): ولا، مع الواو.

(٩) في جامع البيان: ٣: ٢٣٠. هذا القول بلا نسبة إلى أحد. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٣٠. وكذا في الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٥٨.

وقال قُطْرُبُ[١]: أي: ويُحَذِّرُكم اللهُ إيّاهُ، كقولِكَ: في نفسِ الجَبَلِ، وبِنَفْسِ البَصْرَةِ.

قال الرِّضَا[٢] ـ عليه السلام ـ: عَلِيٌّ ما خَوَّفَهُمْ اللهُ بِهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ﴾[٣].

لو أرادَ الجسدَ، لوجَبَ ألّا يَعْلَمَ عِيْسى ما في جَسَدِ الله ـ جلَّ وعلا ـ من الآلاتِ، والضَّمائرِ، وغيرِ ذلكَ.

قال الحسنُ[٤]: تعلمُ ما في نَفْسِي. أي: في غَيْبِي[٥]، ولا أعْلَمُ ما في غَيْبِكَ.

وقال ابنُ عبّاسٍ[٦]: تعلمُ سِرِّي، ولا أعلمُ سِرَّكَ. يُقالُ: أخفاهُ في نفسِهِ، وهو يُضْمِرُ في نفسِهِ شيئاً.

***

(١) وهذا القول منسوب في الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٥٨ إلى الزجّاج.

(٢) في (ح): هو ـ عليهما السلام ـ عليٌّ...

(٣) المائدة: ١١٦.

(٤) في جامع البيان: ٧: ١٣٨. وفي التفسير الكبير: ١٢: ١٣٥. بلفظه من دون عزوٍ إلى أحدٍ. وكذا في الجامع لأحكام القرآن: ٦: ٣٧٦.

(٥) في (أ): عيني.

(٦) في جامع البيان: ٧: ١٣٨ بلا عزوٍ إلى أحدٍ. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٢٦٩ معزوّاً إلى ابن عبّاس.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[١].

لا يخلُو من أن يكون الكاتِبُ هُوَ المكتُوبَ عليهِ. أو يكونَ الكاتِبُ هُوَ الرَّبَّ، والمكتُوبُ عليهِ ـ الرَّحْمَةُ[٢] ـ غَيْرَهُ، فَيكُونانِ اثنَينِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[٣].

فذِكْرُهم عائِدٌ إلى الرَّبِّ من الإخْبَارِ. والفاعِلُ والمفعُولُ فيه واحدٌ.



(١) الأنعام: ٥٤.

(٢) في (ك) و(أ): للرحمة.

(٣) طه: ٤١.

فصل [ـ ٣٤ ـ]

[نفي التجسيم عن الله]

قولُهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي﴾[1].

الظاهرُ يقتضي أن يكونَ صُنْعُ المُخاطَبِ ـ وهو موسى ـ عليه السلام ـ على عَيْنِهِ.

وقولُهُ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا﴾[2]، يُوجِبُ أن يكونَ النبيُّ ـ عليه السلام[3] ـ بأعْيُنِهِ، فيكونُ «أعْيُنُهُ» مكاناً لهُ. وكذلك قولهُ[4]: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا﴾[5].

ويقتضي أن يكون له أكثرُ من عَيْنَيْنِ. والجمعُ لا نهايةَ لهُ، ويجبُ أن يكونَ ذا جارِحَتَيْنِ، وذلك يُؤدِّي على تناقُضِ القُرآنِ، والخُرُوجِ عنِ الإجماعِ.

---

(١) طه: ٣٩.

(٢) الطور: ٤٨.

(٣) في (أ): صلّى الله عليه وآله.

(٤) (قوله) ساقطة من (هـ).

(٥) المؤمنون: ٢٧.

و«العَيْنُ»[١] لفظٌ مشتركٌ بين الباصِرَة، والدِّينار، والجَاسوسِ، والرَّئيس، والنَّقْدِ، ومهبِّ الجَنُوبِ، ومطرٍ لا يُقْلِعُ، وما يُصيبُ من الفسادِ، وعَينِ الشَّمسِ، والماءِ، والمِيْزانِ، والرُّكْبَةِ، وغيرِ ذلكَ. وبمعنى العِنَايةِ للشيءِ. قال ابنُ حِلِّزَةَ[٢]:

وَبِعَيْنَيْـك أَوْقَـدَتْ هِنْـدُ النَّـارَ   عِـشَاءً تَلْـوِي بِهَـا العَلْيَـاءُ

ويُوضَعُ[٣] في مكانِ الذَّاتِ، فيكونُ تأكيداً، وتَخْصِيْصَاً، فمعنى قولِهِ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، أي: بحفظي، ومُرَاعاتي لك، يُقالُ: سِرْ في عَيْنِ الله، وَعَيْنُ الله عَلَيكَ. ومنهُ قولُهُ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، وكذلك: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، أي: نأمُرُكَ بِهِ، وحِفظُنَا لذلك، لقولِهِ: ﴿وَوَحْيِنَا﴾[٤]، أي[٥]: على ما أوحينا إليكَ. ويُقالُ: بِوَحْينَا إليكَ: أنِ اصْنَعْهَا.

ويَحْتَمِلُ[٦] أنَّها تَجْرِي، وَنَحنُ عَالمونَ[٧] بِهَا، لأنَّ السَّفينةَ، لا يُمكنُ أنْ يتعلَّقَ[٨] جَرْيُها إلّا بالعَيْنِ، الَّتي هيَ الباصِرَةُ.

---

(١) كتاب العين: ٢: ٢٥٤ (عين)، ولسان العرب (عَيَنَ).

(٢) ديوان الحارث بن حِلِّزَة: ٩، وفيه: النار أصيلاً.

(٣) في (هـ): توضع. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق. وفي (ح): توضح. بالحاء المهملة.

(٤) المؤمنون: ٢٧.

(٥) (أيْ) ساقطة من (هـ).

(٦) في (هـ): تحتمل بتاء المضارعة المثنّاة من فوق.

(٧) في (أ) عاملونَ. بميمٍ ثُمّ لامٍ.

(٨) في (ش) و(ك): تتعلّق، بتاء المضارعة المثنّاة من فوق.

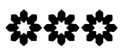
وقال الجُبَّائي[١]: معناهُ: بأعْيُنِ أوْليائنا مِن الملائكةِ، والمؤمنينَ الَّذينَ يُعَلِّمونَكَ كيفيَّةَ عَمَلِها.

وقيل[٢]: معناه: بِعِلْمِنَا[٣].

وقيل: بحيثُ يَرَاها الرَّائي، واللهُ ـ تعالى ـ يَرَاهُ.

وقال الأصمعيُّ: قال عمرُ بنُ الخطّاب: إنَّ عَلِيّاً [ـ عليه السلام ـ][٤] مِن عُيونِ الله في الأرض.

/ ٤٢/ وما سِوَى ذلك، لا يجوزُ، لأنَّهُ لا يُفِيدُ.



(١) في مجمع البيان: ٤: ١٠ نُسِبَ إلى الجبّائي خلافُ هذا الرأي.

(٢) التفسير الكبير: ٢٢: ٥٣ من دون عزوٍ إلى قائلٍ أو جماعةٍ.

(٣) في (ش) و(ك): يعلمنا. بصيغة المضارع وبياء مثنّاة من تحت.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

فصل [ـ ٣٥ ـ]

[نفي التجسيم عن الله]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾[1].

أي: قالَ قَوْلاً، يُسْمَعُ بالأُذُنِ. ولا يُريدُ ـ بذلك ـ أَنَّهُ أصغى بالأُذُنِ إلى قولٍ، كَما قال الشَّاعِرُ[2]:

بِسَمَاعٍ يَأْذَنُ الشَّيخُ لَهُ وَحَديثٍ مِثْلِ مَاذِيٍّ مُشَارِ[3]

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[4].

حَمْلُ «الوَجْه» على الجَارِحَةِ، يقتضي أن يهلِكَ سائرُهُ، ويبقى وَجْهُهُ.

وقولُهُ: ﴿لِوَجْهِ اللهِ﴾[5]، وقولُهُ: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[6]، يُوجِبُ أن يكونَ

---

(١) الأعراف: ١٦٧.

(٢) هو عَديُّ بن زيد العباديّ.

(٣) ديوان عدي بن زيد العباديّ: ٩٥.

(٤) الرّحمن: ٢٧.

(٥) الدهر: ٩.

(٦) الأنعام: ٥٢. الكهف: ٢٨.

وجهُهُ مَقْصَدَ القومِ، في طاعتِهِ إلى وجهِهِ، لِيَقْبَلَ.

وقولُهُ: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[1]، يحتملُ أن يكونَ وجهُهُ حيثُ يتوجَّهُ الإنسانُ إليه، وأنْ يكونَ وجهُهُ جميعَ النَّواحي في الحالةِ الواحدةِ، لِتَوجُّهِ النَّاس إلى كُلِّ وَجْهٍ.

وقولُهُ: ﴿نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ﴾[2]، وقولُهُ: ﴿إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ﴾[3]، وقولُهُ: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ﴾[4]، أي: القُرْبَةَ إليهِ والزُّلْفَةَ عِندَهُ. كما يُقالُ: أكرمْتُهُ لِوَجْهِكَ. أي: لِتَعْظِيْمِكَ.

وقولُهُ ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾. أي فَثَمَّ اللهُ ـ على مَعْنى التَّدبيرِ والعِلمِ، لا على مَعْنَى الحُلُولِ.

ويَحْتَمِلُ آياتِ الله، ودلائلَهُ، كما يُقالُ: وجهُ القَوْلِ في هذِهِ[5] المسألةِ، كذا. ويَحْتَمِلُ رِضَا الله، وثوابَهُ. ويَحْتَمِلُ الجهةَ، وتكونُ الإضافةُ بمعنى: المُلْكِ، والخَلْقِ، والإنشاءِ، أي: الجَهَاتُ كُلُّها لله[6].

---

(١) البقرة: ١١٥.

(٢) الدهر: ٩.

(٣) البقرة: ٢٧٢.

(٤) الرُّوم: ٣٨.

(٥) في (هـ): هذي.

(٦) في (أ): الله. من دون حرف الجرّ (اللام).

الرِّضا ـ عليه السلام ـ ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾. قال: عَلِيٌّ.

ويُسْتَعْمَلُ الوَجْهُ في المُحَيّا[١]. وسُمِّيَ ـ بذلك ـ لأنّهُ أوّلُ ما يَظْهَرُ، ويُرَى.

وأوّلِ الشَّيءِ: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ﴾[٢].

وَالمَقْصَدِ: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ﴾[٣]، وقولُهُ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾[٤]، وَمَا الوَجْهُ فيه، والمَذْهَبِ، والجِهَةِ، والنَّاحِيَةِ. شَاعِرٌ[٥]:

أيُّ الوُجُوهِ انْتَجَعْتَ؟ قُلْتُ لَهُ: لأيِّ وجهٍ؟ إلّا إلى الحَكَمِ

والقُدْرِةِ، والمنْزِلَةِ: لفلانٍ وجْهٌ عريضٌ. وهو أوجَهُ من فُلانٍ. وأوْجَهَهُ السُّلطانُ. إذا جَعَلَ لهُ جاهاً. قال امرُؤُ القيس[٦]:

ونادَمْتُ قَيْصَرَ في مُلْكِهِ فأوجَهَني ورَكَبْتُ البَرِيدَا

والرَّئيس. هذا وجهُ القومِ. وهو[٧] وَجْهُ عَشِيرتهِ.

---

(١) في (أ): المحيات. بالتاء المبسوطة.

(٢) آل عمران: ٧٢.

(٣) لقمان: ٢٢.

(٤) الرّوم: ٥٣.

(٥) عيار الشعر: في جملة أبيات معزوّة إلى حمزة بن بيض. الأغاني: ١٦: ١٥٣. منسوباً إلى حمزة بن بيض الحنفيّ. أمالي المرتضى: ١: ٥٩١ منسوباً إلى حمزة ابن بيض الحنفي. التبيان في تفسر القرآن: ١: ٢٤ معزواً إلى ابن بيض. مجالس العلماء: ١٩٩ معزوّاً إليه أيضاً.

(٦) ديوان إمرئ القيس: ٢٥٢.

(٧) في (أ): فَهُوَ.

وذاتِ الشّيءِ. إنَّما أفعلُ ذلكَ لوجهِكَ. ومنهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نـاضِرَةٌ﴾[١]، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ﴾[٢]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ﴾[٣].

فَجَمِيعُ ما أُضيفَ إلى «الوُجُوهِ» في ظاهر الآي[٤]، مـن النُّـضْرَةِ، والنَّظَـرِ، والرِّضى، لا تصُحُّ إضافتُهُ إليها، وإنّما يُضافُ إلى الجملة.

المفسِّرون[٥]: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِـكٌ إِلَّا وَجْهَـهُ﴾[٦]. أي: إلّا هُـوَ. يـدلُّ عليـه قولُهُ[٧]. فلو[٨] لم يُرِدْ نفسَهُ، لم يَقُلْ: ﴿ذُو الْـجَلالِ وَالإِكْرامِ﴾[٩].



(١) القيامة: ٢٢.

(٢) القيامة: ٢٤.

(٣) الغاشية: ٨.

(٤) في (ح): الآية. بصيغة الإفراد.

(٥) في الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٣٢٢ منسوب إلى مجاهد فقط وهناك أقوال أُخرى مختلفة لجملـة من المفسرين.

(٦) القصص: ٨٨.

(٧) في (ك): قولو. وهي ساقطة من (هـ).

(٨) في (ش) و(ك) و(هـ) و(ح): وَلَوْ. مَعَ الواو.

(٩) الرّحمن: ٢٧.

فصل [ـ ٣٦ ـ]

[نفي التجسيم عن الله]

قولُهُ ـ تعالى ـ ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1].

أي: نِعَمُهُ. فيما امتنَّ بهِ عليهم من الإسلامِ، فوق نِعْمَتِهِم، الانقيـادُ[2] لـهُ، والإيمانُ بهِ، لأنّهُ عُقَيْبَ قولهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ يَـدُ اللهِ فَـوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[3]. أي: عَقْدُ الله في هذه البيعـةِ، فـوقَ عَقْـدِهم، لأنّهـم يُبـايعون[4] الله، بِبَيْعَةِ نبيِّهِ [ـ صلّى الله عليه وآله ـ][5].

وقيل: قُوَّةُ الله في نصرِ نبيِّهِ [ـ صلّى الله عليه وآله ـ][6] فوقَ نصْرِهِم.

وقيل: يدُ الله، ثابتةٌ في هدايتهم، فوقَ أيديهم بالطّاعةِ، ولو كان لهُ يدٌ فـوقَ

---

(١) الفتح: ١٠.

(٢) في (هـ) و(ح): والانقياد. مَعَ الواو.

(٣) الفتح: ١٠.

(٤) في (ك): يبايعوا.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

أيديهم من جهةِ المكانِ، لم يكن[١] له ـ في ذلك ـ تشريفٌ وتخصيصٌ.

ابنُ عبّاسٍ[٢]: قال يهوديٌّ: إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ كان يُوسِّعُ علينا، ويُعْطِينا، فقد أمسَكَ يدَهُ عنَّا ـ يعني المطر ـ، فأجابَهُمْ اللهُ ـ تعالى[٣] ـ بقوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾[٤]، أي: مُنِعُوا من الإنفاقِ، وضُرِبوا بالبُخْلِ، ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٥].

وقيل: إنَّهُم قالوا على سبيلِ الاستهزاءِ: إنَّ إلهَ محمّدٍ، أرسلَ يديهِ إلى عُنُقِهِ، إذْ لم يُوسِّعْ عليه، وعلى أصحابِهِ، فردَّ اللهُ عليهم، بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. أي: نِعَمُهُ.

ويُحتملُ أنّهم وَصَفُوا اللهَ بما يقتضي تناهي مقدُورِهِ[٦]، فجرى ذلك مجرى قولهم: يدُ فلانٍ، مُنْقَبِضَةٌ، ويدهُ لا تَنْبَسِطُ. ويشهدُ[٧] ـ بذلك ـ قوله[٨]: ﴿لَقَدْ

(١) في (ك): تكن. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق.

(٢) جامع البيان: ٦: ٣٠٠ بالتفسير نفسه من غير ذلك سبب النزول. وهو منسوبٌ في الجامع لأحكام القرآن: ٦: ٢٣٨ إلى عكرمة مولى ابن عباس والراوي عنه.

(٣) (تعالى): ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ) و(ح).

(٤) المائدة: ٦٤.

(٥) المائدة ٦٤.

(٦) في (ح): مقدوراته.

(٧) في (ك) و(أ): نشهد. بالنون الموحّدة من فوق.

(٨) في (ك) و(أ): وقوله. مع الواو.

سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ﴾[1]. ثُمَّ[2] قال ـ تكذيباً لهم ـ: ﴿بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ﴾. أي: [إنّهُ][3] ممّن لا يُعْجِزُهُ شيءٌ.

ومعنى «اليد»: القُدْرَةُ، أيضاً، يقالُ: ما لي بهذا الأمرِ يدٌ، ولا يَدانِ. أي: لا أقدرُ عليه.

ولا يُرادُ إثباتُ قُدرةٍ على الحقيقة، بل يُرادُ إثباتُ كونِ القادرِ، قادراً.

وقولُهُ: ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ﴾[4]، معناهُ: مَنْ يملِكُ ذلك. وقولُهُ: ﴿فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[5]، أرادَ: الجُملةَ دونَ التَّبعِيضِ[6].

***

قولُهُ: ـ سبحانه ـ ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[7]. يجري مجرى قولِهِ: لما خَلَقْتُ أنا. وإنّما قال ﴿بِيَدَيَّ﴾ على وجهِ تخصيص / ٤٣/ الإضافة، لِخَلْقِهِ، إليهِ ـ تعالى ـ. والتَّثنيةُ، أشدُّ مبالغةً. يقالُ: هذا ما كَسَبَتْ يداهُ. وهذا فَعَلَهُ بيديهِ. كما يُقالُ: فَعَلَهُ

---

(١) آل عمران: ١٨١.

(٢) (ثمّ) ساقطة من (ك) و(ح).

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك) و(هـ) و(أ) و(ح).

(٤) البقرة: ٢٣٧.

(٥) الشورى: ٣٠.

(٦) في (أ): البعض.

(٧) ص: ٧٥.

بنفسِهِ. ومنهُ قولهم: يَدَاكَ أَوْكَتَا[١]. وإن كان في ذنوبهم ما هو من أفعالِ القُلُوبِ، وكيف خلق آدمَ بجارحتين، وإنَّهُ مُحتاجٌ إليهما، وإنَّهُ يفعلُ بآلاتٍ، وإنّـهُ يتجـزَّى، لأنَّ اليدين، إثنانِ، ليسَ بواحدٍ.

ومعنى قولِهِ: ﴿بَلْ يَداهُ﴾، أي: نِعْمَتَاهُ، دِيْناً، ودُنْيا.

وقيل: نِعَمُ الدُّنيا، ونَعِيمُ الآخرةِ، لأنّ أوّلَها، يُوجِبُ ذلك، وقد فسَّرهُ اللهُ ـ تعالى ـ في قوله: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ﴾[٢]. قال الشاعر[٣]:

سَبْطُ اليـدَيْنِ بِـمَا في رَحْـلِ صـاحبِهِ ... جَعْـدُ اليـدَيْنِ بـما في رَحْلِـهِ قَطَـطُ

وعلى زعمهم: يُوجِبُ أن تكونا مبسوطتين[٤]، لا تنقبضانِ للتَّخصيص بذلك، ويُوجِبُ كونَهَا[٥] مُركَّبةً، ذات أصابعَ، ليصُحَّ معنى البَسْطِ. وقد تمدَّحَ بذلك، وللخلقِ مثلُهُ، فلا فائدةَ فيهِ.

***

(١) هو بعض من مثل وتمامُهُ: «يداك أوكتا وفُوك نَفَخ» ويضربُ لمن يجني على نفسه الحَيْنَ. أُنظر مجمع الأمثال: ٢: ٤١٤.

(٢) الإسراء: ٢٩.

(٣) الأضداد في كلام العرب: ١: ١٦٤ بلا عزو وفيه: «سمح اليدين...». أساس البلاغة: «قطط»ك ٥١٣. بلا عزو وفيه: «سمح اليدين...».

(٤) في (هـ): مبسوطتان.

(٥) في (ش) و(ك): كونها.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً﴾[1].

أي: عملناهُ من غير أن نَكِلَهُ إلى غيرنا، بمنزلةِ ما يعمَلُهُ العبادُ بأيديهم في أنَّهم تولَّوا فعلَهُ، ولم يَكِلُوهُ إلى غيرهم[2]، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[3].

وقال ابنُ عبّاسٍ[4]، ومجاهدٌ[5] وقتادةُ[6] في قوله: ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ﴾[7] أي: بقُوَّةٍ. وقولُهُ: ﴿أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصارِ﴾[8]، معناه: القَوِيُّ. فيكونُ لفظُ «الأيدي»، تأكيداً لتخصيص الإضافة.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[9]. يُستَعْمَلُ[10] «اليَمينُ»

---

(١) يس: ٧١.

(٢) في (أ): غيرهما.

(٣) النحل: ٤٠.

(٤) جامع البيان: ٢٧: ٧. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١٦٠. الجامع لأحكام القرآن: ١٧: ٥٢ منسوب إلى ابن عبّاس وغيره.

(٥) جامع البيان: ٢٧: ٧. أيضاً مجمع البيان: ٥: ١٦٠.

(٦) جامع البيان: ٢٧: ٧. أيضاً مجمع البيان: ٥: ١٦٠.

(٧) الذاريات: ٤٧.

(٨) ص: ٤٥.

(٩) الزمر: ٦٧.

(١٠) في (هـ) و(أ) و(ح): تستعمل، بتاء المضارعة المثناة من فوق.

في أشياءَ:

أمّا قولُهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ﴾[١]: اليدُ اليُمنى.

﴿وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأَيمانِكُمْ﴾[٢]: القَسَمُ. قال امرُؤُ القيس[٣]:

فقالَتْ: يمينُ اللهِ مالَكَ حِيلَةٌ [وَمَا إنْ أرى عَنْكَ العَمايةَ تَنْجَلي]

والحَدُّ، والصَّرامَةُ. قال الشَّمّاخُ:

[إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ] تَلَقَّاها عَرَابةُ باليمينِ

والمنزِلَةُ الحسَنَةُ: يقالُ: فلانٌ عندَهُ باليَمِين. قال ذو الرُّمَّةَ[٤]:

أبِيني أفي يُمْنَى يَدَيكِ جَعَلْتِني لَكِ الخيرُ أم صَيَّرتِني في شِمالِكِ

وعبارَةٌ عن المِلْكِ. هذا مِلْكُ يَدِي. قولُهُ: ﴿ما مَلَكَتْ أَيمانُكُمْ﴾[٥]. وهذا يرجِعُ إلى[٦] أنّ اليمينَ أرادَ به الجملة ـ جلَّ ذاتُهُ ـ كأنّهُ قال: مِمّا مَلَكْتُمْ. فيكونُ مجراهُ الذّاتَ.

---

(١) الحاقّة: ١٩.

(٢) البقرة: ٢٢٤.

(٣) ديوان امرئ القيس: ١٤ ومنه تمام البيت، وهو من معلّقته.

(٤) نُسِبَ البيت إلى ذي الرّمَّةِ خطأً، وإنّما هو لابنِ الدّمينة. أنظر ديوان ابن الدّمينة: ١٧ وفيه: «فأفرح أمْ صيَّرتني...».

(٥) النور: ٣٣، الروم: ٢٨.

(٦) (إلى) ساقطة من (ك).

فلو حملناهُ على الجارحةِ، اقتضى التَّشبيهَ الـمُؤدِّي إلى مُناقضةِ الأُصولِ، وأن يكونَ السَّماءُ، مطويَّةً بيمينه، ويُؤدِّي إلى مُناقضةِ القُرآن من حيثُ أخبَرَ عن حالِ السَّماءِ في ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾[١]، ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[٢]، ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾[٣]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾[٤]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾[٥]، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾[٦]، فكيف تكون[٧] السَّماءُ مع هذه الأحوال من انشقاقٍ، وانفطارٍ، وكونِها مُهْلاً، ووَرْدَةً مطويّةً؟

وإنّهم رَوَوا: إنَّ[٨] كِلْتا يديهِ يمينٌ[٩]، وإنَّ[١٠] الحجرَ الأسودَ، يمينُ الله، فبأيِّ يمينِهِ تكونُ مطويَّةً؟ وهو لم يُبَيِّنْهُ.

---

(١) المعارج: ٨.

(٢) الرحمن: ٣٧.

(٣) الحاقّة: ١٦.

(٤) الانشقاق: ١.

(٥) الانفطار: ١.

(٦) التكوير: ١١.

(٧) في (ش) و(ك) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٨) (إنَّ) سقطت من (ح).

(٩) في (ش) و(ك) و(أ): يميناً. وفي (ح): يمناوان.

(١٠) في (ح): والحجر.

واليدُ، إنّما فُرِّق باليمين، وباليسار، للتّمييز. فأمّا إذا كانت كلتا يديهِ يميناً، فلا معنى للقولِ، بأنّه فعل كذا بيمينهِ، مَعْنِيّاً[1] به الجارحةَ. إذْ يقعُ بهِ التّمييزُ[2].

ولعلَّ السّمواتِ تَكُونُ مَطْوِيّةً بالحجرِ الأسوَدِ، ولا يَجُوزُ بِمَعْنَى: الـمَنْزِلَةِ الحسنةِ، لأنّهُ لا مَعْنَى لَهُ في الآيةِ. ولا بِمَعْنَى: الـمِلْكِ، لأنّهُ لا يُقالُ: كـانَ ذلِـكَ بمِلْكِ يَمِيْنِي. ولا بِمَعْنَى: الحدِّ والصَّرامَةِ، لأنَّ ذلِكَ لا يُفيدُ، وإنَّما استُعْمِلَ ـ في ذلِكَ ـ بالألفِ. فلم يَبْقَ إلّا بالقُدرةِ، وبالقَسَمِ. وذلَكَ أقوالُ المفسِّرينَ.



(١) في (ك) و(هـ) و(أ): معيَّناً. بياء ثم نون.

(٢) في (هـ) و(أ): التميُّز.

فصل [ـ ٣٧ ـ]

[في نفي التجسيم عن الله]

قوله ـ تعالى ـ ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْـقِيامَةِ﴾ (١).

القَبْضَةُ، لو فُسِّرَتْ على الظَّاهِرِ، لأوجَبَ أنَّ الأرضَ قبضتُهُ. أي: جارحتُهُ. ويقتضي أنَّهُ ليست لهُ قبضةٌ سوى الأرضِ(٢)، والأرضُ ليست بجارحةٍ لهُ.

ولا يخلو(٣) قولهُ ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ﴾ من ثلاثةِ أوجهٍ:

إمَّا أن يكونَ إخباراً أنّ الثّاني هو الأوّلُ. كما يُقال: زيدٌ(٤) أخوكَ. فيقتضي ذلك أنّ الأرضَ كَفُّه الـمُجْتَمِعُ.

أو أنْ يُقالَ ذلك على سبيل التّشبيهِ للأوّلِ بالثّاني، تفصيلاً، كما يُقالُ: فلانٌ

---

(١) الزّمر: ٦٧.

(٢) في (ش): ليست قبضته سوى الأرض.

(٣) في (ك) و(أ): تخلو.

(٤) في (أ): زيداً.

عَيْنِي، وهو فُؤادي، وكما يُقالُ: فلانٌ أسدٌ، وبَحْرٌ. تشبيهاً لهُ بِهِما في الجُودِ، والشَّجاعةِ، ولا يجوزُ ذلكَ.

وإمّا أنْ يُرادَ: أنَّهُ مُلْكُهُ، أو فِعْلُهُ، كقولِهِم: هذهِ دارُهُ، وعبْدُهُ[1]. هذا كسْبُهُ، وفِعْلُهُ. وعلى هذا الوجه، يصُحُّ.

ابنُ عبّاسٍ[2]، ومجاهدٌ[3]: أي: مِلْكُهُ. ومنهُ يُقالُ: هذا في قَبْضَتي. وقَبَضْتُ الدّارَ. والأرْضُ هذه قَبْضَةٌ، أي: مُجْتَمِعَةٌ. ومنهُ: قَبْضَةُ اليدِ، والقوسِ، ومِقْبَضُ السَّيفِ. القَبْضُ ما قُبِضَ من الغنائمِ، والفيءِ. والتَّقَبُّضُ: التَّشَنُّجُ، والعُبُوسُ. ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾[4]، «فَعْلَةٌ» مِنْهُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً﴾[5].

---

(١) في (ش) عنده. بنون موحّدة من فوق. وهو تصحيف.

(٢) في جامع البيان: ٢٤: ٢٥ نُقِلَ عن ابن عبّاس ما يُخالف قوله هذا. الجامع لأحكام القرآن: ١٨: ٢٧٥ منسوباً إلى ابن عبّاس نقلاً عن ابن قتيبة.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٨: ٢٧٥ نقلاً عن ابن قتيبة.

(٤) طه: ٩٦.

(٥) الفرقان: الآيتان ٤٥ ـ ٤٦.

إنَّما هي حيثُ تُشْرِقُ عليهِ الشَّمسُ، فيَتَقَلَّصُ[١]، لأنَّهُ ما رُئِيَتْ يَدُهُ[٢] مُجَسَّدَةً، تَقْبَضُ[٣] الظِّلَّ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾[٤].

ما رُئِيَتْ يدٌ تُمْسِكُ شيئاً، وإنّما معنى ذلك: القدرةُ على إمساكها.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾[٥].

أي: يَمْنَعُ، ويُعْطِي.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها﴾[٦]، وقولـه: ﴿إِنَّ

---

(١) (فيتقلَّص) مطموسة في (أ).

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ): يد. من دون الضمير (الهاء).

(٣) في (أ): وتقبض، مع الواو.

(٤) الملك: ١٩.

(٥) البقرة: ٢٤٥.

(٦) هود: ٥٦.

بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾(١).

لا يُوصَفُ ـ جلَّ ثناؤُهُ ـ بالقبضِ على الشَّيءِ. فالمعنى ـ في ذلك ـ إنّها في مِلْكِهِ.



(١) البروج: ١٢.

فصل [ـ ٣٨ ـ]

[نفي التجسيم عن الله]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾[1].

الجَنْبُ: العَضُو الـمَعْرُوفُ، والنَّاحيةُ. قال مُهَلْهِلٌ[2]:

كَأنّـا ـ غُـدْوَةً ـ وَبَنِـي أبِيْنَـا ـ ... بِجَنْـبِ عُنَيْـزَةٍ رَحَيَـا مُـدِيرِ

وَلَصِيْقُ[3] الشَّيءِ. ومنهُ: الصّاحِبُ بِالجَنْبِ. والسَّبَبُ[4]، ويقامُ مقامَ «أَجْل»، يُقالُ: فَعَلْتُهُ في جَنْبِهِ، وفي سَبَبِهِ، ومن أَجْلِهِ. الأحمَرُ:

خَلِيلَيَّ كُفَّا واذْكُرا اللهَ في جَنْبِي ... وَقَدْ لُمْتُمَا في غيرِ إثْمٍ، ولا ذَنْبِ

أي: في أمْرِي.

والجَنْبُ الّذي هو، الجارِحَةُ، ولصِيقُ الشَّيءِ، غيرُ معْقُولٍ. وبمعنى

---

(١) الزُّمر: ٥٦.

(٢) الأصمعيّات: ١٥٥. الاشتقاق: ٢: ٣٢١. أمالي القالي: ٢: ١٥٠. شرح المفصَّل: ٤: ١٤٧. خزانة الأدب. ٣: ٥٢٠..

(٣) في (ك): لضيق. بالضاد المعجمة.

(٤) في (هـ): النَّسَب. بالنون الموحّدة من فوق بعدها السين.

السَّبَبِ، و«أَجْلِ»، كلامٌ مَفهُومٌ.

فمعناهُ: ﴿ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾. أي: أمرِهِ. قالَهُ مجاهدٌ[1]. وهو الصَّحيحُ، لأنَّ «الجَنْبَ» يُعبَّرُ بهِ عَنِ الذَّاتِ، يقالُ: في جَنْبِ فلانٍ حَقٌّ.

وقال ابنُ[2] عبّاس: في ذاتِ اللهِ.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ، والوصيِّ[3]، والسَّجَّادِ، والباقرِ، والصَّادقِ، والرِّضا، وزيدِ بن عليٍّ ـ عليهم السلام ـ: جَنْبُ اللهِ، عَلِيٌّ[4].

***

قولُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ الآية[5].

السَّاقُ: ذاتُ القَدَمِ: ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها﴾[6]. وساقُ الشَّجرةِ الّتي ترتفعُ عليها. ويقالُ: ساقٌ على ساقٍ. أي[7]: قُمْرِيَّةٌ[8] على شجرةٍ. والشِّدَّةُ.

---

(١) جامع البيان: ٢٤: ١٨. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٥٠٤. الأسماء والصفات: ٣٦.

(٢) في مجمع البيان: ٤: ٥٠٤ نُسِبَ إلى ابن عبّاس ـ في هذا الموضع ـ قولهُ: في ثواب الله.

(٣) في (أ): الرضى.

(٤) الكافي: ١: ١٤٥. التّوحيد: ١٦٤، ١٦٥ عن الصادق (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) مجمع البيان: ٤: ٥٠٤ عن الباقر (عليه السلام) قوله: نَحْنُ جَنْبُ الله.

(٥) القلم: ٤٢.

(٦) النّمل: ٤٤.

(٧) العبارة: «أي... ساق» ساقطة من (أ).

(٨) القُمْرِيَّة: ضرب من الحمام مطوّق حسن الصّوت. جَمْعُها: قُمْر. (المعجم الوسيط ـ قَمَرَ).

يقالُ: قامتِ الحربُ على ساقٍ. سَعْد بنُ مالكٍ[١]:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ ساقِها وَبَدا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ[٢]

فالجارحةُ، لا يجوزُ، لأنّهُ لم يَقُلْ: عن ساقِهِ. ولم يَقُلْ: مَنْ يَكْشِفُ.

وَنكَّرَ «السَّاق»، ولم يُعَرِّفْهُ، فلا دلالةَ على شيءٍ ممّا قالُوهُ.

وما رَوَوْهُ، فباطِلٌ، لا أصلَ لَهُ، وليس من الصِّحاحِ عندَ القومِ. وذلك كُفْرٌ شَنِيعٌ.

وما في كَشْفِ ساقِهِ، ممّا يُوجِبُ معرفتَهُم، بإنَّهُ رَبُّهم، ويلزَمُهُم التَّشبيهُ، وإبطالُ أدلَّةِ العُقُول، ورفْعُ الإجماعِ، وتناقُضَ القُرْآن.

ولا يجوزُ بمعنى الشَّجرةِ، أو القُمْريِّ، لأنّهُ غيرُ مفيدٍ فيهما. فلم يَبْقَ إلّا الشِّدَّةُ، وهو حالُ الكُفّارِ، لقولِهِ في آخرِها: ﴿وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾[٣].

---

(١) في النسخ جميعها: سعيد بن مالك، وصوَّبناهُ من المراجِع.

(٢) معاني القرآن: ٣: ١٧٧ وفيه: (الشّر البراح) معزوّاً إلى جدّ طرفة. ديوان الحماسة برواية الجواليقي: ١٤٤ معزوّاً إلى سعد بن مالك جدّ طرفة بن العبد. الخصائص: ٣: ٢٥٢. شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ١٨٧ مشفوعاً ببيت آخر، معزوّاً إلى سعد بن مالك. التبيان في تفسير القرآن: ١٠: ٨٧ معزواً إلى جدّ طرفة. وكذا في الأسماء والصّفات: ٣٤٦.

(٣) القلم: ٤٣.

ورُوِيَ(١) عن ابنِ عبّاسٍ(٢)، وابن جبيرٍ(٣)، وابـن المُـسيَّبِ، وقتـادةَ(٤): إنَّـهُ شِدَّةٌ.



(١) (روي) سقطت من (ح).

(٢) جـامع البيـان: ٢٩: ٣٨. أيـضاً: مجمـع البيـان: ٥: ٣٣٩. الـدر المنثـور: ٨: ٢٥٤. الأسـماء والصّفات: ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧. الجامع لأحكم القرآن: ٨: ٢٤٩.

(٣) جامع البيان: ٢٩: ٣٩. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٣٩. الدر المنثور: ٨: ٢٥٥.

(٤) جامع البيان: ٢٩: ٣٩. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٣٩. الدر المنثور: ٨: ٢٥٦.

فصل [ـ ٣٩ ـ]

[نفي التجسيم عن الله]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [(١)].

معناهُ: وجاءَ أمرُ رَبِّكَ. حَذَفَ المُضافَ، وأقامَ المُضافَ إليهِ، مقامَهُ. والحَذْفُ في أمثالِهِ، جائزٌ، إذا كان ـ هناك ـ مانعٌ عن الجَرْيِ على الظّاهرِ. نحو: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [(٢)].

وقال الحسنُ[(٣)]: أي: جاءَ وعدُ ربِّكَ. يعني: الأحكامَ بالثَّوابِ، والعِقَابِ.

وقال الضَّحَّاكُ[(٤)]: إذا نَزَلَ أهلُ السَّمواتِ ـ يومَ القيامةِ ـ كانُوا[(٥)] تسعةَ صفوفٍ محيطينَ بالأرضِ، ومَنْ عليها.

***

(١) الفجر: ٢٢.

(٢) يوسف: ٨٢.

(٣) مجمع البيان: ٥: ٤٨٨. الجامع لأحكام القرآن: ٢٠: ٥٥.

(٤) جامع البيان: ٣٠. ١٨٦. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٤٨٩. وفيهما: سبع صفوف.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): وكانوا. مع الواو.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ﴾ (١).

انتظارُ الكُفّارِ، أنَّهم يأتيهم في الظُّلَلِ، يُوجِبُ كونَهُ جِسْماً، وجَوْهراً، يَزُولُ، ويَغِيبُ، وَيَجِيءُ، ويَذْهَبُ، ويَبْعُدُ، ويَقْرُبُ، ويَظْهَرُ، ويَخْفَى.

قال ابنُ عبّاسٍ(٢): إتيانُهُ بوعدِهِ، ووعِيدِهِ، وإنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يكشِفُ عنهم ما كانَ مستوراً عنهم. واللهُ [معهم](٣) في كُلِّ حالٍ، فَهُمْ يَرَوْنَ أهوالَ الغَمَامِ، وغيرِهِ، من الملائِكَةِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ﴾ (٤).

أي: أتى أمرُهُ في خرابِهِ. يدلُّ على ذلك قولُهُ في آخرِها: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتاهُمُ الْعَذابُ﴾ (٥).

***

(١) البقرة: ٢١٠.

(٢) قول ابن عباس هذا في مجمع البيان: ١: ٣٠٣ بلا عزوٍ إلى أحدٍ. وفي الجامع لأحكام القرآن: ٣: ٢٦: وقال ابن عبّاس في رواية أبي صالح: هذا من المكتوم الذي لا يُفسَّر.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

(٤) النّحل: ٢٦.

(٥) النّحل: ٢٦.

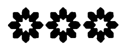
قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْـخَيْراتِ﴾[١].

أي: نُقدِّمُ لهم ثوابَ أعمالِهِم، لرضانا عنهم، ومَحَبَّتِنا إيّاهُم، كَلّا! ليس الأمرُ كذلك، بل نفعلُهُ ابتداءً من التَّعَبُّدِ لَهُم.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ﴾[٢].

أي: أحاطَ عِلْمَاً بأحوالِهِم، وما يفعلون من طاعةٍ، / ٤٥/ أو معصيةٍ، وما يستحقُّونه ـ على ذلك ـ من الثَّوابِ، والعقابِ، وهو قادرٌ على فعلِ ذلك بهم، فَهُمْ في قبضَتِهِ، لا يقدرونَ أنْ يَخْرُجوا من مشِيْئَتِهِ.



(١) المؤمنون: ٥٦.

(٢) الإسراء: ٦٠.

فصل [ـ ٤٠ ـ]

[في مسائلَ متفرِّقة]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْـقُرى وَهِيَ ظالِـمَةٌ﴾[(١)].

وجهُ التَّشبيهِ فيهِ، بأخْذِهِ من الظَّالِمِ حقَّ المظلومِ، بلا مُداراةٍ[(٢)]، فإنَّ الله ـ تعالى ـ نَقَلَهُمْ إلى جهةِ عِقَابِهِ[(٣)]، بلا مُحاباةٍ. ونَقْلُ الشَّيءِ إلى جهةِ الأخْذِ، مجَازٌ.

وكذلك يُؤَوَّلُ قولُهُ: ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[(٤)]، وقولُهُ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[(٥)].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾[(٦)].

معناهُ: إنْ أحَلَّ بكَ الضُّرَّ، لأنَّ المسَّ الحقيقيّ، ما يكونُ بينَ الجسمينِ،

---

(١) هود: ١٠٢.

(٢) في (ك): مَرَارَة. بالراء المهملة وبألفٍ واحدة.

(٣) في (أ): عقايد.

(٤) هود: ١٠٢.

(٥) البروج: ١٢.

(٦) الأنعام: ١٧. يونس: ١٠٧.

وذلك لا يجوزُ عليهِ. لكنْ لـمَّا أدْخَلَ «الباء» الـمُتَعدِّيَةَ، جـرى مجـرى أنْ يقـولَ: يَمَسُّكَ. مِنَ «الـمَسِّ»[1].

وأمّـا[2] إذا لم يكُـنْ[3] مُتَعَـدِّياً إلى مفعـولين، فيكـونُ كقولِـهِ: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾[4].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾[5].

جَعَلَ «الـمَسَّ» ـ على الله ـ على وجهِ المجازِ، لأنَّ الخَيْرَ، والشَّرَّ، عَرَضَـانِ، لا تصُحُّ ـ عَلَيْهِما ـ الـمُمَاسَّةُ. وأرادَ ـ تعالى ـ بـذلك الترغيـبَ في عبادتِـهِ، وتـركِ عبادَةِ سواهُ، لأنّهُ ا المالِكُ للنَّفْعِ، والضُّرِّ دون غيرِهِ، وأنّهُ القادِرُ عليهما.

***

قولُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمـا مَنَعَنـا أَنْ نُرْسِـلَ بِالآيـاتِ إِلّا أَنْ كَـذَّبَ بِهَـا الأَوَّلُونَ﴾[6].

---

(١) في (ح): من أمسّ.

(٢) في (ح): فأمّا. مع الفاء.

(٣) في (أ): تكن.

(٤) الأنبياء: ٨٢.

(٥) الأنعام: ١٧.

(٦) الإسراء: ٥٩.

لا يجوزُ إطلاقُ المنعِ في صفاتِ الله ـ تعالى ـ لأنَّ المنعَ وُجودُ ما لا يصُحُّ معه وقوعُ الفِعْلِ من القادِرِ عليهِ.

وإنّما جاز ـ ههنا ـ للمبالغةِ في أنّه لا يصُحُّ وُقوعُ الفعل، فكأنَّهُ قد منع [منهُ][1].

والحقيقةُ: أنّا لم نُرسِلْ بالآياتِ، لكيلا يُكَذِّبَ بها هؤلاءِ، كما كَذَّب مَنْ قبلَهُمْ، فيستحقُّوا[2] المُعاجلَةَ بالعقوبةِ.

وقيل: قولُهُ: ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾، يجوزُ أن تكونَ[3] «إلّا» زائدةً. وتقدِيرُهُ: ما منعنا أنْ نُرْسِلَ بالآياتِ أنْ كذَّبَ بها الأوّلُون. أي: لم يَمْنَعْنا ذلك من إرسالها، بل أرْسَلْنَاها معَ تَكْذِيبِ الأوّلينَ.

ومَعْنَى ﴿أَنْ كَذَّبَ﴾، هُو التّكذيب، كَما تقولُ[4]: أُريدُ أن تقومَ[5]. بمعنى: أُريدُ قِيامَكَ.



(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٢) في (ش): فيستحقّون. بإثبات نون الرفع.

(٣) في (ش) و(ك) و(أ): يكون.

(٤) في (ك): يقال: بصيغة المبني للمجهول.

(٥) في (ش): يقوم.

فصل [ـ ٤١ ـ]

[في معنى الشاكر والجبّار]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكانَ اللهُ شاكِراً عَلِيماً﴾[١].

والشُّكْرُ، هو الاعترافُ بالنِّعْمَةِ، وذلك لا يجوزُ على الله ـ تعالى ـ.

معناهُ: لم يَزَلِ اللهُ مُجَازِياً للشَّاكِرِ على شُكْرِهِ في جميعِ عبادِهِ، عَالِماً[٢] بما يستحقُّونهُ على طاعاتهم من الثَّوابِ.

وقيل: إنّما يجوزُ الشُّكرُ منه، [على][٣] معنى الجزاءِ عليهِ، كما قال: ﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾[٤]. والجزاءُ ليسَ سيِّئةً، ولكن أُطْلِقَ[٥] ذلك، لازدواجِ الكلامِ.

وقال المُرْتَضَى: إنَّهُ فاعلٌ، بمعنى: مفعولٍ. كما يقالُ: رِدَاءٌ ساحِبٌ، بمعنى:

---

(١) النساء: ١٤٧.

(٢) في (أ): فلما.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

(٤) الشورى: ٤٠.

(٥) في (أ): أطاق.

مَسْحُوبٍ. فالشَّاكِرُ[١] بمعنى: الـمَشْكُورِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[٢].

الشَّكُورُ في صفاتِ الله ـ تعالى ـ مجازٌ، لأنَّهُ ـ في الأصلِ ـ هو الـمُظْهِرُ، للإنْعَام عليهِ، واللهُ ـ تعالى ـ لا تَلْحَقُهُ المنافِعُ والمضارُّ، فيكونُ معناهُ: إنَّهُ يُعَامِلُ الـمُطِيعَ في حُسْنِ الجزاءِ، معامَلَةَ الشَّاكِرِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الْـجَبَّارُ الْـمُتَكَبِّرُ﴾[٣].

معنى «الجبَّار»، عزيزٌ، لا يُنالُ باهتضامٍ. والجبَّارُ: مَدْحُ الباري، ـ كما قال ـ وَذَمٌّ للخلقِ، قولهُ: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾[٤].

وأمّا قولُهُ ـ في صفةِ النَّبيِّ ـ عليه السلام[٥] ـ: ﴿وَما أَنتَ عَلَيْهِمْ

---

(١) في (هـ): فالشكر.

(٢) التغابن: ١٧.

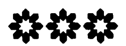
(٣) الحشر: ٢٣.

(٤) مريم: ٣٢.

(٥) في (ح): صلى الله عليه وآله.

بِجَبَّارٍ﴾(١). قال(٢) الفرَّاء(٣): أي: لا تُجْبِرْهُمْ على الإسلامِ.

والصَّحِيحُ: أي: لا تَتَجَبَّرْ عليهم. لأَنَّهُ لم يُسْمَعْ «فَعَّالٌ» مِنْ: «أَفْعَلْتَ».



(١) ق: ٤٥.

(٢) في (ح): فقال. مع الفاء.

(٣) معاني القرآن: ٣: ٨١.

فصل [ـ ٤٢ ـ]

[في مسائل متفرّقة]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿الْـمَلِكُ الْقُـدُّوسُ الـسَّلامُ الْـمُؤْمِنُ الـمُهَيْمِنُ الْعَزِيـزُ الْـجَبَّارُ الْـمُتَكَبِّرُ﴾ (١)، ﴿وَلَهُ الْـكِبْرِياءُ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾ (٢).

إنَّما قَبُحَ (٣) تزكيةُ النَّفسِ من الآدميِّ، لأنَّهُ مَنْقُوصٌ (٤) في كُلِّ ما يَمْدَحُ بهِ نفسَهُ.

ولمّا قال ـ تعالى ـ: إنَّهُ كَرِيمٌ، أو رَحِيمٌ، أو عَلِيمٌ، ففيه كُلُّ الكَرَمِ، والرَّحمةِ، والعِلْمِ. ولا يَجْتَلِبُ بِمَدْحِ نفسِهِ، ولا يَدْفَعُ ضُرّاً.

وجاز ـ أيضاً ـ أن يَمْدَحَ نفسَهُ، لِيَعْرِفَها ـ أيضاً ـ خَلْقُهُ، لِيُعْبَدَ، ويُعَظَّمَ.

***

(١) الحشر: ٢٣.

(٢) الجاثية: ٣٧.

(٣) في (ش): فتح. بالفاء الموحّدة بعدها التّاء المثنّاة من فوق.

(٤) في (أ): منقوض. بالضاد المعجمة.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾[١]، وقوله: ﴿هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ﴾[٢].

قال الطُّوسيُّ[٣]: إنّما يَقْبُحُ الامتنانُ، إذا كان الغَرَضُ[٤] الإزْراءَ[٥] بالمُنْعِمِ عليهِ. فأمّا إذا كان الغرضُ تعريفَ النِّعْمةِ، وتعديدَهَا، وإعلامَهُ وُجُوبَها، لِيُقَابِلَها بالشُّكْرِ، فيستحقُّ بها الثَّوابَ، والمدحَ، فإنَّهُ نعمةٌ أُخرى، وتفضُّلٌ آخرُ[٦]، يستحقُّونَ بها الشُّكْرَ.

وقال ثعلبُ[٧]: أجمعَ أهلُ اللغةِ كُلُّهم أنَّ المنَّ من الله محمودٌ، لأنَّهُ مِنَّةٌ، وتفضُّلٌ. وأُصولُ النِّعَمِ كُلُّها مِنّةٌ[٨]. والمنُّ من الخَلْقِ، تَقْرِيعٌ وتوبيخٌ. قوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية[٩].

***

(١) إبراهيم: ١١.

(٢) ص: ٣٩.

(٣) التبيان: ٩: ٣٥٥.

(٤) (الغرض) ساقطة من (أ).

(٥) في (أ): الأزر.

(٦) في (ش): أُخرى. وهو تحريف.

(٧) في (ش): تغلب. بالتاء المثناة من فوق بعدها غين معجمة. وهو تصحيف.

(٨) في (ش) و(ك) و(هـ): منه. بالهاء غير المنقوطة.

(٩) الحجرات. ١٧.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ ﴿ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ للهِ وَقاراً﴾[1].

المرادُ ـ هاهنا ـ سِعَةُ مَقْدُورَاتِهِ.

وقال ابنُ عبّاسٍ[2]، ومجاهدٌ[3]، والضَّحَّاكُ[4]: أي: عَظَمَتُهُ.

ويقالُ: أي: لا تخافونَ لله[5] تعظيماً، وتَوْقِيراً.

قال أبو ذُؤَيبٍ[6]:

إذا لَسَعَتْهُ الدبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا/ ٤٦/ وَحَالَفَها في بَيْتِ نُوبٍ وكابلِ[7]

النَّابِغَةُ[8]:

مَحَلَّتُهُمْ ذاتُ الإلهِ وَدِينُهم قَوِيمٌ فما يَرْجُونَ غيرَ العَوَاقِبِ

***

(١) نوح: ١٣.

(٢) جامع البيان: ٢٩: ٩٤. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٦١. الجامع لأحكام القرآن: ١٨: ٣٠٣ في أحد الأقوال.

(٣) جامع البيان: ٢٩: ٩٤. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٦١. الجامع لأحكام القرآن: ١٨: ٣٠٣.

(٤) جامع البيان: ٢٩: ٩٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٨: ٣٠٣.

(٥) في (ش): الله. من دون حرف الجر (الباء).

(٦) ديوان الهذليين: ق١: ١٤٣.

(٧) في الديوان: خالفها. بالخاء المعجمة. وإشارة إلى الرواية المطابقة لرواية كتابنا هذا: وفيه أيضاً: نُوبٍ عواسِل.

لم يرجُ: لَمْ يَخْشَ، لم يَخَفْ. النُّوب: التي تنوب، أي: تجيء وتذْهَبُ.

(٨) ديوان النابغة الذّبياني: ٤٧.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا﴾[١].

قال ابنُ عبّاسٍ[٢]: جَدُّ رَبِّنا، عَظَمَتُهُ. وهذا كقوله: ﴿بِسْمِ اللهِ﴾[٣]، وكقوله[٤]: ﴿تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾[٥]، وكقوله[٦]: ﴿وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[٧]. فتكونُ هذهِ زياداتٍ.



(١) الجنّ: ٣.

(٢) جامع البيان: ٢٩: ١٠٢. وفيه: عن ابن عبّاس في قوله: ﴿تَعالى جَدُّ رَبِّنا﴾ يقول: فعلُهُ، وأمرُهُ، وقُدْرتُهُ. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٦٨. وفيه: تعالى قدرةُ ربّنا. وفي الجامع لأحكام القرآن: وقال ابن عبّاس: قدرتُهُ.

(٣) الفاتحة: ١.

(٤) في (ح): قوله.

(٥) الرّحمن: ٧٨.

(٦) في (ح): قوله.

(٧) الرّحمن: ٢٧.

فصل [ـ ٤٣ ـ]

[في مسائل متفرّقة]

قَولـهُ ـ تعـالى ـ ﴿إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً﴾[١]، وقولُهُ: ﴿وَاللهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْـحَقِّ﴾[٢].

الاسْتِحْيَاءُ: الانْقِبَاضُ عنِ الشَّيءِ في اللِّسانِ. فتأويلُهُ ما قال الـمُفَـضَّل[٣]: معناهُ لا يمتنِعُ.

وقال غيرُهُ[٤]: لا يَترُكُ.

وقـال جماعـةٌ[٥]: لا[٦] يخـشى. لأنَّ «يَـسْتَحِيي»[٧]، جـاءَ بمعنـى قولِـهِ:

---

(١) البقرة: ٢٦.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) القول في مجمع البيان: ١: ٦٧ من دون عزوٍ. وكذا في الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٤٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٤٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٤٢.

(٦) (لا) ساقطة من (أ).

(٧) «لأنّ يستحي» ساقطة من (أ).

﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ﴾[١].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَا اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

أي: ليسَ اللهُ، بساهٍ عن كتمانِ الشَّهادَةِ الَّتي لَزِمَكُمْ[٣] القيامَ بها لله ـ تعالى ـ أعني أوَّلَ[٤] الآيةِ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ﴾[٥].

وقيل: إنَّهُ على عُمومِهِ. والمعنى: إنّهُ لا يخفى عليهِ شيءٌ من المعلوماتِ، لا صغيرُها، ولا كبيرُها، فكونوا على حَذَرٍ، من الجزاءِ على السَّيِّئاتِ، بما تستحقُّونَهُ من العقاب.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٦].

والذِّكْرُ بعدَ النِّسيانِ؟

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) البقرة: ١٤.

(٣) في (أ): لم نكم.

(٤) في (هـ): الأوّل. مع الألف واللّام.

(٥) البقرة: ١٤٠.

(٦) البقرة: ١٥٢.

قُلنا: الذِّكرُ، حضورُ المعنى في النَّفْس. ومعناهُ: فاذكروني بطاعتي، أذكُرْكُمْ [برحمتي، أذكروني بالشّكر، أذكركم] (١) بالثَّوابِ. اذكروني بالدُّعاءِ، أذكركم بالإجابة، ونحو ذلك.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ذلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ (٢).

قال الطوسيُّ (٣): نُكَلِّمُكَ بهِ. كما يقالُ: أنشأ زيدٌ الكتابَ، وتلاهُ عَمْرُو.

وقال الجُبَّائيُّ: يَتْلُوهُ عَلَيْكَ (٤) بأمرِنا جِبْرِيلُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ (٥).

اختَلَفُوا: هل يجوزُ أنْ يُوصَفَ اللهُ ـ تعالى ـ بأنَّهُ مُسْتَطِيعٌ، أم لا؟

فقالَ بعضُهُم: يجوزُ لقولِهِ: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ

---

(١) ما بين المعقوفتين سقطت من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

(٢) آل عمران: ٥٨.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٢: ٤٨١.

(٤) في (هـ): يتلوه عليك يا محمد بأمرنا جبريل.

(٥) المائدة: ١١٢.

السَّماءِ﴾[١].

وقال آخرون: لا يجوز. لأَنَّهُ يُوْهِمُ[٢] الحالَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ﴾[٣].

اللَّعْنَةُ: الإبْعَادُ من رحمةِ الله، عِقَاباً على معصيتِهِ. فلذلك لا يجوزُ لَعْنُ البهائِمِ، ولا مَنْ لَيْسَ بعاقلٍ من المجانين، والأطفالِ، لأَنَّهُ سُؤالُ العُقُوبةِ، لمن لا يستحقُّها. فمن لَعَنَ حَيَّةً، أو عَقْرَباً، أو نحو ذلك، مِمّا[٤] لا معصيةَ لهُ، فقد أخطأ، لأنّهُ سألَ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ ما لا يجوزُ في حكمتِهِ.

فإنْ قَصَدَ ـ بذلك ـ الإبعادَ ـ لا على وَجْهِ العُقُوبةِ ـ كان ذلك جائزاً.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوى﴾[٥].

سأل عمرو بنُ عبيدٍ الباقرَ ـ عليه السلام ـ، فقال[٦]: غَضَبُ الله، عِقَابُهُ

---

(١) المائدة: ١١٢.

(٢) في (أ): يربهم. وهو تحريف.

(٣) النساء: ٥٢.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): مِمَّنْ.

(٥) طه: ٨١.

(٦) في (ش): يقال. بياء المضارعة المثنّاة من تحت. وهو تحريف.

يا عمرو. ومَنْ ظَنَّ أنَّ اللهَ يُغَيِّرُهُ[١] شيءٌ، فقد كَفَرَ. إنّما يَغْضَبُ المَخْلُوقُ الّذي يأتيهِ الشَّيءُ، ويستفِزُّهُ، ويُغيِّرُهُ عن الحال، الّتي هو عليها إلى غيرها، فمن زَعَمَ أنّ اللهَ يُغيِّرُهُ الغَضَبُ، والرِّضاءُ، ويَزُولُ من هذا، إلى هذا، فَقَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةِ المخْلُوقِ.

وسُئِلَ الصَّادقُ[٢] ـ عليه السلام ـ هل لله رضا، وسُخْطٌ؟

فقال: نعم. ولكن ليس ذلك ممّا يُوجَدُ مِنَ المخلُوقين. غَضَبُ الله، عِقَابُهُ، ورِضَاهُ، ثَوابُهُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ﴾[٣].

قال ابنُ عبّاسٍ[٤]، ومجاهدٌ[٥]، وقتادةُ[٦]، والسُّدِّيُّ[٧]، وابنُ[٨] زيدٍ: معنى

(١) في (أ): يضرّه. بالضاد المعجمة بعدها راء مشدّدة.

(٢) الكافي: ١: ١١٠. التوحيد: ١٧٠. أمالي الصدوق: ٢٤٧.

(٣) الزّخرف: ٥٥.

(٤) جامع البيان: ٢٥: ٨٤. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٥٢. الدر المنثور: ٧: ٣٨٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ١٠١ برواية الضحّاك.

(٥) جامع البيان: ٢٥: ٨٤. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٥٢. الدر المنثور: ٧: ٣٨٤.

(٦) جامع البيان: ٢٥: ٨٤.

(٧) جامع البيان: ٢٥: ٨٤.

(٨) جامع البيان: ٢٥: ٨٤.

«آسَفُونا»: أغضَبُونا. لأنَّ الله ـ تعالى ـ يَغْضَبُ على العُصاةِ. بمعنى: أنَّهُ يُريدُ عِقَابَهُم.

والأسفُ ـ في الأصل ـ الغَيْظُ من المُغْتَمِّ. إلّا أنَّهُ ـ هاهنا ـ بمعنى الغَضَبِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ﴾ (١).

قال ثعلبُ(٢): معناهُ: يا حسرةً عليهم، لا علينا، ولا على رُسُلِنا.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ﴾ (٣).

إنّما سَمَّى «الهوى» إلهاً من حيثُ أنَّ العاصِيَ، يَتَّبِعُ هَوَاهُ، ويَرْتَكِبُ ما يَدْعُوهُ إليه.

وقال الحسنُ(٤): معناهُ: اتَّخَذَ إلههُ بِهَواهُ. لأنَّ الله ـ تعالى(٥) ـ يُعرَفُ بِحُجَّةِ

---

(١) يس: ٣٠.

(٢) في (ك): ثغلب. بالغين المعجمة. وهو تصحيف.

(٣) الجاثية: ٢٣.

(٤) مجمع البيان: ٥: ٧٨.

(٥) (تعالى) ساقطة من (أ) و(ح).

العَقْلِ، لا[1] بالهوى.

وقال ابنُ عبّاسٍ[2]: معناه[3]: أفرأيتَ مَنْ اتَّخَذَ دِينَهُ بِهَوَاهُ، لأنَّهُ يَتَّخِذُهُ بلا بُرْهانٍ.

وقال ابنُ جُبَيرٍ[4]: كانُوا يعبدون «العِزَّى»، فإذا وَجَدُوا ما هو أحسنُ منهُ، طرحُوا الأوَّلَ، وعبدُوا الآخرَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[5].

أي: أخبرَ بما[6] يَقُومُ مقامَ الشهادةِ مِنَ الدِّلالات الواضحةِ، والحُجَجِ اللائحةِ، على وَحْدانيَّتِهِ من عجيبِ خَلْقِهِ، ولَطِيفِ حِكْمتِهِ، فيما خَلَقَ.

ويقالُ: «شَهِدَ اللهُ» أي: عَلِمَ اللهُ.

---

(١) في (أ): إلّا.

(٢) جامع البيان: ٢٥: ١٥٠. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٧٨. الدر المنثور: ٧: ٤٢٦.

(٣) (معناه) سقطت من (ح).

(٤) جامع البيان: ٢٥: ١٥٠. أيضاً مجمع البيان: ٥: ٧٨. بلفظ مختلف. الدر المنثور: ٧: ٤٢٦. الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ١٦٧.

(٥) آل عمران: ١٨.

(٦) في (أ): بها.

وقال[١] أبو عبيدةَ[٢]: أي: قـضى اللهُ أَنَّـهُ لا إلـه إلّا هُـوَ، والملائكـةُ، وأُلـو العلمِ.

وقال الحسنُ[٣]، وعمرو بن عُبيدٍ: إنَّ في الآيةِ تقديماً، وتأخيراً، وتقديرُها: شَهِدَ اللهُ: أَنَّهُ لا إله إلّا هُوَ قائماً بالقِسْطِ. أي: بِالعدْلِ. وشَهِدَ الملائكَةُ: أَنَّهُ لا إلـهَ /٤٧/ إلّا هُوَ قَائماً بالقِسْطَ، وشَهِدَ[٤] أُولو العِلْم: أَنَّهُ لا إله إلّا هُوَ قائماً بالقِسْطِ. وأُولُو العِلْمِ، هُمُ[٥] المؤمنونَ.



---

(١) في (ك): يقال. بصيغة المضارع المبني للمجهول.

(٢) مجاز القرآن: ١: ٨٩.

(٣) مجمع البيان: ١: ٤٢٠. الدر المنثور: ٢: ١٦٦.

(٤) في (هـ): شهدوا.

(٥) في النسخ جميعها: هو. والمقام يقتضي الضمير (هم).

فصل [ـ ٤٤ ـ]

[في مسائل متفرّقة]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1].

الشَّأنُ: الأمرُ العَظِيمُ. فمِنْ شأنِهِ أن يَغْفِرَ ذَنْباً، ويُفَرِّجَ كَرْباً، ويَرْفعَ قوماً، ويضعَ آخرينَ.

وقيل: شأنُهُ أن يُخْرِجَ ـ كلَّ يومٍ ـ ثلاثةَ عساكِرَ: عَسْكَرٌ مِنَ الأصلابِ إلى الأرحامِ، وعسْكِرٌ مِنَ الأرحامِ إلى الأرضِ، وعسْكِرٌ من الأرضِ إلى القُبُور، ثمَّ يَرْتَحِلُون[2] ـ جميعاً ـ إلى الله.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ﴾[3].

معناهُ: سَنَعْمَلُ عملَ مُجَرَّدٍ، من غيرِ شاغِلٍ. وأصلُ «الفَرَاغِ»: الخَلْقُ. يقالُ:

---

(١) الرّحمن: ٢٩.

(٢) في (أ): يرتجلون. بالجيم المعجمة من تحت.

(٣) الرّحمن: ٣١.

دِرْهَمٌ مَفْرُوغٌ: مَصْبُوبٌ في القالَبِ. وَضَرْبَةٌ فَرِيغَةٌ: واسِعَةٌ. وفَرَغَ الإناءُ، ونَحْوُهُ.

ويقالُ: أي: سَنَفْرُغَ لكُمْ ممّا وَعَدْناكُمْ من الثّوابِ، وأوعدناكُمْ مِنَ العقابِ.

ويُقالُ: هذا كقولِكَ ـ للرَّجُلِ[1]، وأنتَ غيرُ مشغُولٍ ـ: سأفرُغُ للنّظَرِ[2] في أمرِكُمْ.

قال جَرِيرُ:

بَنِي عَبْدَةَ إنّي فَرَغْتُ إليكُمْ وَقَدْ طالَ زَجْرِي ما نَهاكُمْ تَقَدُّمي[3]

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ في «الفاتحة»: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ﴾، و﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[4]. ولم يَجُزْ في سُورةِ «الناسِ»[5]: مالِكِ يومِ النّاسِ. لأنّ صفَةَ «مَلِكٍ»، يدُلُّ على تدبيرِ مَنْ يشْعُرُ بالتّدبيرِ، وليس كذلك «مالِكُ». لأنّهُ يجوز أن يُقالَ: مالِكُ الثّوْبِ. ولا يجوزُ: أنْ يُقالَ: مَلكُ الثّوب. وَيجوزُ أنْ يُقالَ: مَلِكُ الرُّوم.

---

(١) في (أ): الرّجل. من دون حرف الجر (اللام).

(٢) في (أ): النّظر. من دون حرف الجر (اللام).

(٣) ديوان جرير: ١: ٢٧١. وفيه: بني عبد عَمْرٍو قَدْ... لَوْ نهاكُم.

(٤) الفاتحة: ٤. قرأ عاصم والكسائيّ: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بالألف، وقرأ الباقون: «مَلِكِ» بغير الألف. (السبعة في القراءات: ١٠٤).

(٥) النّاس: الآية: ٢: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾.

وَلا يَجُوزُ: مَالِكُ.

فَجَرَتْ[١] ـ في الفاتحة ـ على معنى: الـمَلِكِ في يَوْمِ الجَزَاءِ، وَمَالِكِ الجَـزَاءِ. وَجَرَتْ في سورةِ[٢] النّاسِ على: مِلْكِ تدبيرِ مَنْ يَعْقِلُ التّدبيرَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾[٣].

إنَّما خُصَّ بأَنَّهُ «مَلِكُ النَّاسِ»، معَ أَنَّه مَلِكُ الخلقِ أجمعينَ، للبيانِ. لأنَّ مدبِّرَ جميعِ النَّاس، قادرٌ أن يُعيذهم من شرٍّ ما اِستعاذوا منهُ. معَ أَنَّه أحقُّ بالتَّعظيمِ مـن ملوكِ النَّاسِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الْـحَيُّ الْـقَيُّومُ﴾[٤].

قال مجاهدٌ[٥]، والرَّبيعُ[٦]، والزَّجّاجُ[٧]: «القَيُّومُ»: القائمُ بتدْبيرِ عبادهِ، فـيما

(١) في (هـ): فَجَرى.

(٢) في (هـ): صورة. الصاد المهملة.

(٣) الناس: ٢.

(٤) البقرة: ٢٥٥.

(٥) جامع البيان: ٣: ٦. الدر المنثور: ٢: ١٥.

(٦) جامع البيان: ٣: ٦، الدر المنثور: ٢: ١٥.

(٧) معاني القرآن وإعرابه: ١: ٣٣٣.

يضُرُّهم، وينفعهم، كقوله[١]: ﴿قائِماً بِالْـقِسْطِ﴾[٢]، وقوله: ﴿قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾[٣].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿اللَّطِيفُ الْـخَبِيرُ﴾[٤].

اللَّطافةُ: من صفاتِ الجوهرِ، لأَنَّهُ الجزْءُ المنفردُ[٥]، والرَّقيقُ، وأَنَّه بخلافِ الكثيفِ.

والمعنى الصَّحيحُ فيهِ: إنَّه لطيفٌ بالتَّدبيرِ، والصُّنعِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[٦].

سمَّى نفسهُ «وكيلاً»، معَ أَنَّه مالكُ الأشياءِ، لأَنَّه لَمَّا كانت منافعُهُ لغيرِهِ، لاستحالةِ المنافعِ عليهِ، والمضارِّ، صحَّتِ الصِّفةُ لهُ، من هذهِ الجهةِ.

***

(١) في (هـ) و(ح): لقوله. مع حرف الجر (اللام).

(٢) آل عمران: ١٨.

(٣) الرعد: ٣٥.

(٤) الأنعام: ١٠٣.

(٥) في (أ) المتفرِّد. بالتاء المثناة من فوق بين الميم والفاء.

(٦) هود: ١٢.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَاللهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ﴾ (١).

و«الغَالِبُ»، الَّذي يعلُو غيرَهُ، لمنعِهِ بنفسهِ، ما يصيرُ إليهِ في قبضتهِ.

«وَاللهُ غالِبُ كلِّ شيءٍ»، بمعنى: أنَّه غالبٌ عليهِ لدُخولهِ في مقدورهِ، ولا يُمكِنهُ الخروجُ منهُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ (٢).

«الأَعْلَى»، معناهُ: القادرُ الَّذي لا قادرَ أقدرُ منهُ. وصفةُ «الأعلى» منقولةٌ إلى معنى «الأَقْدَر»، حتَّى لو بطلَ معنى عُلوِ المكانِ، لمْ يبطلْ أن يُفهمَ تحقيقُها (٣). إذْ هِيَ غيرُ متضمِّنةٍ بغيرها. ولم يُنقلْ صفةُ «الأرفع»، وإنَّما يعرفُ في رفعةِ المكانِ.

وأمَّا قولُ فرعونَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ (٤)، فإنَّه كَذِبَ في دعواهُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيَأْبَى اللهُ﴾ (٥).

---

(١) يوسف: ٢١.

(٢) الأعلى: ١.

(٣) في (أ): تحقيقاً.

(٤) النازعات: ٢٤.

(٥) التوبة: ٣٢.

الإباءُ، هوَ المنعُ، لا الكرَاهيَّةُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[1].

هو الَّذي يقصُرُ مقدارُ ما يكونُ من غيرِهِ، عمَّا يكونُ منهُ. وهو على ضربينِ: أحدُهما: عظيمُ الشَّخصِ، [وَ][2] الآخرُ: عظيمُ الشَّأْنِ.

ومعناهُ ـ في صفةِ الله ـ: إنَّ كلَّ شيءٍ سواهُ، مقصِّرٌ عن صفتِهِ بأنَّه قادرٌ فيما يصحُّ أن يكونَ مقدوراً، وعالمٌ بحيثُ لا يخفى عليهِ شيءٌ. وغنيٌّ بنفسهِ عن كلِّ شيءٍ، لا تَجوزُ[3] عليهِ الحاجةُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾[4].

لفظةُ «إله»[5]، اِسمُ جنسٍ، مثلُ قَوْلِنا: بيتٌ.

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ) و(ح).

(٣) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): يجوز، بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٤) الإخلاص: ١.

(٥) في (أ): إنه. بالنون.

ولفظةُ «الله»، اِسمٌ غالبٌ لهُ ـ تعالى ـ مثلُ «البيْتِ» للكعبةِ.

والحقيقةُ ـ فيهما ـ أنَّه من يستحقُّ العبادةَ، لكونهِ قادراً على خلقِ من يُنعمُ عليهِ، فيسْتحقُّ عليهِ العبادةُ.

وقوله: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾[1]، مجازٌ. وإنَّما قالَ ذلكَ، لأنَّ الكفَّارَ كانوا يعبدُونها[2]. وهم إنْ أخطأُوا في العبادةِ، فما أخطأُوا في اللَّفظِ.

فيقالُ: إنَّه ـ تعالى ـ إلهٌ فيما لمْ يزلْ، ولا يزالُ، وإلهُ الجمادِ، والعُقلاءِ.

ولا يجوزُ أنْ يكونَ ـ تعالى ـ إلهاً للأعراضِ[3]، ولا للجوهرِ الواحدِ، لاستحالةِ أن ينعمَ عليها ما يستحقُّ بهِ العبادةَ، وإنَّما هو إلهُ الأجسامِ: الحيوانُ /٤٨/ منها، والجمادُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ﴾[4].

معناهُ: إن تنصروا دِينَهُ بالدُّعاءِ إليهِ. وأَضَافَهُ إلى نفسهِ، تعظيماً، كما قالَ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ﴾[5].

---

(١) الأعراف: ١٢٧.

(٢) في (أ): يعبدونَ.

(٣) في (هـ): الأعراض. من دون حرف الجر (اللام).

(٤) محمّد: ٧.

(٥) البقرة: ٢٤٥. الحديد: ١١.

وقيلَ: معنى «تَنْصُرُوا»: تَـدْفعوا عـن نبيِّـهِ [ـ صـلى الله عليـه وآلـه ـ][١] «يَنْصُرْكُمْ»[٢]. أي: يدفعُ عنكمْ أعداءَكمْ ـ في الـدِّينِ ـ عَـاجِلاً، وعَـذَابَ النَّـارِ، آجِلاً[٣].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾[٤].

معَ أنَّه لا يُعتدُّ بنصرِ [غـيْرِ][٥] الله، مـعَ نُـصرتهِ، فمعنـاهُ[٦]: إنَّـه إن اعتُـدَّ بنصرةِ غيرِ الله، فنُصرةُ الله، خيرٌ منها، لأنَّه لا يجـوزُ أنْ يُغلَـبَ، وغـيرهُ يجـوزُ أن يُغلَبَ. وإن نَصَرَ، فالثِّقةُ بِنُصرةِ[٧] الله تحصلُ[٨]، ولا تحصُلُ[٩] الثِّقةُ بنصرةِ غيرِه.

***

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٢) محمّد: ٧.

(٣) (آجلاً) ساقطة من (أ).

(٤) آل عمران: ١٥٠.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٦) العبارة: «فمعناه... لأنه» ساقطة من (أ).

(٧) في (ك) و(ح): بنصر. من دون التاء المتحرِّكَةَ.

(٨) في (ش): يحصل. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٩) في (ش): يحصل. بياء المضارعة المثنَّاة من تحت.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[(١)].

وقد ينصرُ المؤمنونَ بَعضُهم بعضاً، وبعضُ المشركينَ بعضاً؟

قلنا: إنَّ نصرَ بعضِ المؤمنينَ بعضاً من عندِ الله، لأنَّه بمعونتهِ، وحُسنِ توفيقهِ. وأمَّا نصرُ المشركينَ بَعضُهم ببعضٍ[(٢)]، فلا يُعتدُّ بهِ، لأنَّه بِخِذْلانِ اللهِ من حيثُ أنَّ عاقبتَهُ إلى شرٍّ مآلٍ منَ العقابِ الدَّائم.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ﴾[(٣)].

أي: بالمعونةِ الَّتي تُوجِبُ الغَلَبَةَ، لأنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يقدرُ على إعطائِهم ما يغلِبُونَ بهِ كلَّ مَنْ نازعهمْ، ويقلَعُونَ كلَّ من ناوَاهُمْ.

ومن كانَ اللهُ ناصِرَهُ[(٤)] بالحُجَّةِ، لم يَغْلِبْهُ أحدٌ، وإذا غُلِبَ بالحرْبِ، فَلِضربٍ من المحنةِ[(٥)]، وشدَّةِ التَّكليفِ. ولو هزمَ قومٌ من المؤمنينَ، لجازَ أن يقالَ: هُمُ المنصُورُونَ[(٦)]. أي: بالحُجَّةِ.

***

(١) آل عمران: ١٢٦. الأنفال: ١٠.

(٢) في (أ): بعض. من دون حرف الجرّ (الباء).

(٣) آل عمران: ١٦٠.

(٤) في (ك): ناضره. بالضاد المعجمة.

(٥) في (أ): المحبه، بالباء الموحّدة من تحت.

(٦) في (ك): المنصرونَ.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾ [١].

لم يقلِ: اللهُ نورٌ. ولو كانَ نوراً ـ في الحقيقةِ ـ لم يكنْ ـ للإضافةِ ـ معنى. لأنَّ ما كان نوراً في الحقيقةِ، فهوَ نورٌ لأيِّ[٢] شيءٍ كانَ.

ولو أرادَ على معنى الضِّياءِ، لوجبَ ألَّا يكونَ في شيءٍ من السَّماواتِ، والأرضِ ظُلمةٌ بحالٍ، لأنَّه دائمٌ لا يزولُ. ولوجَبَ[٣] أن يكونَ الاستضاءةُ[٤] بهِ دونَ الشَّمسِ.

وبيَّنَ أنَّه خالقُ النُّورِ، فقالَ: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ﴾ [٥]، فكيفَ يكونُ نوراً معَ كونِ النُّورِ مخلوقاً.

وقالَ في آخِرِها: ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ [٦]، فلوْ أرادَ ـ بذلكَ ـ الضِّياءَ، لما كانَ لهُ معنى.

وجعلَ لنورهِ مثلاً، وهوَ المصباحُ في ضعفهِ، وكيفَ يكونُ نوراً، والأرضُ والسَّماءُ في ضوئهما.

---

(١) النور: ٣٥.

(٢) في (أ): لا شيء.

(٣) في (ش): وأوجب.

(٤) في (ك): الاستظاء. بالظاء المعجمة ومن دون التاء المتحركة.

(٥) الأنعام: ١.

(٦) النور: ٣٥.

ولو كانَ نوراً، لوجبَ أن يكونَ ذا أجزاءَ كثيرةٍ، لأنَّ النُّورَ، هوَ المضيءُ، والمضيءُ لا يكونُ إلَّا بأن يَنفصِلَ منهُ أجزاءُ، يُضيءُ غيرَهُ بتِلكَ الأجزاءِ.

ولو كانَ نوراً، لم يخلُ من أن تَحجُبهُ الظُّلمةُ، والحجابُ، أو لا يحجبُهُ شيءٌ. فإنْ لم يحجِبْهُ شيءٌ، وجبَ[1] أنْ تكونَ السَّماواتُ، والأرضُ في جميعِ الأوقاتِ، مضيئةً. وإنْ حجَبَهُ حجابٌ، أو مَنعهُ مانعٌ، كانَ كسائرِ الأنوارِ.

ثمَّ إنَّ ذلكَ تحقيقُ قَولِ الثَّنَويَّةِ[2] في زعمهمْ بالأصلينِ: النُّورِ، والظُّلمةِ.

اِبنُ عبَّاسٍ[3]، والزَّجَّاجُ[4]: «اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ»: مدبِّرُ أمورهما.

السُّدِّي[5]: بنورهِ أضاءتِ السَّماءُ، والأرضُ.

الضَّحَّاكُ[6]: بهِ تكوَّنتِ الأشياءُ.

---

(١) في (ح): فيجب.

(٢) الملل والنِّحل: ١: ٦١٨.

(٣) جامع البيان: ١٨: ١٣٥. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ١٤٢. باختلاف اللَّفظ. الدر المنثور: ٦: ١٩٦.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٤: ٤٣.

(٥) في جامع البيان: ١٨: ١٣٥. وردَ هذا القول بلا نسبةٍ إلى أحد.

(٦) في مجمع البيان: ٤: ١٤٢ نسب إلى الضَّحاك قولهُ: «اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ» بالشمس، والقمرِ، والنجوم.

ويقالُ: اللهُ واحدٌ في سمائهِ، وأرضهِ، ويسمَّى الفردُ: نوراً.

قالَ الرِّضا[١] ـ عليه السلام ـ هادٍ لأهلِ السَّماءِ، وهادٍ لأهلِ الأرضِ.



(١) الكافي: ١: ١١٥. التوحيد: ١٥٥. وفي الاحتجاج: ٢: ٢٥١ معزواً إلى علي بن محمد الهادي (عليه السلام) باختلاف يسير في اللفظ.

فصل [-٤٥-]

[في الرؤية]

قوله - تعالى -: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبصارَ﴾[١].

تمدَّحَ - سبحانه -[٢] بالإجماعِ، وبما يقتضيهِ سياقُ الآيةِ - بِنفي إدراكِ الأبصارِ الَّذي هوَ رؤيتها[٣].

وهذا التَّمدُّحُ راجعٌ إلى ذاتهِ، لأنَّ الإدراكَ، ليسَ بمعنى، فيتمدَّحُ بألَّا يفعلهُ على سبيلِ التَّفضيلِ[٤]، وكلُّ ما تمدَّحَ بنفيهِ - على هذا الوجهِ - لا يكونُ إثباتهُ إلَّا نقصاً، ومُوجِباً ذمّاً. وهوَ يَتعالى عمّا يوجبُ الذَّمَّ، والنَّقصَ. ألا ترى أنَّه - تعالى - لمَّا تمدَّحَ بنفي الصَّاحبةِ، والولدِ، والسِّنةِ، والنَّومِ في قولهِ: ﴿مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا وَلَداً﴾[٥]، ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾[٦]، لم يجُزْ إثباتُ شيءٍ من ذلكَ

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٢) (سبحانه) سقطت من (ح).

(٣) في (هـ): رتَّبها.

(٤) في (أ): التفصيل. بالصاد المهملة.

(٥) الجنّ: ٣.

(٦) البقرة: ٢٥٥.

في حالٍ من الأحوالِ، لاقتضائه[1] الذَّمَّ، والنَّقصَ، كذلك ـ هاهنا ـ. يوضحُ ذلكَ أنَّ قبلَ الآيةِ: ﴿بَدِيعُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[2].

فتمدَّحَ ـ سبحانه ـ بما تَضمَّنتهُ هذهِ الآياتُ مِنْ صِفاتِهِ على حدٍّ واحدٍ، لا يختلفُ فيهِ الحالُ، / ٤٩/ وكلُّ ما كانَ نفيهُ مدحاً، فلا يكونُ إثباتهُ إلَّا ذمّاً عندَ أهلِ اللِّسانِ.

الرِّضا[3] ـ عليه السلام ـ: لا تُدرِكهُ أوهامُ القلوبِ، فكيفَ تُدرِكهُ أبصارُ العيونِ.

الصَّادق[4] ـ عليه السلام ـ: أي: إحاطةُ الوهمِ. ألا ترى إلى قولهِ: ﴿قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[5]. يقالُ: فلانٌ بصيرٌ بالدَّراهمِ، والثِّيابِ، والجوارحِ، والأشعارِ.

---

(١) في (ك): لاقتضانه. بالنون الموحّدة من فوق بعد الألف.

(٢) الأنعام: ١٠١ ـ ١٠٣.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٦٧. مجمع البيان: ٢: ٣٤٤. بلفظ مختلف قليلاً.

(٤) الكافي: ١: ٩٨. الاحتجاج: ٢: ٧٧. التوحيد: ١١٢.

(٥) الأنعام: ١٠٤.

أبو جعفرٍ[١] الثَّاني ـ عليه السلام ـ: أوهامُ القلوبِ أدقُّ من أبصارِ العيونِ. أنتَ قد تُدرِكُ بوهمكَ البلدانَ الَّتي لم تدخلْها، ولا تُدرِكها[٢] بِبَصَرِكَ. فأوهامُ القلوبِ لا تُدْرِكُهُ، فكيفَ تُدرِكُهُ الأبصارُ.

الصَّاحبُ[٣]:

فقالت: فقلْ لي: أبالأبصارِ تُدرِكُهُ؟ فقلتُ: جلَّ عن الإبصارِ بالمقلِ

وأجمعوا على أنَّ النَّبيَّ[٤] ـ عليه السلام ـ[٥] قال: يا من يَرَى، ولا يُرَى، وهوَ بالمنظَرِ الأعلى.

وكتبَ أحمدُ بنُ إسحاقَ إلى أبي الحسنِ[٦] الثَّالثِ ـ عليه السلام ـ يسألُهُ عنِ الرُّؤيةِ؟ فكتبَ جوابهُ:

ليسَ تجوزُ الرُّؤْيةُ ما لمْ يكنْ[٧] بينَ الرَّائي، والمرئي هواءٌ[٨]، ينفذُهُ البصرُ،

---

(١) الكافي: ١: ٩٩ التوحيد: ١١٣. الاحتجاج: ٢: ٢٣٨. أمالي الصدوق: ٣٦٧ وأبو جعفر الثاني هو الإمام محمّد الجواد ـ عليه السلام ـ.

(٢) في (هـ): تدركُ.

(٣) ديوان الصاحب بن عباد: ٤٠ وفيه: جلَّ عن الإدراكِ.

(٤) التوحيد: ٤٥ في جملة خطبة له (ص).

(٥) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٦) الكافي ١: ٩٧، التَّوحيد: ١٠٩. الاحتجاج: ٢: ٢٥١ وأبو الحسن الثالث هو الأمام علي بن محمد الهادي ـ عليه السلام ـ.

(٧) في (ش): تكن، بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٨) في (ش): هو هواء.

فمتى انْقَطَعَ الهواءُ، وعَدِمَ الضِّياءُ، لم تصحَّ الرُّؤيةُ. وفي وجوبِ اتِّصالِ الضِّياءِ بينَ الرَّائي، والمرئي، هواءٌ ينفذهُ البصرُ، واللهُ تعالى عنِ الأشباهِ، فثبتَ أنَّه لا يجوزُ عليهِ ـ سبحانهُ ـ الرُّؤيةُ بالأبصارِ.

وقيلَ للرِّضا[١] ـ عليه السلام ـ: إنَّ رجلاً رأى ربَّهُ في منامهِ، فما يكونُ ذلكَ؟

فقال: ذاكَ الرَّجلُ، رجلٌ لا دينَ لهُ، إنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا يُرى في اليقظةِ، ولا في المنامِ، ولا في الدُّنيا، ولا في الآخرةِ.

أبوسعيد الواعظِ في «رجالِ الصُّوفيَّةِ»[٢]: قال أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ: سلوني[٣] قبلَ أن تفقدوني. فقالَ [لهُ][٤] ذعلبُ[٥]: هلْ رأيتَ ربَّكَ؟

فقالَ ـ عليه السلام ـ: ما كنتُ أعبدُ ربّاً لم أرهُ!

قال: كيفَ رأيتهُ؟

قال: لم ترهُ العيونُ بمشاهدةِ العِيَانِ، ولكنْ رأتهُ القلوبُ بحقائقِ الإيمانِ.

(١) أمالي الصدوق: ٥٤٦.

(٢) كتاب «رجال الصوفية» لأبي سعيد الواعظ من الكتب المفقودة، وهذه الرواية وردت في مصادر عديدة أخرى، أنظر التوحيد: ٣٠٤ فما بعدها، وأنظر ما يأتي في هامش الرواية.

(٣) في (ش): إسألوني.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ) و (ك).

(٥) في (ش): دغلب. وفي (هـ): ذعبل. وفي (أ): دعلب.

لا يُدْرَكُ بالحواسِّ، ولا يقاسُ بالنَّاسِ.

فصاحَ ذعلب[١]، وخرَّ مغشيّاً عليهِ[٢].

الصَّادقُ[٣] ـ عليه السلام ـ وقد سألهُ أعرابيٌّ: هلْ رأيتَ ربَّكَ حينَ عبدتهُ؟

فقال ـ عليه السلام ـ لمْ أكنْ أعبدُ ربّاً لمْ أرهُ!

فقال: كيفَ رأيتَهُ؟

قال: لم ترهُ الأبصارُ بمشاهـدةِ العيانِ، بلْ رأتهُ القلوبُ بحقـائقِ الإيـمانِ، لا يُدركُ بالحواسِ، ولا يقاسُ بالنَّاسُ، معروفٌ بالآياتِ، والـدِّلالاتِ، منعـوتٌ بالعلاماتِ، لا يجورُ في قضيَّتهِ، هوَ اللهُ، لا إله إلَّا هوَ.

فقالَ الأعرابيُّ: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ﴾[٤]. [شعرٌ][٥]:

---

(١) في (ش): دغلب. وفي (هـ): ذعبل. وفي (أ): دعلب.

(٢) هذه الرواية في الاحتجاج: ١: ٣١٢ دون ذكر اسم السائل (ذعلب). وهي في أمالي المرتضى: ١: ١٥٠ منسوبة إلى الباقر (عليه السلام) وفي أمالي الصدوق: ٣٠٥ منسوبة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) والسائل فيها ذعلب. وفي الإرشاد: ١٣٣: أنَّ رجلاً جاءَ إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له...

(٣) الكافي: ١: ٩٧. التوحيد: ١٠٨ عن الباقر (عليه السلام) باختلاف يسير في اللفظ أمالي الصَّدوق: ٢٤٦ ـ ٢٤٧. الإرشاد: ١٣٣ بزيادة في اللفظ عن أمير المؤمنين (عليه السلام). الاحتجاج: ٢: ٧٦ ـ ٧٧.

(٤) الأنعام: ١٢٤.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

قــالوا: نــرى مَعبودنــا وجــارُوا إذ قــالَ[١]: «لا تُدْرِكــهُ الأبْــصَارُ»

لا يُبْــصِرُ الإنــسانُ مــا يــراهُ إلّا إذا حـــــاذاهُ أوْ وازاهُ

يـــراهُ إذْ رَآهُ في المكـــانِ يقــدرُ أنْ يــشيرَ بالبنــانِ[٢]

الصَّاحبُ[٣]:

لــو كــانَ محــسُوساً بعينــي نــاظرِ لكــانَ ملموســاً بكفّــي زائــرِ

❀❀❀

(١) في (ك): قالوا.

(٢) لم أقف على اسم قائل الأبيات ولا مظنَّة أخذها.

(٣) أخلَّ به ديوانه بتحقيق آل ياسين.

فصل [-٤٦-]

[في الرؤية]

قوله - تعالى -: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾[1].

فقولهُ: «وُجُوهٌ»، لا يخلو[2] إمَّا أنْ يُرادَ بهِ: الوجهُ، أو العينُ، أوِ الجملةُ.

فالأوَّل، لا يجوزُ، لأنَّ الوجهَ لا يَرَى، ولا يَنظُر[3]، ولا يكونُ رَائِياً على الحقِيقَةِ. فَلا يصحُّ حملُهُ على أيِّ وجهٍ، صرفتَ الآيَةَ إليهِ، يدلُّ عليهِ أنَّه لا يجوزُ أن يقولَ: رآهُ وجهي.

ولا يجوزُ الثَّاني، لأنَّ العينَ، لا توصفُ بالنَّضارةِ الَّتي هيَ الإشراقُ، ولأنَّ العينَ - في الحقيقةِ - ليستْ بناظرةٍ، لأنَّ النَاظرَ، والرَّائيَ، إنَّما هوَ الجملةُ، إذِ العينُ آلةٌ، يُرَى[4] بها.

فلم يبقَ إلَّا أنَّ المرادَ بهِ، الجملةُ. ويبيِّنُ ذلكَ قولُهُ - في نظيرِهِ -: ﴿وَوُجُوهٌ

---

(١) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٢) في (ك): يخ.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): ينتظر.

(٤) في (هـ): ترى. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

﴿يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ تَظُنُّ﴾[١]، والظَّنُّ إنَّما يرجعُ إلى الجملةِ، ولا يصُحُّ أن يكـونَ المـرادُ، حقيقةَ الوجهِ، من حيثُ وُصِفَ بالنَّـضارَةِ[٢]، والبُـسورِ[٣]. إذ ذلـكَ جـاءَ صـفةَ الوجهِ، والجملةُ، توصفُ بذلكَ، يقـالُ: فـلانٌ عبـوسٌ كـالِحٌ، فهـوَ[٤] بـسْرَ[٥]، وبسِيرٌ[٦]، وأشباهُ ذلكَ.

وقوله: «يومئذٍ»، والخصمُ لا يُثبِتُ ذلكَ إلّا في الجنَّةِ، لأنَّه منَ الفضائلِ[٧]، الَّتي يختصُّ[٨] بها المؤمنُ. وها هنا في صفةِ القيامةِ.

وقوله: «ناظرةٌ»، النَّظرُ: التَّأمُّـلُ، وهـوَ لازمٌ: ﴿انْظُـرْ كَيْـفَ ضَرَبُـوا لَـكَ الأَمْثالَ﴾[٩]، ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْـضَهُمْ عَـلى بَعْـضٍ﴾[١٠]. وقـدْ يتعـدَّى هـذا بالجارِّ، نحـوُ: ﴿أَفَـلا يَنْظُـرُونَ إِلَى الإِبِـلِ كَيْـفَ خُلِقَـتْ﴾[١١]، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُـرُوا فِي

---

(١) القيامة: ٢٤، ٢٥.

(٢) في (ش): بالنظارة. بالظاء المعجمة.

(٣) في (أ): البشور، بالشين المعجمة.

(٤) في (ح): وهو. معَ الواو.

(٥) في (ك) و(أ) و(ح): بشر بالشين المعجمة.

(٦) في (أ) و(ح): بشير. بالشين المعجمة.

(٧) في (ش): الفضال. و(أ): الفضل.

(٨) في (ك): تختصُّ، بالتاء المثنَّاة من فوق.

(٩) الإسراء: ٤٨، الفرقان: ٩.

(١٠) الإسراء: ٢١.

(١١) الغاشية: ١٧.

﴿مَلَكُوتِ السَّماواتِ﴾[1].

والانتظارُ: ﴿غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ﴾[2]، ﴿وَما يَنْظُرُ هؤُلاءِ﴾[3]، حسَّان[4]:

وجوهٌ يومَ بدرٍ ناظراتٌ ... إلى الرَّحمنِ يأتي بالفلاحِ

الكميتُ[5]:

وشُعث ينظرونَ إلى بِلالٍ ... كما نظر الظِّباءُ حَيَا الغَمامِ

البعيث[6]:

وجوهُ بهاليلِ الحجازِ على النَّدى ... إلى مالكٍ ركنِ المعارفِ ناظره[7]

والمهلةُ[8]: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ﴾[9]، ﴿فَناظِرَةٌ / ٥٠/ بِمَ يَرْجِعُ

(١) الأعراف: ١٨٥.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) ص: ١٥.

(٤) لم نقف عليه في ديوانه بطبعاته المتعدّدة. وهو في التفسير الكبير: ٣٠: ٢٢٧ من دون عزو، وشطره الثاني: إلى الرحمن تنتظر الخلاصا. وفي الأساس لعقائد الأكياس: ٨٠: يأتي بالخلاص ومن دون عزو.

(٥) أخلَّ به مجموع شعره المنشور من قبل داود سلّوم.

(٦) أخلَّ به مجموع شعره بجمع وتحقيق ناصر حلّاوي.

(٧) في (ك): الحجار. بالراء المهملة. وفي (ك) و(هـ): ملك.

(٨) في (ك): المهملة.

(٩) البقرة: ٢٨٠.

الْـمُرْسَلُونَ﴾[١]، ﴿أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٢]، ﴿انظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾[٣].

[أبـا هنـدٍ فـلا تعجـلْ علينـا] وأنظرنـا نخـبِّرْكَ اليقينـا[٤]

والرَّحمةُ: انظُرْ إليَّ نظرَ اللهُ إليكَ. وفلانٌ ينظر لفلانٍ. وهوَ حسنُ النَّظرِ لـهُ. ﴿وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْـقِيامَةِ﴾[٥].

والإهلاكُ: نظرَ الدَّهرُ إلى بني فلانٍ. قال الشَّاعرُ[٦]:

[في قـرومٍ سـادةٍ مـن قومـهِ] نظـرَ الـدَّهرُ إلـيهمْ فابتهـلْ[٧]

والتَّحديقُ نحوَ الشَّيءِ، طلباً للرُّؤيـةِ، لأنَّهـم يُثبتـونَ النَّظـرَ دونَ الرُّؤيـةِ. قولُهم: نظرتُ إلى الهلالِ، فلمْ أرهُ. وما زلتُ أنظرُ إليهِ، حتَّى رأيتهُ، وانظـرْ حتَّـى ترى. ولو لا أنِّي كنتُ أنظر إليه، لَـمَا رأيتهُ. ونظرتُ إليهِ، فوجدتُهُ جالساً.

---

(١) النَّمل: ٣٥.

(٢) الأعراف: ١٤.

(٣) الحديد: ١٣.

(٤) قائله الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم التَّغلبي. انظر: شرح القصائد السَّبع الطـوال الجاهليـات: ٣٨٧، شرح القصائد التسع المشهورات: ق ٢: ٦٢٨ شرح القصائد العشر: ٣٣١ ومنهـا صـدر البيت.

(٥) آل عمران: ٧٧.

(٦) هو لبيد بن ربيعة العامري. انظر شرح ديوانه: ١٩٧. ومنه صدر البيت.

(٧) في النسخ جميعها: فاضْمَحلُّوا.

ولا يُقالُ: نظرتُ إلى زيدٍ متعرِّياً. كما يُقالُ: رأيتُهُ متعرِّياً. واللهُ ـ تعالى ـ رائي[١]، ولا يقالُ: ناظرٌ. لأنَّ النَّظر، تقليبُ الحدقةِ الصَّحيحةِ نحوَ المرئيِّ، لطلبِ الرُّؤيةِ.

ونظرتُ إليهِ نظرَ راضٍ، ونظرَ غضبانَ، ونظراً شزراً. ونظرَ بمؤخَّرِ عينِهِ. وقد أحدَّ إليهِ النَّظرَ. ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ﴾[٢]. شاعر[٣]:

نظروا إليكَ بأعينٍ مُحْمَرَّةٍ نظرَ التُّيوسِ إلى شِفَارِ الجازرِ

غيرُه[٤]:

ونظرةِ ذي شجنٍ وامقٍ إذا ما الرَّكائبُ جاوزنَ مِيْلا

و«النَّظرُ» يتعدَّى بـ «إلى»، و«الرُّؤيةُ»، وأمثالُها بنفسها، يقالُ: نظرتُ إليهِ، ورأيتهُ[٥].

قال اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَتَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾[٦].

---

(١) في (ش) و(ك) و(هـ): رأى. وفي (ح): راءٍ. بتنوين العوض.

(٢) محمَّد: ٢٠.

(٣) أمالي الصدوق: ٨٦ بلا عزو. شرح الأُصول الخمسة: ٢٤٣. بلا عزو وفيه: بأعينٍ مزورّةٍ. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ١٢٧ في جملة أبيات معزوّة إلى عليّ بن عبدالله بن عبَّاس.

(٤) المفضَّليَّات: ٥٦، معزوّاً إلى بشامة بن الغدير. وفي التفسير الكبير: ٢٠: ٢٢٧ من دون عزو.

(٥) في (هـ): فرأيته.

(٦) الأعراف: ١٩٨.

وَالقولُ بِذلِكَ يؤدِّي إلى مناقضةِ قولـهِ: ﴿لا تُدْرِكُـهُ الأَبْـصارُ﴾[1]، إذْ ذاكَ عمـومٌ، لَا تخـصيصَ فيـهِ، ولأنَّـهُ تمـدَّحَ بـهِ، كـما تمـدَّحَ بقولـهِ: ﴿وَهُـوَ يُـدْرِكُ الأَبْصارَ﴾[2].

فهوَ ـ إذنْ ـ جارٍ ـ في عُمومِ الأوقاتِ ـ مجْراهُ، لأنَّ زوالَ ما يُوجِبُ المـدحَ، نقصٌ.

ولا يجوز: إلى ربِّها ناظرةٌ لها، لأنَّ التَّخصيصَ، لا يقعُ إلَّا بـما يَـشْتَبِهُ الأمـرُ فيهِ، فكيفَ بما لا يقتضيهِ؟ ونَمطُ هذهِ الآيةِ، وما يتعَّقبهُ، لا يُنْبِـئُ عنـهُ، ويُبطِلُـهُ، لأنَّه قالَ في نقيضهِ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ﴾ الآيةُ[3].

فلمَّا أوجبَ الكفَّارَ خوفَ العقابِ، دونَ المنعِ من الرُّؤيةِ، وجبَ أن يكـونَ ما أَوْجَبَهُ للمؤمنينَ انتظارُ الثَّوابِ، دونَ الرُّؤيةِ، ليتشاكلَ المعنيانِ، لأنَّه لـو قـال: إنَّ المؤمنينَ يرونني، والكافرينَ أعذِّبُهم، لم يكنْ متشاكلاً في المعنى، بل كانَ معيباً عندَ البلغاءِ.

وَقَـالَ الصَّاحبُ[4] بـنُ عبَّادٍ[5] : «نـاظرَةٌ إلى ربِّـها». أي : نعْمـــةِ ربِّهـا ،

---

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٢) الأنعام: ١٠٣.

(٣) القيامة: ٢٤.

(٤) المحيط في اللغة (مادة ـ إلى).

(٥) في (هـ): عبَّادة.

لأنَّ «الآلاءَ»، والنِّعمُ، وفي واحدها، أربعُ لغاتٍ، يقالُ: «أَلَى»، مثلُ: «قفَا»، و«أَلَيَ»، مثلُ: «معاً»، و«إلي»، مثل «رَمْي» و«ألي»، مثلُ: «حَسْبي»[1] قال الأعشى[2]:

أبيضُ لا يرهبُ الهُزَالَ ولا يقطعُ رحماً ولا يخونُ إلَا

وجاءَ في التَّفسيرِ عنِ ابنِ عبَّاسٍ[3]، والحسنِ[4]، وعمروٍ، ومجاهدٍ[5]، وقتادةَ، والأعمشِ[6]، وابنِ جريجٍ، وأبي صالحٍ[7]، والضَّحَّاكِ[8]، والكلبي، وابن المسيَّبِ، وابن جُبيرٍ[9]: «وجوهٌ يومئذٍ ناظرةٌ»، يعني: مشرقةٌ تنتظرُ[10] ثوابَ

---

(١) في (ش) و(ك): جسي. وفي (هـ): مطموسة. وفي (أ): حبي.

(٢) ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس): ٢٣٥.

(٣) مجمع البيان: ٥: ٣٩٧.

(٤) جامع البيان: ٢٩: ١٩٢. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٩٧ـ٣٩٨.

(٥) جامع البيان: ٢٩: ١٩٢. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٩٧، ٣٩٨. الدر المنثور: ٨: ٣٦٠. رسائل الجاحظ الكلامية (رسالة الردّ على المشبِّهة): ٢٣٢ الجامع لأحكام القرآن: ١٩: ١٠٩.

(٦) جامع البيان: ٢٩: ١٩٣

(٧) جامع البيان: ٢٩: ١٩٣. الدر المنثور: ٨: ٣٦٠. رسائل الجاحظ الكلامية (رسالة الردّ على المشبِّهة): ٢٣٢.

(٨) مجمع البيان: ٥: ٣٩٨.

(٩) مجمع البيان: ٥: ٣٩٨.

(١٠) في (ك) و(أ): ينتظر: بياء المضارعة المثنَّاة من تحت.

ربِّها. وهوَ المرويُّ عنْ النَّبيِّ[١] ـ عليه السلام ـ.

وقال أميرالمؤمنين[٢] ـ عليه السلام ـ: ينظرونَ إليهِ في الآخرةِ، كما ينظـرونَ في الدُّنيا.



(١) الاحتجاج: ٢: ١٩١ مرويّاً بلفظه عن الرضا (عليه السلام) وكـذلك في أمـالي الـصدوق: ٣٦٧ والتوحيد: ١١٦ وفي مجمع البيان: ٥: ٣٩٨: وهو المرويّ عن علي (عليه السلام).

(٢) الاحتجاج: ٢: ٢١٥.

فصل [-٤٧-]

[في الرؤية]

قوله - تعالى -: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[1].

ليسَ في مسألةِ الشَّيءِ[2] [دلالةٌ][3] على صحَّةِ وقوعهِ، ولا جوازِه، لأنَّ السَّائلَ، يسألُ عنِ الجائزِ، والمحالِ، معَ العلمِ، وفقدِ العلمِ، لأغراضٍ مختلفةٍ.

ثمَّ أنَّهُ سألَ لقومِهِ، بعدَ ما أجابهُمْ. فلمْ يرتدعوا، فاختارَ السَّبعينَ الَّذين حضروا الميقاتَ، ليكونَ سؤالهُ بِمَحْضَرٍ منهُمْ، قولهُ: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾[4]، وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[5]، وقوله: ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قالَ

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) في (ش): النَّبيِّ. وفي (ح): النَّفي.

(٣) ما بين المعقوفتين مطموسة في (ش).

(٤) النِّساء: ١٥٣.

(٥) البقرة: ٥٥.

رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا﴾[1].

إضافةُ ذلكَ إلى السُّفهاءِ، يدلُّ على أنَّه كانَ بسببهم، فإنَّهم[2] سألوهُ ما لا يجوزُ عليهِ، وقال: «أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ». والنَّظر غيرُ الرُّؤيةِ.

ويقال: إنَّ موسى إنَّما سألَ ربَّه أن يُعْلِمَهُ [نَفْسَهُ][3] ضرورةً بإظهار بعضِ أعلامِ الآخرةِ الَّتي تُضْطَرُّ إلى المعرفةِ، ويستغني[4] عنِ الاستدلالِ. فتزولُ عنهُ الدَّواعي، والشُّكوكُ، والشُّبهاتُ، كما سأل إبراهيمُ أن يُرِيَهُ كيف يُحيي الموتى.

/٥١/ والسُّؤالُ، وإن وقع بلفظِ الرُّؤيةِ، فإنَّ الرُّؤيةَ تُفيدُ العِلْمَ، كما تُفيد الإدراكَ بالبصرِ، فقال لهُ: ﴿لَنْ تَرانِي﴾[5] أي: لن تَعْلَمَني على هذا الوجهِ الَّذي التَمَسْتَهُ[6] منِّي، وأنَّهُ أجابَهُ[7] اللهُ ـ تعالى ـ بأنَّهُ لا يراهُ ـ بلفظٍ مُحكَمٍ ظاهرٍ جَلِيٍّ، لا يَحْتَمِلُ التَّأويلَ، عامٌّ لا تخصيصَ فيه.

---

(١) الأعراف: ١٥٥.

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ): وإنَّهم. مع الواو.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٤) في (ح): تستغني. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٥) الأعراف: ١٤٣.

(٦) في (أ): التَمَسَهُ.

(٧) في (ك): إجابة بالتاء المتحركة المنقوطة.

و﴿لَنْ تَرانِي﴾ معناهُ: لا تراني أبداً. لأنَّ «لَنْ» للتأبيد، قولُهُ: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً﴾[1]، وقوله: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً﴾[2].

ومعلومٌ أنَّهُ إذا لم يَرَهُ موسى ـ عليه السلام ـ فلا مَطْمَعَ لغيرِهِ.

والآيةُ بالنَّفْي، أَوْلَى من الإثباتِ، وإنَّهُ عَلَّقَ رُؤْيَتَهُ بما يستحيلُ كَوْنُهُ. والشَّيءُ إذا عُلِّقَ كَوْنُهُ بما يستحيلُ حصُولُهُ، استَحَالَ، كقولِهِ في الكَفَرَةِ: ﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ﴾[3].

فكذلك لمّا علَّقَ رُؤيتَهُ بما يستحيلُ كونُهُ ـ وهو استقرارُ الجبلِ في حال الدَّكَّةِ ـ إذْ محالٌ سكونُ الشَّيءِ في حال تحرُّكِهِ[4]، وذلك يُوجِبُ استحالةَ رُؤيتِهِ، فلمّا اندكَّ الجبلُ عند سُؤالِهِ ذلك، كان فيه غايةُ الإنكارِ، إذْ كان ذلك ممّا أَوْعَدَ بأنَّهُ يكادُ أن يَحْدُثَ عندَ زَعْمِهِمْ: أنَّ لله وَلَداً، قولُهُ: ﴿وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾[5].

وبيَّنَ أنَّ القولَ بالرُّؤيةِ يُضاهِي القولَ باتِّخاذِ الوَلَدِ، بل يزيدُ[6] عليه، إذْ

---

(١) البقرة: ٩٥.

(٢) الحج: ٧٣.

(٣) الأعراف: ٤٠.

(٤) في (هـ): تحريكه.

(٥) مريم: ٨٨ ـ ٩٠.

(٦) في (هـ): تزيد. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

قال ـ في اتّخاذ[١] الوَلَدِ ـ: «تكَـادُ»، [و][٢] في الرُّؤيـةِ[٣] «حـصل»، فكَـمْ[٤] ـ بـين الأمرين ـ فرْقاً[٥]؟

قال أبو عليٍّ[٦]: ولم يُنزِّلْ عليهم الصَّاعقَةُ، إلّا بعدَ السُّؤالِ، وفي ذلك دلالةٌ على أنَّ أصلَ كُلٍّ، سَبَبُهُ[٧] تجويزُ الرُّؤيةِ على الله ـ تعالى ـ.

ويُعَبَّرُ بـ«رأى» عن خمسةِ معانٍ:

بمعنى «أبْصَرَ»: رأيتُ زيداً قائماً.

وبمعنى «عَلِمَ»: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾[٨].

وبمعنى «ظَنَّ»: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً﴾[٩].

وبمعنى «اِعْتَقَدَ»، [شِعْرٌ][١٠]:

---

(١) في (أ): إيجاد. بالجيم المعجمة من تحت بعدها دال مهملة بينهما ألف.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٣) في (ح): وبالرؤية.

(٤) في (هـ): فكان.

(٥) في (هـ): فرق. من دون تنوين النّصب.

(٦) هو أبو عليّ الطبرسي: مجمع البيان: ٢: ٤٧٥.

(٧) في (ح): سيئة. وهو تحريف.

(٨) الفيل: ١.

(٩) المعارج: ٦.

(١٠) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

وَإنَّـا لقــومٌ لا نــرى القَتْــلَ سُـبَّةً إذا مــا رأتْــهُ عــامرٌ وسَــلُولُ[١]

وبمعنى «الرَّأي»، تقولُ[٢]: رأيتُ هذا الرَّأيَ. وهذا رأيُ أبي حنيفةَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾[٣].

التَّجَلِّي: هُوَ إظْهارُ الشَّيء، ومنه: جَلَتِ الماشِطَةُ العَروسَ جَلْوَةً.

وقد فُسِّرَ قولُـهُ: ﴿لا يُجَلِّيهـا لِوَقْتِها﴾[٤]. أي: لا يُعَـرِّفُكم وَقْتَهـا سِـوَاهُ. وَتَجَلَّى، وَجَلَّى، بمعنىً واحِدٍ، كما يقالُ: تَصَدَّقَ، وصَدَّقَ، وتَحَدَّثَ وحَدَّثَ.

والنَّظَرُ إلى الشَّيءِ، تقولُ[٥]: تجلَّى فلانٌ لفلانٍ. إذا نظر إليه. وتجـلَّى البـازي للصَّيدِ. إذا رَفَعَ رأسَهُ، ناظراً[٦] إليهِ.

فالأوَّلُ غيرُ جائزٍ على الله ـ تعالى ـ، لأنَّ الظُّهُورَ، والكُمُـونَ، تَغَـيُّرٌ، وهـو

---

(١) نسبت القصيدة التي منها هذا البيت إلى السَّمَوأل. أُنظر ديوان السَّمَوأل صنعة أبي عبدالله نفطويه: ١٢. ونسبت إلى الحارثي. أُنظر: الحارثي: حياته وشعره: ٨٨. ونسبت إلى غيرهما.

(٢) في (ش) و(هـ) و(أ): يقول. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٣) الأعراف: ١٤٣.

(٤) الأعراف: ١٨٧.

(٥) في (ش) و(ك) و(أ): يقول. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) في (هـ): ناظر. من دون تنوين النصب.

من صفات المُحْدَثِ. ولو أرادَ ـ تعالى ـ ذاتَهُ، لَمْ يَكُنْ لذلك معنىً، لأنَّ المُتَجَلّي[١]، يكونُ إمّا: بِمُقابَلَةٍ، أو ظُهورٍ. فلو أُريدَ به «المقابلةُ» فصار الجبلُ دَكّاً، وجب أن يستقرَّ لَهُ مكانٌ في العرشِ، وغيرِهِ، بل يصيرُ دَكّاً.

وإنْ أرادَ «ظَهَرَ» لكانَ لا يصُحُّ، لأنَّهُ تَعَلَّقَ[٢] نفيُ الرُّؤيةِ بألّا يَسْتَقِرَّ الجبلُ. والمعلومُ أنَّهُ لا يستقرُّ، بأنْ ينكشفَ لهُ، ويرى، لأنَّ ذلكَ في حُكْمِ أن يجعلَ الشَّرطَ في ألّا يرى ما يُوجِبُ أن يرى. وذلك مُتناقِضٌ.

ويحتملُ أنَّهُ لمّا أظهرَ اللهُ ـ تعالى ـ للجبلِ من آياتِ الآخرةِ، صارَ الجبلُ دَكّاً، إذْ قَدْ بَيَّنّا أنَّ ظُهورَهُ، ظُهورُ آياتِهِ، كما قال الحسنُ[٣]: «تَجَلّى رَبُّهُ»: بَدا لَهُ نُورُ العَرْشِ.

وفي روايةٍ: تَجَلّى اللهُ عَلَماً من أعلامِ يومِ القيامةِ، فاقْتُلِعَ الجَبَلُ.

ويَحْتَمِلُ أن يكونَ في الكلامِ تقديمٌ، وتأخيرٌ، فيكونُ معناهُ: فلمّا تجلّى مُوسى للجبلِ. أي: فلمّا رفع رأسَهُ ناظِراً إليهِ، جعَلَهُ رَبُّهُ دَكّاً. وذلكَ إنَّهُ قال: ﴿انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ﴾[٤].

---

(١) في (ح): التجلّي.

(٢) في (هـ) و(ح): علّق. بصيغة الماضي.

(٣) قول الحسن هذا نُسِبَ في مجمع البيان: ٢: ٤٧٥ إلى ابن عبّاس، ونُسِبَ إلى الحسن قولُهُ: لما ظهر وحيُ ربّه للجبل.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

ونظيرُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾[1]. وتقديرُهُ: ألمْ تَرَ إلى الظِّلِّ كيفَ مَدَّهُ رَبُّكَ؟



(١) الفرقان: ٤٥.

فصل [ـ ٤٨ ـ]

[في الرؤية]

قولُهُ ـ تعالى ـ ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ﴾(١)، ﴿يا أَيُّهَا الإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾(٢)، ﴿فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾(٣).

التَّعَلُّقُ بظواهِرِها، لا يَصُحُّ، لأنَّ اللِّقاءَ ـ عندَهُم ـ أفضلُ ثوابِ الله. واللهُ ـ تعالى ـ حذَّرَهُم من لقائِهِ، بعد الأمرِ باتِّقائِهِ، وهُمْ متى ما اتَّقُوهُ، لَقُوهُ بِزَعْمِهِم، ومتى ما لم يتَّقُوهُ، لم يَلْقَوهُ. فالتَّوَعُّدُ ـ بذلك ـ لا يَصُحُّ عِنْدَهم، لأنَّهُ من أفضَلِ الثَّوابِ. ولو كانَ اللِّقاءُ الرُّؤيَةَ، لَرَآهُ المؤمنُونَ، والكافرونَ(٤)، لأنَّهُ أخبرَهُم أنَّهُم الَّذينَ يَعْلَمُونَ، ويعتقِدُونَ أنَّهم مُلاقُو الله.

وعندَهُمْ: أنَّهُ مُسْتَحِقٌّ للثَّوابِ، فإذا لم يَجُزْ أنْ(٥) يَعْلَمَ أحدٌ أنَّهُ يراهُ، صَحَّ(٦)

---

(١) البقرة: ٢٢٣.

(٢) الانشقاق: ٦.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): الكافر. بصيغة المفرد.

(٥) في (ش): وبِأنْ.

(٦) في (أ): يصح. بصيغة المضارع.

/ ٥٢ / أنَّ المُلاقاةَ، غيرُ الرُّؤْيَةِ.

و«المُلاقَاةُ»، «مُفَاعَلَةٌ» من اللِّقاءِ، وأصْلُهُ لاستقبالِ[1] الشَّيئين، أحدِهما للآخرِ. يُقالُ: دَارِي تَلْقَاءَ دَارِهِ. ويُستَعْمَلُ[2] في الرُّؤْيةِ لاستقبال الرَّائي المَرْئِي.

والظّاهِرُ يقتضي أنَّهُم يستقبلون الله، واللهُ يستقبلهم، ولو تركوا الظّاهِرَ، سَقَطَ تَعَلُّقُهُمْ.

وإنْ[3] كانتِ المُلاقاةُ استقبالَ أحدِ الشَّيئين للآخرِ، فلا معنى للتَّوَعُّدِ به، لأنَّهما لا يُوجبانِ تحذيراً، ولا تخويفاً.

وظاهرُ اللفظِ، يُوجبُ أنَّهم يَعْلَمونَ أنّهم يَلْقَونَهُ في الوقتِ، لأنّهُ أخبرَ أنّهم يَعْلَمُونَ أنَّهم مُلاقُوهُ.

ولم يَقُلْ: سَيَلْقَوْنَهُ في الآخرةِ. ومتى قُلْتَ: فلانٌ يُلاقي فُلاناً. فإنَّهُ يجبُ للحالِ.

وإذا لم يَكُنْ في الوقتِ ـ كذلك ـ سَقَطَ التَّعَلُّقُ. ولا يُرَدُّ إلى الاستقبالِ، لأنّهُ عُدُولٌ عن الظاهِرِ. واللِّقاءُ مجازٌ في الرُّؤيةِ، لأنَّهُ يُستعمَلُ في ممارسةِ الشَّيءِ، وإنْ لم تَصِحَّ الرُّؤيةُ عليه. يُقالُ: لَقِيتُ مِنْهُ شَرّاً، وَبَرَحاً. ولَقِيتُ منهُ الأمَرَّينِ. ﴿لَقَدْ

---

(١) في (ش): الاستقبال. من دون حرف الجرّ (اللّام).

(٢) في (ش): تستعمل. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) في (أ) و(ح): وَإذا.

لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً﴾ [١]، ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْـمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ [٢].

[شِعْرٌ] [٣]:

فَمَــنْ يَلْــقَ خــيراً يحمــدِ اللهُ أمــرَهُ ... يُلاقِــي كــما لاقــى مُجِــيرُ أُمِّ عــامِرِ [٤]

وعلى سبيلِ التَّوَعُّدِ: يجبُ أن تَلْقَى الأميرَ. ﴿فَذُوقُوا بِما نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هذَا﴾ [٥]، ﴿قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا﴾ [٦]، ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللهِ﴾ [٧]، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ﴾ [٨].

وإذا كانَ مَجَازاً، لم يَجُزْ رَدُّهُ إليها، إلّا بدليلٍ، ومتى مُنِعَ الجَرْيُ على ظاهِرِهِ، وَجَبَ رَدُّ المعنى إلى ما يصُحُّ الجَرْيُ عليه، كقولِهِ: ﴿وَاسْأَلِ الْـقَرْيَةَ﴾ [٩]، ﴿فَأَتَى

---

(١) الكهف: ٦٢.

(٢) آل عمران: ١٤٣.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

(٤) المفضليّات: ٢٤٧ معزوّاً إلى المرقَّش الأصغر. متشابه القرآن: ١: ٢٧٥ بلا عزوٍ. أمالي المرتـضى: ٢: ٢٤٦ وشطره الثاني فيه: «وَمَن يَغْوَلا يعدَمْ على الغـيِّ لائـماً». التبيـان في تفـسير القـرآن: ١: ٢٧٥، ٤: ٣٦٣، ٥: ٤٧٨، ٦: ٣٣٦ بلا عزوٍ.

(٥) السّجدة: ١٤.

(٦) الفرقان: ٢١.

(٧) البقرة: ٢٤٩.

(٨) البقرة: ٢٢٣.

(٩) يوسف: ٨٢.

اللهُ بُنْيانَهُمْ﴾[١]، يُؤَكِّدُ ذلك قولُهُ: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾[٢].

معناهُ: يومَ يلقون جزاءَهُ، لأنَّ المنافقين، لا يرونَ اللهَ، عندَ أحدٍ من أهلِ الصَّلاةِ.

وكذلك قولُهُ: ﴿وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ﴾[٣] إلى آخر الآية.

معناهُ: إذْ وُقِفوا على جَزَاءِ ربِّهم، لأنَّ الكُفّارَ، لا يرونَ اللهَ، عندَ أحدٍ من الأُمَّةِ[٤].

وتستحيلُ[٥] الرُّؤْيةُ، لِـمُوجِبِ كَوْنِ المرئي جسماً كثيفاً، بأكثفِ مِنْ شُعَاعِ العَيْنِ في محاذاةٍ[٦] مخصوصةٍ، مُتوسِّطاً في القُرْبِ، والبُعْدِ، من الرَّائي.

فلمّا استحالَ عليه ما به تصُحُّ الرُّؤيةُ[٧]، استحالَتِ[٨] الرُّؤيةُ عليه، فوجَبَ صَرْفُ ما يُنْفَى عَنْهُ من الألفاظِ إلى غيرِهِ.

---

(١) النحل: ٢٦.

(٢) التوبة: ٧٧.

(٣) الأنعام: ٣٠.

(٤) في (أ): الآية.

(٥) في (ش) و(أ): يستحيل، بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) في (هـ): محاذاته.

(٧) في (هـ): الرواية.

(٨) في (ش): استحالة. بصيغة المصدر.

وقد فسَّرَهُ اللهُ ـ تعالى ـ بما لا إشكالَ فيهِ: أنَّ جميعَ النَّاسِ، يلقَوْنَهُ. ثُمَّ بَيَّنَ كيفيَّةَ اللِّقاءِ، مِنْ سُرُورٍ، أو ثُبُورٍ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّى إِذا جاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قالُوا يا حَسْرَتَنا عَلى ما فَرَّطْنا فِيها﴾ (١).

أي: خَسِرَ هؤلاءِ الكُفَّارُ الَّذينَ كذَّبُوا بلقاءِ ما وَعَدَ اللهُ بهِ، من الثَّوابِ، والعِقَابِ، وجعل لِقَاءَهُم ـ لذلكَ ـ لِقَاءَهُ ـ تعالى ـ مجَازاً. كما يقولُ المسلمونَ ـ لِمَنْ ماتَ منهم ـ: لَقَدْ لَقِيَ اللهَ، وصارَ إليهِ. يَعْنُونَ(٢): لِقَاءَ ما يستحِقُّهُ(٣) من اللهِ، كما قال: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (٤)، والموتُ لا يُشاهَدُ. أي: [فقد] (٥) رأيتُمْ أسبابَهُ، وأنتُمْ تنظُرون.



---

(١) الأنعام: ٣١.

(٢) في (هـ): بعنوان.

(٣) العبارة في (ح): يعنون لَقِيَ ما يستحقّ من الله.

(٤) آل عمران: ١٤٣.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

فصل [ـ ٤٩ ـ]

[في الرؤية]

قولُهُ ـ تعالى ـ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْـحُسْنى وَزِيادَةٌ﴾[١].

الظّاهِرُ أنّهُ لا دِلالةَ على ما قالوهُ[٢]، لأنَّ الزِّيادةَ، لا تُعقَلُ بمعنى الرُّؤيةِ. فإذنْ لا يجوزُ أنْ يُخاطبَ اللهُ عبادَهُ بما ليسَ في لغتهمْ، إلّا معَ البيانِ لذلكَ. وإنّما يصحُّ ذلكَ في الشَّرعِ من حيثُ لمْ يكنْ ـ لِما أمرَ[٣] بهِ في أصلِ اللُّغةِ ـ اِسمٌ موضوعٌ، وليسَ كذلكَ الرُّؤيةُ. ولا بيانَ هاهنا.

وأمّا[٤] حملُ الآيةِ على حديث[٥] مرويٍّ عنْ أبي بكرٍ[٦]، فإسنادُهُ[٧] غيرُ

---

(١) يونس: ٢٦.

(٢) في (أ): قالوا.

(٣) في (هـ): أقرَّ.

(٤) في (ح): فأمّا. معَ الفاء.

(٥) وهو ما رواه أبو بكر عن النبي (ص): «إنّكم سترونَ ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامّون في رؤيته».

(٦) في (هـ): بكرة.

(٧) في (ك): فاستنادهُ.

مَرضيٌّ ثمَّ أنَّ ردَّ ذلكَ إلى مخصوصٍ، جائزٌ، ما لمْ تردَّهُ[١] اللُّغةُ[٢]، والأصولُ. فاللُّغةُ تنفي ذلكَ، لأنَّ الزِّيادةَ على الشَّيءِ، لا تكونُ إلَّا من جنسِ ذلكَ الشَّيءِ، ألا ترى أنَّه لا يجوزُ أن يقولَ: لهُ، عشرةُ دراهمَ، وزيادةٌ. ثمَّ تكونُ الزِّيادةُ ثوباً. وإنَّ الزِّيادةَ على الشَّيءِ[٣]، لا تكونُ أفضلَ منَ الشَّيءِ المذكورِ، بلْ تكونُ دونَهُ. فلمَّا كانتْ رؤيتُهُ أفضلَ من جميعِ الثَّوابِ، ومنَ الجنَّةِ، لم يجزْ أنْ يكونَ المرادُ بلفظِ[٤] «الزِّيادةِ» الرُّؤيةَ.

وقولهُ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى﴾[٥]، مثلُ قولهِ: ﴿الَّذِينَ أَساؤُوا السُّوْأى﴾[٦]. فمعنى «الْحُسْنى»: الثَّوابُ. ومعنى «السُّوْأى»: العقابُ. ومعنى الآيةِ، مفسَّرٌ في القرآنِ في مواضعَ، وهوَ أنَّه يعني بهِ: أنَّ للمحسنِ جزاءَ إحسانهِ، وزيادةً تحصلُ لهُ، لا يستحِقُّها بفعْلهِ، كما قالَ: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾[٧]، ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾[٨].

---

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يردّه. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) في (ش): اللَّعنة.

(٣) في (هـ) شيء. من دون (أل).

(٤) في (أ): بلفظة، بالتاء المتحركة المثنّاة.

(٥) يونس: ٢٦.

(٦) الرُّوم: ١٠.

(٧) الأنعام: ١٦٠.

(٨) فاطر: ٣٠.

فبيَّنَ أنَّ الزِّيادةَ «مِنْ فَضْلِهِ»، ولمْ يقُلْ: منْ رؤيتهِ.

ولا مَعْدِلَ عمّا بيَّنهُ اللهُ، وقدْ فسَّرهُ / ٥٣/ المفسِّرونَ. قال ابنُ عبَّاسٍ[١]، والحسنُ[٢]، ومجاهدُ[٣]، وقتادةُ[٤]: «الحُسْنَى»: الثَّوابُ المستَحَقُّ، و«الزِّيادةُ»: التَّفضُّلُ على قدرِ المستحقِّ على طاعاتهم[٥] منَ الثَّوابِ، وهيَ المضاعفةُ المذكورةُ في قولهِ: ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾.

وقالَ أبو صالحٍ، والكلبيُّ نحوَ ذلكَ.

وقيلَ: ما يأتيهم[٦] في كُلِّ وقتٍ من فضلِ الله مُجَدَّداً.

الباقر[٧] ـ عليه السلام ـ: الزِّيادة، هي ما أعطاهُمُ اللهُ مِنَ النِّعَمِ في الدُّنيا، لا يُحاسِبهُهُم بهِ في الآخِرَةِ.

---

(١) جامع البيان: ١١: ١٠٧. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٠٤. الدر المنثور: ٤: ٣٥٩. التفسير الكبير: ١٧: ٧٨.

(٢) جامع البيان: ١١: ١٠٨. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٠٤. الدر المنثور: ٤: ٣٦٠. التفسير الكبير: ١٧: ٧٨.

(٣) مجمع البيان: ٣: ١٠٤. وفي جامع البيان عن مجاهد: ١١: ١٠٨: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى﴾: مثلها حسنى، «وزيادة»: مغفرة ورضوان. وكذا في الدر المنثور: ٤: ٣٦٠.

(٤) جامع البيان: ١١: ١٠٨. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٠٤.

(٥) في (أ): طاعتهم، بصيغة المفرد.

(٦) في (هـ): مأتيهم.

(٧) مجمع البيان: ٣: ١٠٤. تفسير القمّي، علي بن إبراهيم: ١: ٣١١.

أميرُ المؤمنين[١] ـ عليه السلام ـ: الزِّيادةُ غُرْفَةٌ من لُؤْلؤَةٍ[٢] واحدةٍ، لها أربعةُ أبوابٍ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[٣].

ليس في الآية[٤] ذكرُ هؤلاء محجوبين، إثباتٌ لكونِهِم غيرَ محجوبينَ، لأنّ اللفظَ لا يدلُّ عليهِ، ولا يُنبِئُ عنهُ. والمتروكُ ذِكْرُهُ لا يدلُّ على أنّه بخلافِ المذكورِ، بل يكونُ موقُوفاً على الدَّليلِ. على أنَّ ما ذَكَرَ أنَّهُم محجوبُونَ عنهُ في يومِ القِيامَةِ.

وعندَ القومِ لا يراهُ أحدٌ في ذلك الوقتِ، بل الكلُّ محجوبونَ.

ولو كان منعاً عن الرُّؤيةِ لناقَضَ قولَهُ: ﴿وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ﴾[٥]، فهذهِ تُخْبِرُ عن وُقُوفِهِم عليه[٦]، وتلكَ تُخْبِرُ عن كونِهِم غيرَ محجوبينَ عنهُ.

---

(١) مجمع البيان: ٣: ١٠٤، وعن علي (عليه السلام) في أمالي الشيخ الطوسي: ١: ٢٥: الحسنى هي الجنّة، والزيادة هي الدنيا. وفي الدر المنثور: ٤: ٣٥٨ ما يطابق رواية كتابنا هذا، وكذا في التفسير الكبير: ١٧: ٧٨. والجامع لأحكام القرآن: ٨: ٣٣٠ وفيه: لها أربعة آلاف باب.

(٢) في (هـ): لُؤْلُؤٌ.

(٣) المطفّفين: ١٥.

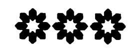
(٤) (الآية) سقطت من (ح).

(٥) الأنعام: ٣٠.

(٦) في (ش): عليك.

ويأتي لفظُ «الحجابِ»، فيما هو أبلغُ من الرُّؤيةِ، فيقالُ: فلانٌ محجُوبٌ عن الإرثِ، إذا كان [هُناكَ][1] مَنْ ـ لأجْلِهِ ـ لا يستحِقُّ الإرْثَ. وفلانٌ محجوبٌ عن مالِهِ. أي: ممنُوعٌ من التَّوصُّلِ إليهِ.

وعلى هذا تُؤَوَّلُ الآيةُ، على أنَّ الاستدلال بالآيةِ، مبنيٌّ على دليلِ الخطابِ، وهوَ باطِلٌ.



(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

فصل [ـ ٥٠ ـ]

[في الرؤية]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى﴾[١].

تَعَلُّقُهم ـ بذلك ـ فاسِدٌ، لأنَّ التَّدَلِّي في أوَّلِ[٢] الآيـة، إنّما هـو النُّـزُولُ، لا الصُّعُودُ. يقالُ: أدْلَيتُ الدَّلْوَ. وتَدَلَّى الشَّيءُ. وتَدَلَّيْتُ مِنَ السَّطْحِ.

قولُـهُ: ﴿وَلَقَـدْ رَآهُ نَزْلَـةً﴾[٣]. أي: نُـزُولاً. لِـيُعْلَمَ أنَّ «تَـدَلَّى»[٤] بمعنـى: النُّزولِ[٥]. ولو لم يكن كذلك، لم يصُحَّ قولُـهُ: ﴿نَزْلَـةً أُخْـرى﴾[٦]. والأوَّلُ لـيسَ بنَزْلَةٍ.

وقولُهُ: ﴿لَقَدْ رَآهُ نَزْلَـةً أُخْـرى﴾، يُوجِـبُ أنّـهُ رآهُ مـرّتين، ولـيس ذلـك مَذْهَبَهُمْ.

---

(١) النّجم: ١١.

(٢) في (أ): الأوّل.

(٣) النجم: ١٣.

(٤) النجم: ٨.

(٥) في (ح): نزل.

(٦) النّجم: ١٣.

وقولُهُ: ﴿لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ﴾[١]، ولو كان ـ كما زَعَمُوا ـ لَقَالَ: رأى رَبَّهُ.

وقد فسَّرَ المُخالِفُون[٢] قولَهُ: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ﴾[٣]: أنَّهُ في الدُّنيا. وعندنا: أنَّهُ في الدُّنيا، والعُقْبى.

فعلى قولِ الجميعِ، لا يجوزُ أن يراهُ أحدٌ في الدُّنيا. فكيفَ يُفَسِّرُ آيةً[٤] بما يُبطِلُ هذه الآيةَ. وَنَمَطُ الآيةِ يُبْطِلُ قولَهُم، كما قال: ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى﴾[٥]. فتبَيَّنَ أنَّهُ وَحْيٌ. والمُوحِي إليه، إنَّما هوَ جِبْرِيْلُ. وَبَيَّنَ أنَّهُ ﴿شَدِيدُ الْقُوى ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: عَقْلٍ. ﴿فَاسْتَوى﴾[٦]، أي: عقل. ﴿وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلى﴾[٧]. يعني: بالسَّماءِ العُلْيا، ﴿ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى﴾[٨].

أي: نَزَلَ، ﴿فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى﴾[٩]، أي: كان جِبْرِيلُ مِنْ مُحَمَّدٍ على هذا المقدارِ.

---

(١) النّجم: ١٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٥٤ ـ ٥٥.

(٣) الأنعام: ١٠٣.

(٤) في (أ): آنه.

(٥) النّجم: ٣.

(٦) النّجم: ٦.

(٧) النّجم: ٧.

(٨) النّجم: ٨.

(٩) النّجم: ٩.

﴿فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[١]. يعني: جبريلُ إلى النَّبيِّ ـ عليه السلام ـ. ﴿ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى﴾[٢]. لم يكُنْ ـ فيما رأى ـ شُبْهةٌ، يَرْتابُ بِها، بل كانَتْ رُؤْيةً صحيحةً. وهذه[٣] كُلُّها من صفاتِ الأجسامِ.

ثُمَّ قال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخرى﴾. يعني بها: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى﴾[٤].

وزَعَمُوا أنَّ السِّدْرَةَ في الجَنَّةِ، فيجبُ أن يكون «رآهُ» في الجنَّةِ. [فتارةً يقولون: رآهُ على العرشِ وتَارةً رآهُ في الجنَّةِ على أنَّهُ لم يَقُلْ: في الجنَّةِ][٥] ولكنْ[٦] قالَ: «عِنْدَها». ومعنى ذلِكَ كقولِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتَامَى ظُلْماً﴾[٧].

ثُمَّ قالَ: ﴿ما زاغَ الْبَصَرُ وَما طَغى﴾[٨]. أي: لم يَزَغْ في رُؤيتِهِ، ولم يَكُنْ فيهِ مُخْطِئاً.

ثُمَّ قالَ: ﴿لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى﴾[٩]، فبَيَّنَ أَنَّهُ رَأى «الكُبْرَى»

---

(١) النّجم: ١٠.

(٢) النّجم: ١١.

(٣) في (هـ): هذا.

(٤) النّجم: ١٤.

(٥) ما بين المعقوفتين سقطت من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

(٦) في (ح): لكنه.

(٧) النساء: ١٠.

(٨) النّجم. ١٧.

(٩) النّجم: ١٨.

مِنْ آياتِ رَبِّهِ.

وقولُهُ: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾ الآية[1].

فبَيَّنَ أنَّهُ لايجوزُ أنْ يُكَلِّمَ أحَداً[2]، إلّا على هذه الوُجُوهِ الثَّلاثَةِ، فلا يجوزُ أنْ يُكَلِّمَهُم مُخاطبَةً، ومُشافهةً.

[و][3] روى الترمذيُّ[4] في صحيحه: قال مَسْروقٌ: دخلتُ على عائشةَ، فقلتُ: هلْ رأى مُحَمّدٌ رَبَّهُ؟

فقالت: لقد تَكَلَّمْتَ بشيءٍ، قَفَّ[5] لَهُ شَعْرِي.

فقلتُ: رُوَيداً، ثُمَّ قرأتُ: ﴿لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى﴾.

فقالت: أينَ يذهَبُ بِكَ[6]؟ إنَّما هو جبرِيلُ. ثُمَّ قالت ـ بعد كلامٍ ـ: لكنَّهُ رأى جبرِيلَ. لم يَرَهُ في صُورَتِهِ إلّا مرَّتين: مرَّةً عندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى، ومرَّةً في

---

(١) الشورى: ٥١.

(٢) في (ش): أحد.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ح).

(٤) لم نقف عليه في صحيح الترمذي بطبعاته المختلفة. وقد ورد في مصادر أُخرى، أُنظر: عيون أخبار الرضا: ١: ٢٢٦ ـ ٢٢٧. مجمع البيان: ٥: ١٧٥. الأسماء والصّفات: ٤٣٥.

(٥) قفَّ الشّعْر: قام من الفزع. «المعجم الوسيط ـ قَفَفَ».

(٦) في (أ): يذهبك.

أجْيَادٍ[١]، لَهُ سِتمائة جَناحٍ، قد سَدَّ الأُفُقَ[٢].

أبو ذَرٍّ: سُئِلَ[٣] رسولُ[٤] الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: أرأيْتَ رَبَّكَ؟

فقال ـ عليه السلام ـ: أَنُورٌ أَنَّى[٥] أرَاهُ ؟

ابنُ عبَّاسٍ[٦]: ﴿ما كَذَبَ الْـفُؤادُ ما رَأى﴾ . قال: رآهُ بِقَلْبِهِ.

وروى المُفَسِّرونَ ـ عن ابنِ عبَّاسٍ[٧]، وابن مسعودٍ[٨]، والحسنِ[٩]، وعائشةَ[١٠]، ومَسْروقٍ[١١] / ٥٤/ وعَمْرو بن دينارٍ، ومَعْمَرٍ[١٢]، وهِشَامِ ابن

---

(١) في (أ): أجيادِهِ.

(٢) في (أ): الأفْتَى.

(٣) في (هـ): سَأَلَ: بصيغة المبني للمعلوم.

(٤) صحيح مسلم: ١: ١١١ بلفظ: «نورٌ أنّى أراهُ؟». صحيح الترمذيّ: ١٢: ١٧٢ بلفظ «نوراً أنّي أرَاهُ». شرح الأصول الخمسة: ٢٦٩، بلفظ «نُورٌ هُوَ أنّى أراه؟». الجامع لأحكام القرآن: ١٧: ٩٣، بلفظ: نورٌ أنّى أراه».

(٥) ورد في النسخ جميعها: «أنورٌ أنْ أراهُ».

(٦) جامع البيان: ٢٧: ٤٨. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١٧٤، ١٧٦. الدر المنثور: ٧: ٦٤٦. الجامع لأحكام القرآن. ٧: ٥٦/ ١٧: ٩٢.

(٧) جامع البيان: ٢٧: ٤٨. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٥٥.

(٨) جامع البيان: ٢٧: ٤٦. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٥٥.

(٩) جامع البيان: ٢٧: ٤٤، ٤٧. الجامع لأحكام القرآن: ١٧: ٩٢.

(١٠) جامع البيان: ٢٧: ٤٦. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٥٥.

(١١) جامع البيان: ٢٧: ٤٦. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١٧٥.

(١٢) جامع البيان: ٢٧: ٤٩.

عُرْوةَ ـ نحوَ ما قُلْناهُ من الوجوهِ.

قال الجُبَّائي[١] ـ في قوله: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْـمَلائِكَةُ أَوْ نَـرَى رَبَّنَـا﴾[٢] ـ: الكُفَّارُ مُجَسِّمةٌ، فلذلكَ جَوَّزُوا الرُّؤيةَ عليه، وكذلك اليهُودُ، حيثُ قالت: ﴿لَـنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾[٣].

وقد تكونُ الرُّؤيةُ في النَّومِ، والرُّؤيةُ بالقلبِ، فإذا قال: «جَهْـرَةً»، لم تكُـنْ إلّا رُؤْيةَ العَيْنِ على التَّحقيقِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يـا مُوسـى لَـنْ نُـؤْمِنَ لَـكَ حَتَّـى نَـرَى اللهَ جَهْرَةً﴾[٤].

استدلَّ البَلْخِيُّ بهذه الآيـةِ عـلى أنَّ الرُّؤيـةَ لا تَجُـوزُ[٥] عـلى الله ـ تعـالى ـ لأنَّها[٦] إنكارٌ تَضَمَّنَ أمرين:

---

(١) مجمع البيان: ٤: ١٦٦.

(٢) الفرقان: ٢١.

(٣) البقرة: ٥٥.

(٤) البقرة: ٥٥.

(٥) في (أ): يجوز. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٦) في (ك) و(ح): لأنَّهُ.

رَدَّهُم على نبيِّهِمْ. وتجويزَهُم الرُّؤْيةَ على رَبِّهم.

وَيُبَيِّنُ ذلك قولُهُ: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ﴾ (١)، فدلَّ ذلك على أنَّ المرادَ، إنكارُ الأمْرَينِ.



(١) النّساء: ١٥٣.

فصل [ـ ٥١ ـ]

[في التوحيد]

قولُهُ ـ تعالى ـ: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لله أَنْداداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١].

أي: تعلمونَ أنَّ الأندادَ، الَّتي تعبُدُونَها مِنَ الأصنامِ، وغيرِها، لا تضُرُّ، ولا تنفَعُ، ولا تَسْمَعُ، ولا تُبْصِرُ.

والمشركونَ لا يعتقدونَ أنَّ الأصنامَ، خَلَقَتِ السَّماءَ[٢]، والأرضَ مِنْ دُونِ الله. فالوَصْفُ لَهُمْ ـ هاهنا ـ بالعلْمِ، إنَّما هُوَ لتأكيدِ الحُجَّةِ عليهم، ليكُونوا أضيقَ عُذْراً.

ويُقالُ: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. أي: تَعقِلُون أنَّ مَنْ كان بهذه الصِّفَةِ، فقد استوفى شُرُوطَ التَّكليفِ، وضَاقَ عُذْرُهُ في التَّخَلُّفِ عن النَّظرِ، وإصابةِ الحَقِّ، كما قال: ﴿إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الألْبابِ﴾[٣].

---

(١) البقرة: ٢٢.

(٢) في (ح): السموات.

(٣) الرّعد: ١٩.

وقال مُجاهدٌ[١]: المرادُ ـ بذلك ـ اليهودُ، والنَّصارى خاصَّةً. ومعنى ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: إنَّكم تَعْلَمُون في التّوراةِ والإنجيلِ أنّهُ إلهٌ واحِدٌ.

شُرِيحُ[٢] بن هاني: إنَّ أعْرَابيّاً، قام يومَ الجَمَلِ إلى أميرِ المؤمنينَ ـ عليه السلام ـ، فسألَهُ عنِ التّوحيدِ، فقالَ الناسُ: أمَا تراهُ في تَقسُّمِ القَلْبِ؟

فقال ـ عليه السلام ـ: دَعُوهُ، فإنَّ الّذي يُرِيدُ الأعرابيُّ، هُوَ الّذي نُريدُهُ مِنَ القَوْمِ. ثُمَّ قال:

يا أعْرَابيُّ، إنَّ الكلامَ في: أنَّ اللهَ ـ تعالى ـ واحِدٌ، على أرْبَعَةِ أقْسَامٍ: فَوَجْهانِ مِنْها، لا يَجُوزانِ على الله ـ تعالى ـ. ووجْهَانِ يَثْبُتانِ فيه.

فأمّا اللّذانِ، لا يَجُوزانِ عليه:

فقولُ القائِلِ: وَاحِدٌ. يقصُدُ بِهِ بابَ الأعدادِ، فهذا ما لا يجوزُ عليهِ، لأنَّ ما لا ثاني لهُ، لا يدْخُلُ في باب الأعدادِ. أمَا ترى أنّهُ كَفَرَ مَنْ قَالَ: ﴿ثالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ ؟

وقولُ القائِلِ: هُوَ واحِدٌ[٣] من النّاسِ. يُريدُ بهِ النَّوْعَ مِنَ الجِنْسِ. فهذا ما لا يجوزُ، لأنّهُ تَشْبيهٌ. وجَلَّ رَبُّنا عن ذلك. وأمّا الوجهانِ اللّذان يَثْبُتان فيه:

فقولُ القائلِ: هُوَ واحِدٌ، لَيْسَ لَهُ في الأشياءِ شِبْهٌ. كذلك رَبُّنا.

---

(١) جامع البيان: ١: ٦٤. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٦٠. الدر المنثور: ١: ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) التوحيد: ٨٣ ـ ٨٤. معاني الأخبار: ٥ ـ ٦.

(٣) في (أ): أحَد.

وقولُ القائلِ: إنّهُ ـ عزَّ وجَلَّ ـ أحَدِيُّ المَعْنى. يَعْنـي بـهِ: أنّـهُ لا يَنْقَـسِمُ في وُجُودٍ، ولا عَقْلٍ، ولا وَهْمٍ، كذلك رَبُّنا.

وقال مُتَكَلِّمٌ: قَوْلُنا: إنَّهُ واحِدٌ، على أربعةِ أوْجُهٍ:

الأوَّلُ: واحِدٌ، ليس بِذِي أبْعاضٍ، ولا يجوزُ عليهِ الانقسامُ.

والثّاني: واحِدٌ في استحقاقِ العبادةِ.

والثّالثُ: واحِدٌ، لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ.

والرّابعُ: في الصِّفاتِ النَّفسِيَّةِ.

وقال أميرُالمؤمنين[1] ـ عليه السلام ـ: وَكُلُّ مَعْـدُودٍ بِنَفْـسِهِ مَخْلُـوقٌ، وَكُـلُّ قائِمٍ بِسِواهُ، مَعْلُولٌ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّماواتِ وَفِي الأَرْضِ﴾[2].

أي: المُنْفَرِدُ بالتَّدْبيرِ، في السّمواتِ، وفي الأرضِ، لا أنْ حَلَّ[3] فيهما، أو في شيءٍ منهُما، لأنّه لا يجوزُ أن يُقالَ: هُـوَ زيـدٌ في البيـتِ، والـدّارِ. إلّا أنْ يكـونَ في

---

(١) نهج البلاغة، بشرح محمد عبده: ٢: ١١٩، وفيه: «كلُّ معروفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوع».

(٢) الأنعام: ٣.

(٣) في (هـ) و(أ): أحَلَّ.

الكلامِ ما يدلُّ على المراد بهِ التدبيرُ، كقَوْلِ القائلِ: فلانُ الخَلِيفةُ في الشَّرْقِ[1]، والغَرْبِ. لأنّ المعنى ـ في ذلك ـ أنّهُ المُدَبِّرُ فيهما.

ويجوزُ أنْ يكونَ خَبَرَاً بعد خَبَرٍ، كأنّهُ قالَ: هُوَ اللهُ، وَهْوَ في السَّمواتِ وفي الأرضِ.

وقال أبو عليٍّ[2]: إنَّ قولَهُ: ﴿وَهُوَ اللهُ﴾، قد تَمَّ[3] الكلامُ، وقولُهُ: ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾، مُتَعَلِّقٌ بقولِهِ: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾[4] في السّمواتِ، وفي الأرض. لأنَّ الخَلْقَ إنّما يكونونَ ملائكةً، فهمْ في السَّماءِ، أوِ الإنسَ[5]، والجنَّ، فهمْ في الأرضِ. فهوَ[6] ـ تعالى[7] ـ عالمٌ بجميعِ ذلكَ، لا تخفى[8] عليهِ خافيةٌ. ويقوِّيهِ[9] قولُهُ: ﴿وَيَعْلَمُ ما تَكْسِبُونَ﴾[10].

---

(١) في (أ): المشرق.

(٢) هو أبو عليّ الطوسيّ: مجمع البيان: ٢: ٢٧٣.

(٣) في (ش): قد بم.

(٤) الأنعام: ٣.

(٥) في (ح): أو إنساً أو جنّاً.

(٦) (فهو) ساقطة من (أ). وفي (ح): وهو. معَ الواو.

(٧) في (أ): وتَعالى.

(٨) في (ش) و(ك): يخفى. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٩) في (ك): تقوِّيه. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(١٠) الأنعام: ٣.

وقالَ هشامُ بنُ الحكمِ للمؤبَّذ[١]: أهُما[٢] في القوَّةِ سواءٌ؟ قال: نعمْ. قال: فجوهرُهُما واحدٌ؟

قال المؤبَّذ ـ لنفسهِ[٣] ـ: إنْ قلتُ: إنَّ جوهرَهما، واحدٌ، عادَ إلى نَعْتٍ وَاحِدٍ، وإنْ قلتُ: مختلفٌ[٤]، اِختلفا / ٥٥/ ـ أيضاً ـ في الهمِّ، والإراداتِ، ولم يتَّفِقا في الخلقِ؟

فقالَ هشامُ: كيفَ لا تُسلمُ؟

قال: هيهاتَ.

وقالَ أبو الهذيلِ[٥] لصالحِ بن عبدِ القدُّوس: على أيِّ شيءٍ تعزمُ يا صالح؟

قال: استخيرُ اللهَ، وأقولُ بالاثنينِ!

قالَ: فأيَّهما استخرتَ، لا أمَّ لكَ؟

شاعرٌ[٦]:

---

(١) في (أ) و(ح): المؤبد. بالدال المهملة.

(٢) العبارة: «أهما...المؤبذ» ساقطة من (أ).

(٣) في (ح): بنفسه. معَ حرف الجر (الباء).

(٤) في (أ): مخلف.

(٥) فرق وطبقات المعتزلة: ٥٧ـ٥٨. أمالي المرتضى: ١: ١٤٤.

(٦) في (هـ): شعر.

لَـــوْ كَـــانَ للخَـــيرِ ســـواهُ ربٌّ   تبَّتَـــتِ الملـــكُ وجـــاءَ الحَـــربُ
لَـــو كَـــانَ في الخلـــقِ لَـــهُ نظـــيرُ   لقيـــل هـــذا عـــاجزٌ حقـــيرُ[١]

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَهُوَ الَّـذِي فِي السَّماءِ إِلـهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلـهٌ﴾[٢]. قـالَ الدَّيصانيُّ[٣] لهشامِ بنِ الحكمِ: إنَّ في القرآنِ ـ هذهِ الآية ـ قوَّةً لنا. فكتبَ هشامُ إلى الصَّادقِ ـ عليه السلام ـ، فأجابهُ:ـ

قلْ[٤] لهُ: ما اسمكَ في الكوفةِ؟ فإنَّـهُ[٥] يقـولُ: فـلانٌ. فقـلْ: مـا اسـمكَ بالبصرةِ؟ فإنَّه يقول: فلانٌ. فقلْ لـهُ: كـذلكَ ربُّنـا: ﴿فِي السَّماءِ إِلـهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلهٌ﴾، وفي البحارِ إلهٌ، وفي كلِّ مكانٍ، إلهٌ.

قالَ: فأتيتهُ[٦]، فأخبرْتهُ[٧]، فقالَ: هذا نُقِلَ منَ الحِجَازِ.

الفضلُ[٨] بن شَاذانَ: قالَ ثَنويٌّ للرِّضـا ـ عليـه السـلام ـ: إنِّي أقـولُ: إنَّ

---

(١) لم نقف على قائله ولا مورد أخذه.

(٢) الزخرف: ٨٤.

(٣) الكافي: ١: ١٢٨ ـ ١٢٩. التَّوحيد: ١٣٣.

(٤) (قل) ساقطة من (أ).

(٥) في (ح): فسيقول.

(٦) في (ك): فانتبهَ.

(٧) في (ك) و(هـ): وأخبرته: معَ (واو) العطف.

(٨) التوحيد: ٢٧.

صَانعَ العَالَمِ، اِثنانِ، فما الدَّليلُ على أنّه واحدٌ؟

فقال ـ عليه السلام ـ[1]: قولُكَ اِثنانِ، دليلٌ على أنّه واحدٌ، لأنّكَ لمْ تدَّعِ الثَّانيَ إلَّا بعدَ إثباتِكَ الواحدَ، فالواحدُ مُجْمَعٌ عليهِ، وأكثرُ منْ ذلكَ مختلفٌ فيهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللهُ﴾[2].

دخولُ «مِنْ» فيهِ، يدُلُّ على عمومِ النَّفيِ لكلِّ إلهٍ غيرِ الله. ولوْ قالَ: ما إلهٌ إلَّا الله. لم يُفِدْ ذلكَ. وإنَّما أفادتْ «مِنْ» هذا المعنى، لأنَّ أصلها لابتداءِ[3] الغايةِ. فدلَّت على إستغراقِ النَّفي لابتداءِ الغايةِ إلى إنتهائها.

وقالَ ثنويٌّ[4] لهشام بن الحكمِ: أنا أقولُ بالاثنينِ.

فقالَ: ـ حفظكَ اللهُ ـ يقدرُ أحدُهما يفعلُ شيئاً، لا يستعينُ بصاحبهِ عليهِ؟

قالَ: نعمْ.

قالَ: فما ترجو من اثنينِ: واحدٌ خلقَ كلَّ شيءٍ؟ أبو الخيرِ[5] فاذْ شاه:

---

(١) (عليه السلام) سقطت من (ح).

(٢) ص: ٦٥.

(٣) في (ش): الابتداء. من دون حرف الجر (اللام). وفي (ح): الابتداء في الغاية.

(٤) العقد الفريد: ٢: ١٩٧.

(٥) في (ش) و(ح): أبو الحسين فاذْ شاه. وفي (ح) ـ أيضاً ـ: فازشاه بالزاي المعجمة.

تبـــاركَ اللهُ العزيـــزُ الفـــردُ مـــن أنْ يُـــرى ضـــدٌّ[١] لـــهُ أو نـــدُّ[٢]

***

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٣].

معناهُ: ليسَ مثلهُ شيءٌ على وجهٍ مـنَ الوجـوهِ. وتكـونُ «الكـافُ» زيـادةً. تقديرهُ: ليسَ مثلَ اللهِ، شيءٌ منَ الموجوداتِ، والمعلوماتِ. قالَ أوسُ[٤]:

وقَـــتلى كمثـــلِ جـــذوعِ النَّخيـــلِ يغـــشَّاهمُ سَـــبَلٌ مُنْهَمـــرْ[٥]

وقالَ المرتضى[٦]: «الكاف»، ليستْ زائدةً، وإنَّما نفى أنْ يكونَ لمثلـهِ مثـلٌ، فإذا ثبتَ ذلكَ، عُلمَ أنَّه لا مثلَ لهُ، لأنَّه لو كَانَ لَهُ مِثْلٌ، لكانَ لهُ أمثـالٌ، وكـانَ[٧] لِـمِثْلهِ مِثْلٌ، لأنَّ الموجوداتِ على ضربينِ: ما لا مثلَ لـه كالقـدرةِ. ومـا لـهُ مثـلٌ كالسَّوادِ، والبياضِ، وأكثرِ الأجناسِ، فلهُ ـ أيضاً ـ أمثالٌ. وليسَ في الموجـوداتِ ما لهُ مِثْلٌ واحدٌ فحسبُ، فعُلمَ أنَّه لا مِثْلَ لهُ أصلاً من حيثُ لا مثلَ لمثلهِ.

---

(١) في (ح): ندٌّ له أو ضدّ.

(٢) لم نقف على مورد أخذه.

(٣) الشورى: ١١.

(٤) ديوان أوس بن حجر: ٣٠.

(٥) في (ش): منهم. وهو تحريف.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٩: ١٤٧.

(٧) العبارة: «وكان... مثل» ساقطة من (أ).

ويقالُ: أي: ليسَ كهُوَ[١] شيءٌ. فأدْخلَ المِثْلَ توكيداً، كقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾[٢]. أي: مثلُ الجنَّةِ. لقولِهِ: ﴿فِيها أَنْهارٌ﴾[٣].

وقالوا: «الكاف» زيادةُ معنى وذلكَ أنَّ التَّشبيهَ يقعُ بـ«مِثْل» وبـ«الكاف».

فأرادَ اللهُ ـ تعالى ـ أنْ يُبيِّنَ أنَّهُ منزَّهٌ عنِ التَّشبيهِ أنَّه كشيءٍ، أو مثلُ شيءٍ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا﴾[٤].

معنى ذلكَ: أنَّه لو صحَّ إلهانِ، أوْ آلهةٌ، لصحَّ ـ بينهما ـ التَّمانعُ، فكانَ يؤدِّي ذلكَ إذا أرادَ أحدُهما فعلاً، وأرادَ الآخرُ ضدَّهُ، إمَّا أنْ يقعَ مرادُهما، فيؤدِّي إلى اِجتماعِ الضِّدَّينِ، أوْ لا يقعُ مرادُهما، فينْتقضُ كونُهما قادرينِ. أو يقعُ مرادُ أحدهما، فيؤدِّي إلى كونِ الآخرِ غيرَ قادرٍ. وكلُّ ذلكَ فاسدٌ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[٥].

---

(١) في (ش) و(أ): لهو. معَ اللامِ. وفي (ك) و(ح): لهُ. وفي (هـ): هو.

(٢) محمَّد: ١٥.

(٣) محمد: ١٥.

(٤) الأنبياء: ٢١، ٢٢.

(٥) الإخلاص: ١.

سألَ أبو هاشمٍ[١] الجعفريُّ أبا جعفرٍ الثَّاني ـ عليه السلام ـ عن معنى «الأحد»؟

قال: المُجْمَعُ عليهِ بالوحدَانيةِ، أَمَا سمعتَهُ يقولُ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[٢]، ثم يقولونَ ـ بعدَ ذلكَ ـ لهُ شريكٌ وصاحبةٌ؟

أبو الطُّفيل[٣] الكنانيُّ: سألتُ رسولَ اللهِ ـ صلّى الله عليه وآلهِ ـ عن أدنى التَّوحيدِ.

فقالَ ـ عليه السلام ـ: إنَّ اللهَ لا يُشبِهُ شيئاً، ولا يُشبِهُهُ شيءٌ، وكلُّ ما وقعَ في الوهمِ، فهوَ بخلافهِ.

اِبن مسعودٍ: سألتهُ ـ عليه السلام ـ عنِ التَّوحيد، فقال:

[التَّوحيدُ][٤] ظاهرُهُ في باطنهِ، وباطنُهُ في ظاهرهِ. فظاهرُهُ موصوفٌ لايُرَى، وباطنهُ موجودٌ لا يَخْفَى. لا يخلو منهُ مكانٌ، ولا يخفى عليهِ شيءٌ. ظاهرٌ غيرُ محدودٍ، وباطنٌ غيرُ مفقودٍ.

---

(١) الكافي: ١: ١١٨. التوحيد: ٨٣. معاني الأخبار: ٥ وفيه باختلاف يسير في اللفظ. الاحتجاج: ٢: ٢٣٨. وأبو جعفر الثاني هو الإمام محمد الجواد (عليه السلام).

(٢) لقمان: ٢٥، الزُّمر: ٣٨.

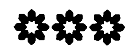
(٣) الكافي: ١: ٨٢. التوحيد: ٨٠. وفيه: عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام). الإرشاد: ٣١٧ وفيه أيضاً: عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام). وكذا في كنز الفوائد: ١٩٩.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

وَسُئِلَ أميرُ المؤمنين[١] ـ عليه السلام ـ عنهُ؛ فقال: التَّوحيدُ ألّا تتوَهَّمَهُ، والعدلُ ألّا تتَّهمَهُ.

وسُئِلَ الصَّادق[٢] ـ عليه السلام ـ عنهُ؛ فقالَ[٣]: هوَ / ٥٦/ ألّا تُجوِّزَ[٤] على ربِّك، ما جاز عليكَ، والعدلُ ألّا تنسبَ إلى خالِقِكَ ما لَامَكَ عليهِ.

وسُئِلَ الصَّادقُ[٥] ـ عليه السلام ـ عنهُ، فقالَ: كلُّ ما أحاطَ بهِ وهمُكَ، وَجَذَبَهُ تفكُّرُكَ، أو أصبتَهُ بالحواسِ، فاللهُ ـ جلَّ جلالهُ ـ بخِلافِ ذلِكَ.



(١) نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ٤: ١٠٨.

(٢) التوحيد: ٩٦. معاني الأخبار: ١١.

(٣) (فقال) ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

(٤) في (أ): يجوِّز. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) أمالي الصدوق: ٣٦٩.

فصل [-٥٢-]

[في التوحيد]

قوله - تعالى -: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[١].

قولهم: إنَّ اللهَ واحدُ ثلاثةٍ، أشياءُ مناقضةٌ، لأنَّ الواحدَ ما[٢]، لَا بعضَ لـهُ، وثلاثةٌ، ما لهُ بعضٌ. فكأنَّهم قالوا: لا بعضَ لهُ، ولهُ بعـضٌ. ويُنـزَّلُ منزلـةَ قـولِ القائل في الشَّيءِ الواحدِ: إنَّه موجودٌ، معدومٌ، قديمٌ، محدَثٌ.

وكلُّ ما سِوَى الله، فهوَ غيرُ واحدٍ، لأنَّه إمَّا أن يكونَ بالصِّفةِ، والتركيـبِ، كالعددِ، والجمعِ. أو بالصِّفةِ، والـصُّورةِ كـالجوهرِ، والعَـرَضِ[٣]، [أو بالتَّولُّـدِ، كالأصلِ، والفرعِ، أو بالمكانِ. كالعُرْضِ، والطُّـولِ][٤]، أو بـالوهم[٥] كالعقـلِ، والنَّفْسِ، أو بالاعتدالِ، كالطَّبعِ، والموتِ، أو في مقابلةِ شيءٍ، كالـمِثْلِ، والـشِّبهِ،

---

(١) المائدة: ٧٣.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): منّا.

(٣) في (ح): الغرض. بالغين المعجمة.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٥) في (ش). بالهمّ.

أو بالعنصرِ[١] كالهيولَى، والعُنصرِ، أو بالعددِ كالمكـانِ، أو بالـمُدَدِ كالزَّمـانِ، أو بالحَدِّ، كالصُّورةِ، أو لقبولِ شيءٍ كالخاصيَّةِ، أو للوهمِ كالمشكوكِ، أو للوجـودِ، والعدمِ، كالضِّدِّ، أو[٢] للوقفِ.

والواحدُ ـ على الحقيقةِ ـ هـوَ اللهُ ـ تعـالى ـ. وكـلُّ مخلـوقٍ بنفسهِ، اِثنـانِ: جسمٌ، وروحٌ. ومن اِثنينِ: من ذكرٍ، وأنثى. وبـاثنينِ: بالطَّعـامِ، والـشَّرابِ. وفي اثنينِ: في اللَّيلِ،والنَّهار. وبينَ اِثنين: بينَ السَّماءِ، والأرضِ. [وَ][٣] معَ اِثنين: مـعَ الشَّمسِ، والقمرِ.

ولا تخلو من اثنينِ: [منَ][٤] الحركـةِ، والـسُّكونِ. وكـذلكَ: مِـنَ الغنـى، والفقرِ، والصِّحَّةِ، والمرضِ، والنُّورِ، والظُّلمةِ، والبَرِّ، والبحرِ.

واللهُ ـ تعالى ـ واحدٌ وحدانيٌّ، ليسَ معهُ ثاني[٥].

ومرَّ الحسنُ بن عليّ ـ عليهما السَّلامُ ـ على قـاضٍ، يقـولُ: سَـلُوني قَبْـلَ أنْ تَفْقِدُوني!

---

(١) في (ش) و(ك): بالعصر.

(٢) في (ش) و(ك) و(ح): وللوقف. مع الواو.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(أ).

(٥) في (ح): ثانٍ. بتنوين العوض.

[فقال][(١)]: دَعوَى[(٢)] لأُنبهنَّهُ! ثمَّ قال لهُ: شَعْرَاتُ رأسِكَ شَفْعٌ، أم وِتْرٌ؟

فتحيَّر الرَّجلُ. فسئلَ الحسنُ ـ عليه السلام ـ عن ذلكَ، فقال: شفعٌ. لقولهِ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ﴾[(٣)]. والوترُ[(٤)]: هوَ الَّذي لا شريكَ لهُ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ آيةُ[(٥)] الكرسيِّ، ردٌّ على جميعِ الكفرةِ.

فـ«اللهُ»، ردٌّ على الدَّهريَّةِ[(٦)]، لأنَّ فيهِ إثباتاً[(٧)]، وإنَّهم قالوا بالنَّفي أصلاً.

﴿لا إِلهَ إِلَّا هُوَ﴾[(٨)]: ردٌّ على الثَّنويَّةِ[(٩)]، لأنَّهم قالوا: اللهُ خالقُ الخيرِ، وإبليسُ خالقُ الشَّرِّ، وهوَ شريكُ اللهِ.

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ك) و(أ).

(٢) في (ح): دعوني.

(٣) الذّاريات: ٤٩.

(٤) في (ش) و (ك) و(أ): الفرد.

(٥) البقرة: ٢٥٥.

(٦) الملل والنحل: ٢: ١٢٢٩.

(٧) في (ش) و(ك) و(أ): إثبات. من دون تنوين النَّصب.

(٨) البقرة: ٢٥٥.

(٩) الملل والنّحل: ٦٢٤.

﴿الْـحَيُّ﴾[١]، ردٌّ على منْ عبدَ صَنماً، أوْ وَثناً.

﴿الْـقَيُّومُ﴾[٢]: ردٌّ على أصحابِ الطَّبائعِ، حيثُ قالوا بالكُمونِ والظُّهورِ.

﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾[٣]: ردٌّ على من قالَ بالهيَّـةِ عُزيـرَ، وعيسى. وردٌّ على جهمٍ، فإنَّه قال: إنَّه عالمٌ بعلمٍ محدَثٍ، فيجوزُ عليه السَّهوُ.

﴿لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ﴾[٤]: ردٌّ على المُفوِّضةِ[٥] أنَّه خلقَ العالمَ، وفوَّضَ أمرهُ إلى شخصٍ مُحدَثٍ. وعلى من قالَ ﴿إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ﴾[٦].

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾[٧]: ردٌّ على مَنْ نَفَى الشَّفاعةَ.

﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ﴾[٨]: ردُّ على الجبريَّـةِ[٩]، حيثُ قالوا:

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) البقرة: ٢٥٥.

(٤) البقرة: ٢٥٥.

(٥) الملل والنحل: ١: ١٣٥ ـ ١٣٦.

(٦) آل عمران: ١٨١.

(٧) البقرة: ٢٥٥.

(٨) البقرة: ٢٥٥.

(٩) الملل والنِّحل: ١: ١٤٢.

إنَّه[١] عالمٌ بعلمٍ، وقادرٌ بقدرةٍ.

﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[٢]: ردٌّ على الكهنةِ، والمنجِّمينَ، فيما يعتقدونهُ في الكواكبِ.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[٣]: ردٌّ على الفلاسفةِ حيثُ قالوا: العالَمُ[٤]، أرضٌ، وأفلاكٌ فقط.

﴿وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا﴾[٥]: ردٌّ على اليهودِ في قولهمْ: إنَّ الله أعيا بخلقِ أوَّلِهِمْ، فاستراحَ يومَ السَّبتِ.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[٦]: ردٌّ على الثَّنويَّةِ، لثبوتِ التَّمانعِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً﴾[٧]، فيكونُ مَربوباً. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾[٨]، فيكونُ عاجزاً، محتاجاً إلى غيرِهِ.

---

(١) في (ك): إنَّ اللهَ.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) البقرة: ٢٥٥.

(٤) في (أ): العلم.

(٥) البقرة: ٢٥٥.

(٦) البقرة: ٢٥٥.

(٧) الإسراء: ١١١.

(٨) الإسراء: ١١١.

ليُعينهُ[١]. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾[٢] أي: لم يَكنْ لهُ حليفٌ، حالَفَهُ، لِينصُرَهُ على من يُنَاوِئهُ، لأنَّ ذلك صفةُ ضعيفٍ[٣] عاجزٍ.

وهذهِ الآيةُ، ردٌّ على اليهودِ، والنَّصارى، حيثُ قالوا: اِتَّخذَ اللهُ وَلَداً. وَعَلى مُشْرِكِي العربِ، حَيثُ قَالُوا: لبَّيكَ اللَّهمَّ لبَّيكَ، لبَّيكَ لَا[٤] شريكَ لكَ إلَّا شَريكٌ هوَ لكَ تَملكُهُ، وَما مَلَكَ. وَعَلى الصَّائبينَ وَالمجُوسِ، حَيثُ قَالُوا: لَوْلا أولياءُ اللهِ، لَذلَّ اللهُ ـ تَعَالَى عَنْ ذلِكَ عُلوّاً كَبِيراً ـ.

وَ«الحمدُ» في الآيةِ، لَيسَ هوَ على أنْ لم يَفْعَلْ ذَلكَ، وَإنَّما حَمْدٌ على أفعالِهِ المحمودةِ، وَوُجِّهَ إلى من هذهِ صِفَتُهُ[٥]، لا منْ أجلِ أنَّ ذلِكَ صفتُهُ، كما تقولُ: أنا أشكرُ فُلاناً الطَّويلَ / ٥٧/ الجميلَ. ليسَ إنَّكَ تَشكرهُ على جمالِهِ، وطولهِ، بلْ على غيرِ ذلكَ من فعلهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَللهِ الأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها﴾[٦]، وقولهُ: ﴿قُلِ

---

(١) في (هـ) و(أ): يعينه. من دون (لام) التعليل.

(٢) الإسراء: ١١١.

(٣) في (ش): ضعف.

(٤) في (أ): ولا. مع الواو.

(٥) في (أ): صفة. من دون إضافته إلى الضمير (الهاء).

(٦) الأعراف: ١٨٠.

ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْماءُ الْـحُسْنى﴾[١].

إنَّما أمرهُ بذلِكَ، لأنَّ مُشرِكي قَومِهِ، لمَّا سَمِعُوا النَّبيَّ ـ عليه السلام ـ يَـدْعُو ربَّهُ ـ تارةً ـ بأنَّه اللهُ، وتارةً بأنَّـهُ الـرَّحمنُ، ظنُّـوا أنَّ[٢] [لـهُ][٣] إلهـينِ. حتَّـى قـالَ بعضهم: الرَّحمن، رجلٌ باليمامةِ. فـأنزلَ اللهُ هـذهِ الآيـةَ، إحتجاجـاً لِنبيِّـهِ ـ عليـه السلام ـ بذلكَ، وأنَّه شيءٌ واحدٌ، وإن اِختلفت أسماؤهُ، وصفاتُهُ.

وقالَ نافعُ بنُ الأزرقِ لابن عبَّاسٍ: تُفتي في النَّملـةِ، والقَمْلَـةِ. صِـفْ لنـا إلهَـكَ الَّذي تعبدُهُ.

فقالَ الحسنُ بنُ عليٍّ ـ عليهما السلام ـ[٤]: يا نـافعُ. مـن وَضَـعَ دينَـهُ عـلى القِيَاسِ، لم يَزَلِ ـ الدَّهْرَ ـ في الارتماسِ، مائلاً عنِ المنهاجِ، ظاعناً[٥] في الاعوِجاجِ، ضالّاً عنِ السَّبيلِ، قائلاً غيرَ الجميلِ.

يا اِبنَ الأزرقِ. أصفُ إلهي بما وصفَ [به][٦] نفسَهُ، واعرِّفهُ بما عرَّفَ بِهِ[٧]

(١) الإسراء: ١١٠.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): أنَّه.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ). وبها يستقيم الكلام معنىً وإعراباً.

(٤) (السلام) ساقطة من (هـ).

(٥) في (ح): طاغياً.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٧) في (ك) و(ح): به هو.

نفسَهُ. لا يُدرَكُ بالحواسِّ، ولا يُقاسُ بالنَّاسِ، فهوَ قريبٌ غيرُ ملتصقٍ، وبعيدٌ غيرُ منفصلٍ، يوحَّدُ، ولا يبعَّضُ. مَعْرُوفٌ بالآياتِ، مَوْصُوفٌ بالعَلامَاتِ. لا إلـهَ إلَّا هُوَ الكَبِيرُ الـمُتَعَالِ[1].



(١) التوحيد: ٨٠ عن الحسين بن علي (عليه السلام).

فصل [-٥٣-]

[في التوحيد]

قوله - تعالى[١] -: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾[٢].

المعنيُّونَ[٣] - بذلكَ - طائفتانِ:

أحدهما: كفَّارُ العرب، فإنَّهم قالوا: الملائكةُ بناتُ الله.

والأخرى: النَّصارى، الَّذينَ قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾[٤].

فكذَّبَ الفريقينِ، فقالَ في العربِ: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ...﴾ الآياتُ[٥].

وقال قتادةُ[٦]، والسُّدِّي[٧]: كانتْ قريشُ تقولُ: الملائكةُ بناتُ الله، فنزلتِ

---

(١) في (ح): سبحانه.

(٢) يونس: ٦٨.

(٣) في (ش): المعنو.

(٤) التوبة: ٣٠.

(٥) الآيات: ١٤٩ - ١٥٣ من سورة الصافَّات.

(٦) جامع البيان: ٢٣: ١٠٦. الدر المنثور: ٧: ١٣٣.

(٧) جامع البيان: ٢٣: ١٠٦.

الآيةُ على وجهِ التَّقريعِ: أن يقولَ: كيفَ يكونُ لربِّكَ البناتُ - يا محمَّدُ - ولهم البنونَ معَ قولِهِ - تعالى -: ﴿وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾[1]، وقولِهِ: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾[2]؟ ومنْ اِصطفى الأدونَ على الأفضلِ - معَ القدرةِ - كانَ ناقصاً. ومِنْ أينَ عَلِمُوا أنَّ الملائكةَ إناثٌ؟ أَشَهِدُوا خلقَ الله لَهُمْ، فَرَأَوْهُم إناثاً؟

إلَّا أنَّهم - مِنْ إفْكِهِمْ - لَيَقولونَ: ولدُ الله. إنَّما يتَّخذُ الولدَ، من يجوزُ أن يكونَ مثلُ ذلكَ، قدْ ولدَ. وذلكَ مستحيلٌ. ولذلِكَ استُهْزِئَ بمَنْ قالَ: الملائكةُ بناتُ الله، فَقِيلَ: مَنْ أُمَّهنَّ؟ وأمَّا جَوَابُ النَّصارى، فَقَدْ ذَكَرْنَاهُ في الفَصْلِ الأوَّلِ[3].

***

قولُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ﴾[4].

لا يجوزُ عليهِ - تعالى -[5] التَّبَنِّي، لأنَّ التَّبَنِّيَ، إقَامةُ المتَّخِذِ لِوَلدِ غيرِه، مقامَ

---

(١) النحل: ٥٨.

(٢) الصافات: ١٥٣.

(٣) انظر الفصل الرابع من الباب الأول بترقيمنا.

(٤) الأنبياء: ٢٦.

(٥) (تعالى) سقطت من (ح).

ولدِهِ، لو كَانَ لَهُ.

فإذا اِستحالَ أنْ يكونَ لهُ ـ تعالى ـ وَلدٌ[١] على الحَقِيقةَ، اِستحالَ أنْ يقومَ ولدُ[٢] غيرِهِ، مقامَ ولدهِ.

فَلِذلِكَ لا يجوزُ أنْ يُشبَّهَ بخلقهِ على وجهِ المجازِ، لَمَّا لمْ يكنْ مشبَّهاً بهِ على[٣] الحقيقةِ.

وحقيقةُ الولدِ، مَنْ وُلِدَ[٤] على فراشهِ، أوْ خُلقَ من مائهِ، ولذلكَ لا يقالُ: تبنَّى الشَّابُّ شيخاً. ولا: تبنَّى الإنسانُ بهيمةً.

ولَمَّا اِستحالَ أن يكونَ ذلكَ، صارَ هذهِ الحقيقةُ مستحيلةً فيهِ.

وَلا يَجُوزُ أنْ يُقَالَ: اِتَّخذهُ وَلَداً. إذا اختصَّهُ بِضَرْبٍ منَ المحبَّةِ، لأنَّ [في][٥] ذلكَ، إخراجَ الشَّيءِ عنْ حقيقتهِ، كما أنَّ تسميةَ ما ليسَ بطويلٍ: عريضٌ، عميقٌ جسماً، إخراجٌ لهُ عنْ حقيقتهِ.

***

(١) في (هـ): ولداً. بتنوين النصب.

(٢) في (هـ): ولداً. بتنوين النصب.

(٣) في (ح): على وجه الحقيقة.

(٤) في (أ): ولده.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلاً﴾[1].

أمّا الخُلَّةُ، فقدْ جازتْ عليهِ ـ تعالى ـ لأحدِ شيئينِ:

أحدُهُما: أنَّ الخُلَّةَ، إخلاصُ المودَّةِ الَّتي تُوجِبُ الإختصاصَ، بتخلُّلِ الأسرارِ[2]. فَلما جازَ أنْ يطلِعَ اللهُ ـ تعالى ـ[3] إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ على أمورٍ، لا يُطلِعُ عَلَيهَا غيرَهُ، تشريفاً لهُ، اِتَّخذهُ خليلاً عَلَى هذا الوَجْهِ.

وَالثَّاني: إنَّ الخَلَّةَ ـ بالفتحِ ـ هِيَ الحَاجَةُ. قَالَ زُهيرٌ[4]:

وإنْ أتـاهُ خليـلٌ يـومَ مَـسغبةٍ [يقـولُ لا غائـبٌ مـالي ولا حـرمُ]

وإنَّما اِختُصَّ إبراهيمُ ـ عليه السلامُ[5] ـ بذلكَ، لانْقطاعهِ عنِ الخلقِ، وتوكُّلهِ على الخالقِ.

❀❀❀

---

(١) النساء: ١٢٥.

(٢) في (ش): الأشرار. بالشين المعجمة.

(٣) (تعالى) ساقطة من (هـ).

(٤) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى. صنعة أبي العبَّاس ثعلب: ١٥٣. ومنهُ تمام البيت. وفيه: يومَ مسألة.

(٥) (عليه السلام) سقطت من (ح).

فصل [-٥٤-]

[في الإيمان والإسلام]

قوله ـ تعالى ـ[١]: ﴿قالَتِ الأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٢].

الإيمانُ هوَ التَّصديقُ بالقلبِ، ولا اِعتبارَ بما يجري على اللِّسانِ. وهوَ[٣] ـ في وضعِ اللُّغةِ ـ التَّصديقُ. وليسَ باسمٍ لأفعالِ الجوارحِ. يقالُ: فلانٌ يؤمنُ بكذا. وقال اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾[٤]، وقال: ﴿يُؤْمِنُونَ / ٥٨/ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[٥]، وقالَ: ﴿وَما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَلَوْ كُنَّا صادِقِينَ﴾[٦]، أي: بمصدِّقي[٧] الحقِّ. وقال: ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ

(١) في (ح): سبحانه.

(٢) الحجرات: ١٤.

(٣) في (أ): فهوَ. مع الفاء.

(٤) البقرة: ٥٥.

(٥) النساء: ٥١.

(٦) يوسف: ١٧.

(٧) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): بمصدقٍ في الحقِّ.

الحِسابِ﴾[١]، وقالَ: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمانِ﴾[٢]، وقال: ﴿إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ المُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ﴾[٣]، كذَّبهمْ اللهُ معَ إظهارِ الشَّهادةِ. وقالَ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[٤]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾[٥]، أخبرَ أنَّهُم مُؤْمنون[٦]. وإنْ لم يُهاجِرُوا. وقال: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ﴾[٧]، يدُلُّ على أنَّهُ يكونُ مُؤمناً، وإنْ لم يعملِ الصَّالحاتِ. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾[٨]، فرَّقَ بين الإيمانِ، والأعمالِ. وقال: ﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...﴾[٩] إلى قوله: ﴿إِنَّما المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[١٠]، فسَمَّاهُم[١١] ـ في حالِ البَغْيِ والمعصيةِ ـ أُخوةً للمُؤْمنينَ.

---

(١) غافر: ٢٧.

(٢) النَّحل: ١٠٦.

(٣) المنافقون: ١.

(٤) الأنعام: ٨٢.

(٥) الأنفال: ٧٢.

(٦) في (هـ): يؤمنون. بصيغة المضارع المسند إلى واو الجماعة.

(٧) طه: ٧٥.

(٨) يونس: ٩. وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم.

(٩) الحجرات: ٩.

(١٠) الحجرات: ١٠.

(١١) في (هـ): فَسَوَّاهم.

وقال: ﴿كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ يُجادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[١]، حكى عنهم كراهَةَ الحَقِّ، والجِدَالِ فيه بعد وُضُوحِهِ، مع تسميتهم بالإيمانِ.

وقال: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صالِحاً﴾[٢]، العملُ لا يُطلَقُ إلّا على أفعالِ الجوارحِ، لأنّهم لا يقولون: عَمِلْتُ بِقَلْبِي. وإنّما يَقُولُون: عَمِلْتُ بيدي، أو بِرِجْلِي. ثمَّ إنَّ هذا، مجازٌ يُحْمَلُ على الضَّرُورَةِ، وكلامُنا مَعَ الإطلاقِ.

قالَ سَعيدُ[٣] بنُ جُبَيْرٍ: جاءَ بَنُو أسدٍ إلى النبيِّ ـ عليه السلام ـ في سنةٍ جَذْبَةٍ[٤]، وأظهَرُوا الإسلامَ، يطلِبُونَ الخَيْرَ، فأخبرَ اللهُ ـ سُبحانه ـ بذلكَ، ليكونَ مُعْجِزَةً لهُ، فقال: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا﴾[٥]، أي: خَضَعْنَا.

والإسلامُ[٦]، هوَ الإسْتِسْلامُ. أَنَسُ: قالَ النَّبيُّ[٧] ـ عليه السلام ـ: الإسْلامُ

---

(١) الأنفال: الآيتان ٥ ـ ٦.

(٢) البقرة: ٦٢.

(٣) جامع البيان: ٢٦: ١٤٢ باختلافٍ في اللّفظ. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١٣٨ وفي أسباب النزول للواحدي: ٢٦٥ ـ ٢٦٦. دون عزو الرواية إلى أحد.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): جَذْبة. بالذال المعجمة. والسنة الجَذْبة: التي يُحتَبسُ بها المطر.

(٥) الحجرات: ١٤.

(٦) في (أ): الإسلام. من دون الواو.

(٧) الكافي: ٢: ٦، ٢٤ عن الصادق (عليه السلام) بلفظٍ مختلف. الإرشاد: ٣١٤ بلفظه عن الصادق (عليه السلام). إعلام الورى: ٢٧٥ عن الصادق (عليه السلام) بلفظه. الاحتجاج: ٢: ١٢٥. التوحيد: ٢٢٣ عن الصادق (عليه السلام) بلفظه.

قَبْلَ الإيمانِ، وعليهِ يَتوارَثُونَ، ويَتَناكَحُونَ. والإيمانُ عليه يُثابُونَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ فَـما وَجَـدْنا فِيهـا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ﴾ (١)، وقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْـلامِ دِيناً فَلَـنْ يُقْبَـلَ مِنْهُ﴾ (٢)، وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْـلامُ﴾ (٣)، يـدُلُّ عـلى أنَّ الإسـلامَ، هُـوَ الإيمانُ، على الحقيقةِ، ومتى عَرِيَ عنهُ، كان مَجَازاً.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ﴾ (٤)، وقوله: ﴿وَتَحْرِيـرُ رَقَبَـةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ (٥).

إنَّما أرادَ مَنْ أظهَرَ الإيمانَ فقط.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِـاللهِ إِلَّا وَهُـمْ مُـشْرِكُونَ﴾ (٦). قـال

(١) الذاريات: الآيتان ٣٥ ـ ٣٦.

(٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) آل عمران: ١٩.

(٤) الممتحنة: ١٠.

(٥) النساء: ٩٢.

(٦) يوسف: ١٠٦.

ابنُ عبّاسٍ(١)، ومجاهِدُ(٢)، وقَتادةُ(٣): وما يُؤمنُ أكثَرُهم بالله في إقرارِهِ: بأنّهُ الخالِقُ، إلّا وَهُوَ مُشْرِكٌ بعبادَةِ الأوثانِ. تقديرُهُ: أنّهم ما يُصَدِّقونَ بعبادَةِ الله، إلّا وَهُمْ يُشْرِكونَ الأوثانَ مَعَهُ في العبادَةِ.

وقال الرُّمّانيُّ: لا تنافِيَ بينَ أن يُؤمِنُوا بالله من وَجْهٍ، ويَكْفُروا بهِ مِنْ وَجْهٍ آخر، كما قال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾(٤). وأنكرَهُ البَلْخِيُّ(٥)، وقال: إنّما هُوَ في المنافقينَ: يُؤمنونَ في الظّاهِرِ، ويُشْرِكُونَ في الباطنِ.

والمعنى الصَّحيحُ: أنّهُ لا يُؤمِنُ أكثرُهُم، إلّا وأشْرَكَ في توحِيدِهِ وعَدْلِهِ.



(١) جامع البيان: ١٣: ٧٧. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٢٧٦. التفسير الكبير: ١٨: ٢٢٤.

(٢) جامع البيان: ١٣: ٧٧. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٢٧٢.

(٣) جامع البيان: ١٣: ٧٧.

(٤) البقرة: ٨٥.

(٥) مجمع البيان: ٣: ٢٦٧.

فصل [ـ ٥٥ ـ]

[في الإيمان]

قد استدلَّتِ المعتزِلَةُ على أن الطّاعاتِ مِنَ الإيمانِ، بآياتٍ:

منها قولُهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[1]. ولفْظَهُ «ذلك»، عبارَةٌ عن الواحِدِ، فكيف يكونُ عبارَةً عن جميعِ ما تقَدَّمَ.

ثمَّ أنَّ لفظَةَ «ذلك»، كِنايةٌ[2] عن التَّذْكِيرِ[3]، والعباداتُ ـ الَّتي تقدَّم ذِكْرُها ـ إنّما يُشارُ إليها بلفظةِ «تِلْكَ»، وينبغي أن تكونَ[4] عِدَّةُ الشُّهُورِ في قولِهِ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً﴾[5]. مِنَ الدِّينِ.

ومنها قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ﴾[6]، لا يدُلُّ

---

(١) البيِّنة: ٥.

(٢) في (أ): كتابة.

(٣) في (أ): التذكرة.

(٤) في (هـ): يكون.

(٥) التوبة: ٣٦.

(٦) الحجرات: ١١.

على بُطلانِ حُكْمِ الإيمانِ، وارتفاعِ التَّسميةِ بِهِ. وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[١]، ومعلومٌ أنَّ التَّفرِقَةَ لمّا حَدَثَتْ بعد البيِّنةِ، لم تُبْطِلْ حُكْمَ البيِّنةِ، بل كانت ثابتةً / ٥٩/ على ما كانت عليه، وإنَّما أرادَ ـ تعالى ـ بعد مَجيءِ البيِّنة.

ثُمَّ إنَّ هذا الاستدلالَ، مَبنِيٌّ على القولِ بالعمومِ، ونحنُ نخالِفُ فيهِ، وإذا جازَ أن يكونَ لفظُ الفُسُوقِ، مَخْصُوصاً، جاز أن يُحْمَلَ على حُكْمِ الفُسُوقِ.

ومنها قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما كانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ﴾[٢]. أراد بهِ التَّصديقَ الَّذي لا يَعْرِفُ القومُ ـ في الإيمانِ ـ سِوَاهُ. والقُرْآنُ غيرُ ناطِقٍ بأنَّ الإيمانَ، المُرادُ بِهِ الصَّلاةُ، ولا مُعَوَّلَ ـ في مثلِ ذلك ـ على أخْبَارِ آحَادِ.

ومنها قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية[٣]، لا يقتضي نَفْيَ اسم الإيمانِ عمَّنْ لم يكُنْ بالصِّفاتِ المذكورةِ فيها، وإنَّما يقتضي التَّفْضِيلَ، والتَّعظِيمَ، فكأنَّهُ ـ تعالى ـ قال[٤]: إنَّما أفاضِلُ المُؤمنينَ، وخيارُهم مَنْ فَعَلَ كذا، وكذا. كما تقولُ[٥]: الرَّجُلُ مَنْ يَضْبطُ نفسَهُ

(١) البيّنة: ٦.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) الأنفال: ٢.

(٤) (قال) ساقطة من (هـ).

(٥) في (هـ) و(أ): يقول.

عِنْدَ الغَضَبِ. وإنْ كانَ مَنْ لا يَفْعَلُ ذلك لا يَخْرُجُ[١] من أن يكونَ رَجُلاً.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ﴾[٢].

كان ذلك إيمانُ إلجاءٍ، لا يستحِقُّ به الثَّوابَ، كما لا يستحِقُّ بالإيمانِ الضَّروريِّ، وهذا كقولِهِ: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا﴾[٣].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[٤].

إنّما لا يَقْبَلُ مَعْذِرَتَهُم، لأنّهم مُلْجَؤُونَ في تلك الحالِ.

﴿وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾. أي: لا يَقْبَلُ عَتَبَهُمْ، ولا يَقْبَلُ مِنْهُم الإعْتَابَ[٥].



---

(١) في (أ): تجرج. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق بعدها جيم معجمة من تحت.

(٢) يونس: ٩٠.

(٣) غافر: ٥٨.

(٤) الرّوم: ٥٧.

(٥) أعتبَهُ: أرضاه بعد العِتاب. وفي المثل: «ما مُسِيءٌ مَنْ أعْتَبَ»، «المعجم الوسيط ـ عَتَبَ».

فصل [ـ ٥٦ ـ]

[في الإيمان]

وقد تَعَلَّقَتِ الخَوارِجُ في تكْفِير كُلِّ عاصٍ، بآياتٍ:

منها قولُهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ﴾[١].

لفظَةُ «مَنْ»، تَعُمُّ[٢]، وتَخُصُّ[٣]. وإنَّما يُعْلَمُ أحدُهُما بدَلِيلٍ.

ومنها قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظَّى لا يَصْلَاهَا إِلَّا الأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[٤].

هذه[٥] الآيةُ إنَّما يُستفادُ ـ بظاهِرِها ـ أنَّ النارَ المُتَلَظِّيَةَ[٦]، الموصوفَةَ في الآيةِ،

---

(١) المائدة: ٤٤.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يعمّ. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٣) في (أ): يختصّ. وفي (ش) و(ك) و(هـ): يخصّ. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٤) الليل: الآيات ١٤ ـ ١٦.

(٥) في (هـ): وهذه. مع الواو.

(٦) في (أ): المتظلّية.

لا يَصْلاها إلّا مَنْ كَذَّبَ، وتَوَلَّى، فَلْيَدُلُّوا[١] ـ بعد ذلك ـ على أنّه لا نارَ لله سِوَى هذهِ النّارِ الموصُوفةِ.

ومنها قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾[٢]، لا يَدُلُّ على أنَّ هُناكَ وُجُوهَ أقْوَامٍ، ليست بهذهِ الصِّفَةِ بل بصفةٍ أُخرى: إمَّا أنْ [لا][٣] يكونَ عليها غَبْرَةٌ، بل سِمَةٌ أُخرى. أو بأنْ يكونَ عليها غَبْرَة ولا تَلْحَقُها قَتَرَةٌ.

ولو دلَّ ذلك على ما قالُوهُ، لَوَجَبَ أنْ يَدُلَّ قولُهُ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[٤]، على أنَّ كُلَّ مَنْ لا يَبيضُّ وَجْهُهُ من المؤمنين، يجبُ أن يكونَ مُرْتَدًّا، لأنَّهُ ـ تعالى ـ قال لَهُم: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[٥]. والخوارجُ لا تقولُ ذلك، لأنَّ من المعلومِ[٦]، أنَّ ـ هاهنا ـ كُفَّاراً[٧]، من الأصْلِ، ليسُوا بِمُرْتدِّينَ عنِ الإسلامِ.

ومنها قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾. ليستْ مِنْ ألفاظِ العُمُومِ عندَ أحدٍ، فغيرُ مُمْتنِعٍ أنْ يكونَ اللهُ ـ تعالى ـ أرادَ بعْضَها، أو أراد

---

(١) في (ش): فليستدلّوا.

(٢) عبس: ٤٠.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ك) و(أ).

(٤) آل عمران: ١٠٦.

(٥) آل عمران: ١٠٦.

(٦) في (أ): العِلْم.

(٧) في (هـ): كفّار. من دون تنوين النصب.

سَواداً مَخْصُوصاً، يَلْحَقُ [هذه][1] الوجوه، وإنْ لم يكُنْ لاحِقاً بها.

ومنها قوله ـ سبحانه[2] ـ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[3]. لا يَمْتَنِعُ مِنْ أنْ تكونَ مُحِيطَةً بغيرِهِم أيضاً.

ومنها قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[4]. لو اقتضى نفيَ المُجازاةِ عَمَّنْ ليسَ بِكَفُورٍ، لاقْتَضى أنْ يكونَ المُؤمِنُ غَيْرَ مُجَازَى بإيمانِهِ وطاعتِهِ.

ويُمكِنُ أنْ يُحْمَلَ[5] الجزاءُ على الاصطلاحِ في الدُّنيا، لأنَّ اللهَ ـ تعالى ـ أجْرَى العادَةَ، أنْ يُعاقِبَ ـ بهذا[6] الضَّرْبِ مِنَ الجَزاءِ[7] ـ الكُفَّارَ، دونَ غيرِهِم، كما قال: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ الآية[8].

ومنها قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[9]. والمؤمنُ

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٢) في (ح): تعالى.

(٣) التوبة: ٤٩.

(٤) سَبَأ: ١٧.

(٥) في (ش): يحمله. مع الضمير (الهاء).

(٦) في (ش): بهذِهِ.

(٧) في النسخ جميعها: جزاء. من دون (أل). وجعلناها مع (أل) لما يتطلبه المعنى.

(٨) سبأ: ١٦.

(٩) التوبة: ٦٦.

ـ عندنا ـ لا يجوزُ أن يَكْفُرَ، لأنَّـهُ يُـؤَدِّي إلى اجـتماعِ استِحْقَاقِ الثَّـوابِ الـدَّائِمِ، والعقابِ الدَّائِمِ معاً، لِبُطلانِ التَّحابُطِ. والإجماعُ يَمْنَعُ[1] من ذلك.

فالوجهُ فيه: لا تعتذِرُوا المعاذيرَ الكاذِبَةَ، فإنَّكُم ـ بما فعلْتُمُوهُ ـ قد كَفَـرْتُم، بعد أن كنتم مُظْهِرينَ الإيمانَ الَّذي يُحْكَمُ ـ لِـمَنْ أظْهَرَهُ ـ أنَّهُ مُؤْمِنٌ.

ومنها قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَـرُوا ثُـمَّ ازْدادُوا كُفْراً﴾[2]. المُرادُ به: مَنْ أظْهَرَ الإيمانَ. وليسَ كُلُّ مَنْ أظْهَرَ الإيمانَ، يكونُ مُؤْمِناً على الحقيقةِ في باطنِهِ عندَ الله ـ تعالى ـ لجَوازِ أنْ يكـونَ مـا أظْهَـرَهُ نِفَاقـاً، [أو][3] واقِعاً عن تَقْلِيدٍ. والثَّـوابُ إنَّـما يُـسْتَحَقُّ بـالإيمانِ الحقيقـيِّ. أو[4] يكـونُ بِحُكْمِ الظَّاهِرِ، كما قال: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُـوهُنَّ مُؤْمِنـاتٍ فَـلا تَرْجِعُـوهُنَّ / ٦٠/ إِلَى الْـكُفَّارِ﴾[5]، وكما قال: ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾[6].

ومنهـا قولُـهُ ـ سُـبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ الَّـذِينَ كَفَـرُوا بَعْـدَ إِيمانِهِـمْ ثُـمَّ ازْدادُوا كُفْراً﴾[7].

---

(١) في (ش): يمتنع.

(٢) النساء: ١٣٧.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(هـ) و(أ).

(٤) في (هـ): ويكون. مع الواو.

(٥) الممتحنة: ١٠.

(٦) النساء: ٩٢.

(٧) آل عمران: ٩٠.

قال الحسنُ[١]، وقَتَادَةُ[٢]، وَعَطَاءُ[٣]: نَزَلَتْ في اليَهُودِ، كَفَرُوا[٤] بِعِيسى، والإنجيلِ، ثُمَّ ازدادوا كُفْراً بِمُحَمَّدٍ [صلى الله عليه وآله][٥] والقُرآنِ.

وقال أبو العالية[٦]: نَزَلَتْ في اليهودِ، والنَّصارى، كَفَرُوا[٧] بِمُحَمَّدٍ [صلى الله عليه وآله][٨] بعد إيمانِهِم بِنِعْمَتِهِ، وصِفَتِهِ، ثُمَّ ازدادُوا كُفْراً بإقامَتِهِم على كُفْرِهِم.

ومنها قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾[٩].

أي: الَّذينَ آمنُوا باللِّسانِ ظاهِراً، آمِنُوا بالجَنَانِ باطِناً.

قال مُجاهِدٌ[١٠]، وابنُ زيدٍ[١١]: يعني ـ بذلكَ ـ أهلَ النِّفاقِ. إنَّهم آمنوا، ثُمَّ

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ٧٥. الدر المنثور: ٢: ٢٥٨.

(٢) جامع البيان: ٥: ١٢٧. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٧٢. أيضاً: أسباب النزول للواحدي: ٧٥.

(٣) مجمع البيان: ١: ٤٧٢. أيضاً: أسباب النزول: ٧٥.

(٤) في (أ): كفراً.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٦) جامع البيان: ٥: ٣٢٧. أسباب النزول للواحدي: ٧٥. وفي مجمع البيان: ١: ٤٧٢ هذا القول منسوب إلى الحسن وفي الدر المنثور: ٢: ٢٥٨ نسبه إلى أبي العالية.

(٧) في (أ): كفراً.

(٨) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٩) النساء: ١٣٦.

(١٠) الدر المنثور: ٢: ٧١٧.

(١١) الدر المنثور: ٢: ٧١٧.

اِرتدُّوا، ثمَّ آمنوا، ثمَّ اِرتدُّوا، ثمَّ اِزدادُوا كفراً على كفرهم.

وقالَ قتادةُ[١]: عَنَى ـ بذلكَ ـ الَّذينَ آمنوا بموسى، ثمَّ كفروا بهِ، بأنْ عبدوا العجلَ ثمَّ آمنوا، يعني النَّصارى، آمنوا بعيسى، ثمَّ كفروا بهِ، ثمَّ اِزدادوا كفراً بِنبُوَّةِ محمَّدٍ ـ صلى الله عليه وآلهِ ـ.

والأوَّلُ، أقوى. ويكونُ خطاباً للمُنافقينَ.

وقالَ الجبَّائيُّ[٢]، والبلخيُّ، والزَّجَّاجُ[٣]: الخطابُ لجميعِ المؤمنينَ، أمرهم اللهُ ـ تعالى ـ بأنْ يؤمنوا بهِ في المستقبلِ، بأن يستديموا الإيمانَ، ولا ينتقلوا عنهُ، لأنَّ الإيمانَ، الَّذي هوَ التَّصديقُ، لا يبقى، وإنَّما يستمرُّ بأنْ يُجدِّدهُ الإنسانُ حالاً بعدَ حالٍ. وهذا وجهٌ جيِّدٌ.

ومنها قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى**﴾[٤]. ليسَ فيها ما يدُلُّ على أنَّ المؤمنَ على الحقيقةِ ـ يجوزُ أنْ يكفرَ، لأنَّه لا يمتنعُ أنْ يكونَ المرادُ: مَنْ رَجَعَ عن إظهارِ الإيمانِ، بعدَ وضوحِ الأمرِ فيهِ، وقيامِ الحجَّةِ عليهِ بالصِّحَّةِ.

ومنها قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ**

---

(١) مجمع البيان: ٢: ١٢٥. الدر المنثور: ٢: ٧١٦.

(٢) مجمع البيان: ٢: ١٢٥.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ١٢٩ ـ ١٣٠.

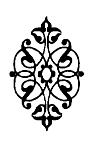
(٤) محمد: ٢٥.

فِيما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾(١).

الإيمانُ الأوَّلُ، هوَ التَّصديقُ. والإيمانُ الثَّاني، هوَ الاطمئنانُ إلى الصَّوابِ بفعلِهِ، معَ الثِّقةِ بهِ(٢).

ومنها قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ﴾(٣)، وفي موضعٍ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(٤).

المرادُ بالأوَّلِ: أنَّهُ يذكرُ ثوابَهُ، وإنعامَهُ، فيسكنُ إليهِ. وبالثَّاني(٥): يذكرُ عقابَهُ، وانتقامَهُ، فيخافهُ، وَيَجِلُ قلبُهُ.



(١) المائدة: ٩٣.

(٢) في (ش): التَّقوية. بدلاً من (الثقة به).

(٣) الرَّعد: ٢٨.

(٤) الأنفال: ٢.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): الثاني. بسقوط (الباء).

فهرس الجزء الأول

[١]
باب ما يتعلق بأبواب التوحيد

فصل [١]

في بعض الظواهر الكونية

فصل [٢]

في خلق الإنسان

فصل [٣]

في خلق حواء وفي معنى القلب وفي أُمور أُخرى

فصل [٤]

في الملائكة

فصل [٥]
في الجنّ والشّيطان

فصل [٦]

في تسبيح المخلوقات لله

فصل [٧]

في قدرة الله

فصل [٨]

في قدرة الله

فصل [٩]

في إثبات وجوده سبحانه

فصل [١٠]

في بطلان أقوال المنجّمين

فصل [١٤]
في معنى اللّوح وأُمّ الكتاب

فصل [١٥]
في معنى الكرسي وفي الروح

فصل [١٦]
المعارف ليست ضرورية إلّا معرفة الله

فصل [١٧]

في الحثّ على النظر والتدبُّر

فصل [١٨]

في كون العاقل مطالباً بالحجّة وفي ذمّ التقليد

فصل [١٩]

في معرفة الله

فصل [٢٠]

في قدرة الله

فصل [٢١]
في عِلْم الله

فصل [٢٢]
في علم الله

فصل [٢٣]

من دلائل وجود الله

فصل [٢٤]

في معنى ﴿سَمِعَ اللهُ﴾

فصل [٢٥]

في خلق القرآن

فصل [٢٦]

في كون القرآن محدَثاً

فصل [٢٧]

في معنى كون الله هو الغنيّ

فصل [٢٨]
في تنزيه الله عن الجسميّة

فصل [٢٩]
في معنى العرش والاستواء

فصل [٣٠]

نفي وصف الله بالمكان

فصل [٣١]

نفي المكانيّة عن الله

فصل [٣٢]

نفي المكانيّة عن الله

فصل [٣٣]

نفي التجسيم عن الله

فصل [٣٤]

نفي التجسيم عن الله

فصل [٣٥]

نفي التجسيم عن الله

فصل [٣٦]

نفي التجسيم عن الله

فصل [٣٧]

نفي التجسيم عن الله

فصل [٣٨]

نفي التجسيم عن الله

فصل [٣٩]

نفي التجسيم عن الله

فصل [٤٠]

في مسائل متفرّقة

فصل [٤١]

في معنى الشاكر والجبّار

فصل [٤٢]

في مسائل متفرِّقة

فصل [٤٣]

في مسائل متفرِّقة

فصل [٤٤]

في مسائل متفرِّقة

فصل [٤٥]

في الرؤية

فصل [٤٦]

في الرؤية

فصل [٤٧]

في الرؤية

فصل [٤٨]

في الرؤية

فصل [٤٩]

في الرؤية

فصل [٥٠]

في الرؤية

فصل [٥١]

في التوحيد

فصل [٥٢]

في التوحيد

فصل [٥٣]

في التوحيد

فصل [٥٤]

في الإيمان والإسلام

فصل [٥٥]

في الإيمان

فصل [٥٦]

في الإيمان

